

تأليف

العلامة المحقق عثمان بن بشر النجدي الحنبلي

رحمه الله تعالى

الجزء الثاني

يطلب من الناشر

مكتبة الرياض الحديثة

بالرياض

المطبعة اليوسفية ٢ شارع دار الكتب ت ٩٠٤٣٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذى أطلع شمس الفضل بعد ما أفلت . وأطفأ نار الظلم بعد ماشبت واشتعلت . وأصلى كلمة الاسلام بعد ماوهت ووهنت ، وجمع شمل المسلمين بعد أن كانوا متفرقين فاطمأنت الرعايا وأمنت ، وأنزل عليهم غيث السماء بعد الجدب المبيد ، والقحط الشديد ، ففاضت آبارهم وأعشبت ديارهم واربعت . فاصبحوا من بعد الخوف آمنين ، ومن بعد الجوع طاعمين ، وانتشرت الخلائق فى آلائه ونعمائه ورتعت . فلله الحمد حتى يرضى ، وله الحمد بعد الرضى ، حمداً يكافىء مزيده ، ويوافى نعمه التى علينا تمت وسبغت ، حمداً وشكراً عدد نعمه التى أنعم بها علينا ، وعدد خلقه الذى خلق لأجلنا وملء سماواته وملء أرضه ، ومداد كلماته ،وزنة عرشه ، ومادون ذلك مما لايعلمه إلا الذى جلت قدرته وعظمت . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الذى أقرت له بالوحدانية جميع مخلوقاته حين استخرجها من ظهر أبيهم فأقرت وشهدت . شهادة أرجوا بها النجاة بيوم به علمت نفس ما قدمت وأخرت .وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعثه رحمة للعالمين . ونعمة للمؤمنين، ونقمة على الكافرين . أرسله إلى كافة الخلق أجمعين ، فقام يدعو إلى الله تعالى بضع عشر من السنين .فلم يتابعه إلا خصائص من المؤمنين .حتى أمر بالجهاد بجرد السيف على المشركين.فدخلوا فى دين الله افواجا مسلمين ومستسلمين.وبلغت دعوته الآفاق ، وأزالت الشرك والنفاق ، واستنارت وظهرت .اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه الأكارم . الذين بذلوا أنفسهم لله لايخشون فيه لومة لائم . فما وهنت نفوسهم عن الجهاد فى سبيل الله وما استكانت وما كرهت . وسلم تسليما .

وبعد فيقول الفقير إلا مولاه عثمان بن بشر النجدى . وفقه الله تعالى لمرضاته. وسدد أفعاله وكلماته . ان علم التاريخ علم شريف فيه موعظة واعتبار ،واطلاع على

حوادث الدهر الدوار ، ومعرفة أحوال الماضين مما يوقظ الأذهان ، والأفكار ، ويقيس العاقل نفسه على ما مضى من أمثاله فى هذه الدار . وقد قص الله علينا بعض أخبار الأمم فى الكتاب . قال الله تعالى (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب) وأنشد الشافعى رضى الله عنه .

اذا عرف الانسان أحوال من مضى ☆ توهمته قد عاش من أول الدهر

فمن اعتنى بشىء من أخبار الماضين ، فقد أتحف هدية وافرة لمن بعده من الخالقين ، وتتشرف بذكرها أوطانها ، وتفتخر بذلك ملوكها وسكانها ، ويطلبها العلماء والملوك ، ويتحدث بها المالك والمملوك . اللهم يامسبب الأسباب ، وفاتح الابواب ، ومسخر الشمس والقمر والنجوم ، اسألك يامن هو الله لا إله هو الحى القيوم ، أن تطهر ألسنتنا من الكذب ، وقلوبنا من النفاق والعجب . وأن تجعل عملى خالصاً لوجهك الكريم ، وأن تجعل مآلى والمؤمنين إلى جنات النعيم .

واعلم أيدك الله أن التصنيف أمر صعب ، لا ينال إلا بكد وتعب ، ومتعرضا لألسنة الحاسدين ، وتنقشات الطاعنين ، والقلب فى اشغال شاغلة ، ومقاسات أمورها هائلة وما أنافيه من طلب المعيشة وترادف الهموم ، واشياء يعلمها الحى القيوم . ولست ممن يدخل فى هذا الشأن ، ولا يبرز فى ذلك الميدان ، ولكن كما قيل :

خلت الديار فسدت غير مسود ☆ ومن العجاب تفردى بالسؤدد

واعلم رحمك الله ان هذه الجزيرة النجدية هى موضع الاختلاف والفتن ، ومأوى الشرور والمحن ، والقتل والنهب والعدوان بين أهل القرى والبلدان ، ونخوة الجاهلية بين قبائل العربان ، يتقاتلون فى وسط البيوت والاسواق ، والحروب بينهم قائمة على ساق ، وتعذرت الاسفار فيها من قديم وحديث ، والطيب فيها مغلوب تحت يد الخبيث فقام الشيخ رحمه الله تعالى بهذا النور ، وزالت هذه الشرور ، وساعده ملوك بالجهاد ملكوها ، وجهزوا الجيوش لأقصى نواحيها وسلكوها ، حتى افتتحوا بلادها الشاسعة بالقهر والحرب ، وأخذوا أعداءهم بقوة الطعان والضرب ، وقد وعد بذلك أصدق القائلين بقوله فى كتابه المبين : (ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم

عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين. يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم .)

فقاضت البلدان ،وأطاعت قبائل العربان ، وعاشوا فى عيش رغيد ، حتى مضى عليهم مامضى على اقرانهم من السلاطين والملوك. ونفذت فيهم أقدار مالك الملوك.

وقد افردت المجلد الأول من هذا الكتاب شافى لذكر سيرهم ودولتهم، ووافى محتو على ذكر مغازيهم ومناقبهم ، وهو فى فنه كافى ، وذكر ماوضعوا من المآثر الجسام، وأمان زمانهم وفضائلهم التى اشتهرت عند الخاص والعام، ووقائعهم المذكورة وفتوحاتهم المشهورة بين الأنام . وعساكره المنصورة التى أينما سلكت ملكت ، وأينما حلت فتكت وسفكت .حتى أذعن لها كل ضيغم ضرغام . فلما حل القضاء وانتهى الأمد المكتوب وانقضى . انحل نظام الجماعة . والسمع والطاعة ، وتطايرت شرر الفتن فى تلك الأوطان .وتعذرت الأسفار بين البلدان .وعاثت فيها العساكر المصرية فقتلوا صناديد الرجال . وصادروا أهلها فأخذوا مابأيديهم من الأموال . وقطعوا لحدائق الضليلات .وهدموا القصور العاليات وصار أهل نجد بينهم أذل من العبيد. وتفرقت علماؤهم وخيارهم مابين طريد وشريد،وثارت فى غالب البلدان الفتن والقتل والقتال والمحن.وظهر المنكر وعدم الأمر بالمعروف.وصار الرجل فى جوف بيته وجل مخوف ، وتذكروا مابين أسلافهم من الضغائن الخبيثة القديمة . وتطالبوا بالدماء فكل منهم يطلب أولاد أولاد غريمه. فتقاتلوا على سنن ما أنزل الله بها من سلطان.وهجر كثير منهم الصلاة وأفطر فى رمضان ، وجر الرباب والغناء فى المجالس وسفت الذرارى على الجامع والمدارس .وعمرت المجالس بعد النداء للصلوات واندرس السؤال عن أصول الإسلام وأنواع العبادات . وظهرت دعوى الجاهلية فى كل البلاد .وتنادوا بها على رؤوس الاشهاد . وتتابعت هذه المحن فى تلك الجزيرة نحو أربع سنين والشر فيها فى زيادة وظهور وتمكين حتى انعش الله تعالى أهل نجد بشبل من أشبال ملوكها وسلاطينها فبذل نفسه وجرد سيفه لاجتماعها وتمكين دينها فحاصر العساكر فى حصون البلدان ، وأخرجهم منها بما معهم من النساء والولدان . وساقهم من أرض

نجد إلى مصر. فلم يبق لهم فيها عين ولا أثر ورفع راية الجهاد . وساعده السعد والنصر والرشاد . وحاصر من عصى عليه من أهل البلدان . وحارب الباغى من العربان . حتى أمنت البلاد والعباد . وصار أهل نجد كلهم جماعة وبايعوه على السمع والطاعة. وعمرت المساجد بالصلاة . والمدارس فى أصول الإسلام وفروع العبادات . فاحيى الله به ماندرس من معالم أبائه الكرام . ورفع به مقام أهل الإسلام . الوافى بالعقود (تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود) اللهم ارفع منزله فى أعلا الجنان . وتغمده منك بالمغفرة والرحمة والرضوان .

وهذا تابع لسنين الكتاب وذيل عليه . وقد سميته فى أوله (عنوان المجد . فى تاريخ نجد) وقد احببت أن أذكر مقدمة فى نسب هؤلاء الملوك. وإن كان قد سبق شىء منه فى أول الكتاب . لكن ذكرت فيه الماضين .ولم أذكر الباقين فاحببت أن أرسم جميعهم هنا ليتواصلوا الأرحام . ونخراً لهم بين الأنام .

ذكر المؤرخون أن ربيعة بن نزار أولاد أسد وضبيعة فمن ضبيعة عنزة ومن تفرع منهم ومن بنى أسد بنو عبد القيس بن افصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة وهم أهل هجر والبحرين ومنهم وائل بن قاسط بن افصى بن دعمى وولد لوائل بكر بن تغلب وعنز . فاما بكر فمن ذريته بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن بكر وبنو شيبان ابن ذهل بن ثعلبة بن عكابه بن على بن بكر ،ومن بنى شيبان بنو سدوس وحزوى وبهم سمى سدوس ومنهم المشهورون بالجود والكرم معن بن زائدة ويزيد بن مزيد وخالد بن يزيد وغيرهم . ومن بنى بكر بن وائل أيضا بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل أهل حجر من وادى اليمامة. ومنهم بنوا غبرا أهل غبير المعروفة فى الدرعية وبنو قران أهل القرنية وماحولها المعروفة قرب بلد حريملا وبنوا يشكر من بنى بكر بن وائل أهل ملهم . وأما تغلب فيتفرع منهم قبائل يطول عدها ومنهم الأرقم ومن مشاهيرهم عمرو بن كلثوم وكليب وأخوه مهلهل وكل من ذكرنا فى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ومنازل غالبهم البحرين وهجر والقطيف وحجر اليمامة وماولى هذه المنازل . وكان جد آل مقرن الاعلى مانع المريدى

ومسكنه فى بلد الدروع من نواحى القطيف ثم صار بينه وبين ابن درع رئيس حجر اليمامة مراسلة ومواصلة لما بينهما من الرحم فاستدعاه من القطيف وأعطاه من ملكه أرض المليبيد وغصيبة المعروفات فى الدرعية فاستقر فيهما وكان ما فوق المليبيد وغصيبة لآل يزيد آل دغيثر الموجودين اليوم فاستوطن مانع وأصحابه وبنوه إلى غصيبة ومافوق ذلك من سمحه ومن الوصيل إلى بلد الجبيلة إلى الابكين الجبلين المعروفين فى تلك الناحية إلى موضع حريملا لحسن بن طوق . ثم انه لما مات مانع المريدى تولى بعده ابنه ربيعة . فصار له شهرة وكثرت جيرانه من الموالفة وغيرهم. فحارب آل يزيد ثم ظهر ابنه موسى بن ربيعة وصار أشهر من أبيه وترأس فى حياة أبيه ثم انه احتال على قتل أبيه ربيعة فجرحه جراحات . فهرب منه إلى حسن حمد بن حسن بن طوق فى العيينة فآواه وأكرمه لمعروف بينهما . ثم أن موسى جمع جموعا من المردة والموالفه وصبح آل يزيد فى النعمية والوصيل وقتل منهم اكثر من ثمانين رجلا واستولى على منازلهم فدمرها ولم يقم لهم بعدها قائمة وكان يضرب بهذه الوقعة المثل فى زمانهم فيقال صبحهم مثل صباح الموالفة لآل يزيد . واستمر موسى بن ربيعة فى الولاية .ولما مات تولى ابنه إبراهيم . وكان لابراهيم عدة أولاد منهم : عبد الرحمن الذى نزل مرمى وجوا ونواحيهما واستقرت فيهما ذريته . ومنهم ابراهيم بن محمد الذى قتله آل سيف وقتلوا معه ابنيه هبدان وسلطان فى ولاية محمد بن سعود كما تقدم ومن أولاد ابراهيم بن موسى سيف جد آل يحيي أهل أبا الكباش. ومن أولاد ابراهيم عبد الله وله ذرية منهم آل وطيب وآل حسين وآل عيسى وغيرهم . ومن أولاد ابراهيم مرخان وأولاد مرخان ربيعة ومقرن . فاما ربيعة فهو جد رؤساء بلد الزبير وولده وطبان ولوطبان عدة أولاد ذكور . قيل انهم أربعة عشر ، منهم إدريس جد آل دريس ، ومنهم مرخان أبو زيد بن مرخان الذى تولى فى الدرعية وغدر به محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر الملقب خرفاش فقتله وقتل معه دغيم بن فايز المليحى كما تقدم . وسبب نزول وطبان بلد الزبير أنه قتل ابن عمه مرخان بن مقرن بن مرخان وهرب من نجد . وأما مقرن بن مرخان ابن ابراهيم فله من الولد محمد وعياف وعبدالله جد آل ناصر . فآل مقرن اليوم من

ذرية محمد المذكور أبي سعود وذرية عبد الله وذرية عياف وذرية مرخان الذى قتله ابن عمه وطبان . فاما محمد بن مقرن فله من الولد مقرن وسعود ، ومقرن هذا ليس لهذرية إلا عبد الله الذى جعله عبدالعزيز أميراً فى بلد الرياض يوم فتحها.

وأما سعود فخلف أولادا منهم محمد ومشارى وثنيان وفرحان . فأما محمد فهو كما ذكرنا صفت له ولاية الدرعية بعد قتل ابن معمر لزيد وأصحابه .

فلما تبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه بهذه الدعوة فى العيينة عند عثمان بن معمر ورأى عنده ومنه الجفاقصدمحمد بن سعود فأواهونصره وجهز الجيوش لنصر دعوته كما سبق ذلك مفصلا .

ومن أولادهالامامالمجاهد . والبطل المجالد . مجهز الغزاة والجيوش والجنود . ورافع الرايات والبنود . عبد العزيز محمد بن سعود . الذى قاد الجيوش العرمرية لنصر الدعوة المحمدية وسارت جيوشه وجنوده فى أقصى هذه الجزيرةوأدناها . وبلغت سراياه وعماله إلى أقصى منتهاها . حتى عم الأمن والأمان فى البادى والحاضر .وسار الإسلام بحمدالله هو العالى والظاهر . وسيبت الخيل والإبل أيام الربيع فى المفالى وكانت تلقح وتلد فى مفاليها ليس عندها والى إلا رجلا واحداً يتعاهدها من ضياعها أويحملها من مكان إلى مكان لانتفاعها ومن وجد هملا من الإبل أو غيرها ساقها اليه خوفا أن تعرف عنده فتعظم عليه .

ثم ولده الامام سعود بن عبد العزيز الذى قاد الجيوش المنصورة والخيل العتاق المشهورة حتى أذلت صناديد العربان وخضعت رؤسهم لأحكام القرآن . ولأهل القرى والبلدان وأذعنوا لأوامره وحكمه فلم يقدر أحد منهم على مخالفة أمره . فلا يلقى صاحب الدم غريمه إلا بالسلام عليك يافلان ، وصار البادى والحاضر تحت هذا الحكم القاهر كالأقارب والاخوان .ثم أن ابنه الإمام عبد الله بن سعود الذى قاد الجيوش شرقا وغربا . وكابد العساكر المصرية حربا وضربا . فتتابعت عليه الحروب والكروب . فصبر حتى تفرق الناس عليه شعوب . وحارب الترك

فى الحجاز والدرعية . حتى مضى عليه حكم رب البرية . وانتقض نظام الجماعة والائتلاف . بعد ماقاتل قتالا ماقاتله أحد من الأسلاف .

ومن ابناء سعود فيصل وقتل فى حرب الدرعية . وكان له شجاعة وشهرة . وناصر وتركى ماتاقبله ، وابراهيم قتل فى ذلك الحرب . وسعد ، وفهد ، ومشارى ، وعبدالرحمن وعمر ، وحسن ، نقلهم ابراهيم باشا إلى مصر بأولادهم ونسائهم كما تقدم وماتوا هناك

رجعنا إلى الأول . ومن ابناء محمد بن سعود أيضا عبد الله بن محمد بن سعود الذى وازر أخاه عبد العزيز وقاتل معه أشد القتال ، وصار قائدا للفرسان والأبطال ، وصار له شهرة عظيمة ، وقوة وعزيمة . فكم من كتيبة كر عليها وفرقها . وكم من قبيلة فل جمعها ومزقها .

ثم ابنه الإمام تركى بن عبد الله الذى اطفأ الله به نار الفتنة بعد اشتعال ضرامها وهان على كثير من الناس دينها واسلامها . كأنهم لم يكونوا حدثا باسلام ، ولم يجتمعوا على امام . وتهاون كثير منهم بالصلواة . وافطروا فى البلدان فى شهر رمضان وصار هذا الشهر العظيم عندهم كأنه جمادى أو شعبان ، وتعذرت بين البلدان الأسفار واتخذوا دعوى الجاهلية لهم شعار . فحارب البلدان . وقاتل العربان ، ودعاهم إلى الجماعة والسمع والطاعة . حتى ضرب الإسلام بجرانه ، وسكنت الأمة فى أمنه وأمانه

ثم ابنه الامام ، والشجاع الثابت الضرغام . فيصل بن تركى الذى حاز مفاخر الأواخر والأوائل ، واجتمعت فيه المكارم والفضائل ، وطلعت بشائر سعوده ، وهو ملتف فى مهوده ، وتقحم عظائم ماجسر عليها عشائره وجدوده ، وسطا على قاتلى أبيه سطوة يشيب من هولها المولود . فتابع الحرب عليهم حتى جعلهم كلهم خمود وشب الحرب على عبدالله بن ثنيان من شدة بأسه وقوة أعوانه ، ولم يهب شجاعته وبطشه وعدوانه ، واستنقذ الملك بالحرب والضرب من أوانه ، وظهر من مصر من حبس الترك مرتين ، وأخذ الملك قسرا وقهرا كرتين ، ولاخاف صولة الترك والعلوج الابطال ، ولاهاب اشبالا غصبوا ملكه حتى استنقذه منهم بالجلاد والقتال ، وجيش الجيوش برا وبحرا ، وأخذ الممالك طوعا وقهرا ، وسلكت

جنوده فى نجد وعمان ، ودانت له العربان والبلدان ، وتوفرت بحسن سيرته مصالح المسلمين ، وجمع فى سياسته بين الشدة واللين ، سياسة تعجز عنها الملوك وأعوانها ، وصلحت بها الممالك وسكانها ، أقلامه جارية بالعطاء لا تفتر . وخازنة ليس له حاجة إلا تنفيذ الأمر ، ويده بصدقة السر تطلب الجزاء والأجر ،كما قيل شعرا .

ذهاب المال فى حمد وأجر ٭ ذهاب لا يقال له ذهاب

كان مكرما لحملة القرآن والعلماء . رحيما بالأرامل والفقراء والضعفاء، ولم يكن سفاكا للدم الحرام، ولا غاصبا لما فى أيدى الأنام من الحطام، ولقد أحسن من قال فيه من قصيدة :

عفيف شريف النفس للفضل عارف ٭ حليم كريم سالم القلب منصف

وقال آخر :

له فى سرير الملك أصل مؤثل ٭ تلقاه عن أسلافه السادة الغر

هم العقد من أعلا اللآلى منظما ٭ وفيصل فى العقد واسطة الدر

غدت أرض نجد تزدهى بفعاله ٭ وترفل فى ثوب الجلالة والفخر

فلا زالت آثاره باقية على أهل الإسلام . ومآثره ومكارمه متتابعة فى عقبه على تعاقب السنين والأعوام . اللهم يامن لا يزول ملكه ولا نفاذ لكلماته . نسألك أن تمتع المسلمين بطول حياته . وتسبل عليهم ظل بركاته ، واجعله ممن يأتى آمنا يوم القيامة وارفع منزله فى دار المقامة .

وأما أولاد فيصل فالأكابر منهم عبد الله ومحمد وسعود وسيأتى ذكرهم والتنوية بفضلهم وفخرهم . ومن أولاد تركى جلوى وعبد الله ، فأما جلوى فاستعمله أخوه الامام فيصل على ناحية ، وسيأتى ذكره .وأما عبدالله بن تركى فشجاعته مذكورة . ومناقبه معروفة مشهورة ، وكان يستعمله الامام فى سراياه فظهر منه شجاعة وإقدام . ورأى ونقض وابرام . وكان لعبد الله بن محمد أولاد مات أكثرهم فى مصر . ومنهم عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله وكان مؤآزرا لابن عمه الامام فيصل فى الرياض وأما مشارى بن سعود بن محمد بن مقرن فانه الذى وازر أخاه محمد بن سعود فى نصر

هذا الدين ، وابنه حسن بن مشاري الذى قاد السرايا .وقاتل فى الحصون والقرايا مع عبدالعزيز بن سعود . وله أولاد فرسان شجعان قتلوا فى حرب ابراهيم باشا فى الدرعية . وابنه عبد الرحمن ولايحضرنى له شرح حال ولا سمعت له وقائع ولا قتال. وابنه مشاري بن عبد الرحمن هو الذى قتل ابن عمه الامام تركى رحمه الله تعالى . وأما ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن فانه ضرير البصر ولكن الله فتح بصيرته لهذا الدين : وكان عضدا لأخيه محمد بن سعود وهو المشير عليه بالقبول للشيخ والمؤازرة له على هذه الدعوة . ومن ذريته عبدالله بن ثنيان بن ابراهيم بن ثنيان المذكور . ومنهم فيصل بن ناصر بن عبد الله بن ثنيان الذى قتل مع الامام فيصل فى حرب الدلم كما يأتى إن شاء الله تعالى . ومنهم محمد بن يوسف بن ثنيان جاء من مصر وسكن عند الامام فيصل وأما فرحان بن سعود فمن ذريته سعود بن ابراهيم ابن عبد الله بن فرحان . والباقون اليوم من آل مقرن كلهم من ذرية محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم . وذرية أخيه عياف بن مقرن جد آل عياف . منهم حمد وأخواه مشاري وسعود. ومن أولادهم عبد العزيز بن مشاري الذى صار أميرا فى الافلاج شعراً :

من تلق منهم لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وأما آل وطبان أهل الزبير فهم أولاد وطبان بن ربيعة بن مرخان بن ابراهيم أخو مقرن بن ربيعة . قتل ابن عمه مرخان بن مقرن بن مرخان وجلا للزبير فيجتمع آل مقرن وآل وطبان فى مرخان ويجتمعون هم وأهل ضرمى وأهل أبا الكباش فى ابراهيم بن موسى . هذا اختصار ماوجدت من تعريف انسابهم .

وقد رأيت نقلا من كلام محمد بن سلوم : أن قبيلة المردة من بنى حنيفة من قبائل بكر بن وائل وذكر أنه نقله من كلام راشد بن خنين قاضى الخرج والله اعلم .

ولما من الله بتوفيقه وتيسيره بجمع أول هذا الكتاب وتسطيره ،واف بالمقصود من أخبار نجد،وبذلت فيه الجد والجهد، متحر للصواب فيما نقلته من أفواه الرجال، المشاهدين لتلك الوقائع والحروب والقتال ، وما وجدته مسطرا قبل ذلك من

الأخبار بالوقائع فى السنين السابقة قبلها عن العلماء المعتمد على خطهم ونقلهم وكان منتهى ذلك الكتاب على ماسلف آخر سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف ، وهو وقت تركى بن عبد الله فى بلد عرقة تلك السنة .

فجعلت مبتدأ هذا الجزء الثانى فى أول دولته وولايته من أول السنة الثامنة لأنه مشتمل على ذكر حروبه وسياسته للرعايا ، وينتهى إلى ولاية ابنه الامام فيصل بن تركى وماتخلل سنى ولايته مما جرت به المقادير من نزع الملك من يديه وما قضى الله من التيسير ورجوعه عليه . وما جرى له من وقوع الفرج وزوال الحرج وظهوره على كل من حاربه واساء اليه ، أحسن الله تعالى تقضى هـذا الزمان على خير وعافية وأمن وأمان وعافانا والمسلمين من كل بلية ، ومتعنا بأمامنا فى عيشة رضية مرضية ، مستقيمين على سنة خير البرية ، اللهم يامن إذا دعاه المضطر أجابه، افتح لأدعيتنا باب الإجابة .

وأنا اسأل من وقف على ذلك فرأى خللا أن يصلحه فان بضاعتى مزجاة، ومن شيم الاشراف ، ستر هفوات الضعاف ، لاسيما وقد كنت فى أيام تركى فى غاية الاشتغال ، من مكابدة الزمان وتغير الأحوال ، وضيق المعيشة فى تلك الأزمان، مما يذيب القلوب ويشتت الأذهان ، ولم أكتب من سيرته وأخباره إلا اليسير وفاتنى منها الكثير ، ونسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل، ويوفقنا للقول والعمل، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين والف ﴾ وفى رمضان منها أقبل تركى ابن عبد الله من بلد الحلوة المعروفة فى الجنوب ومعه نحو ثلاثين رجلا ليس معهم سلاح وقصد بلد عرقة فنزلها واستقر فيها وأول من ساعده وسار اليه حمد بن يحيى ابن غيهب، أمير بلد شقرا وأرسل تركى ابن عمه مشارى بن ناصر بن مشارى بن سعود إلى سدير وكتب معه إلى سويد صاحب جلاجل أن يقدم اليه بما استطاع من الرجال وآلة الحرب . فركب اليه سويد برجال من أهل جلاجل وسدير والمحمل ومنيخ فقدم عليه فى بلد عرقة فرفع راية الحرب وقصد الرياض ومنفوحة

وفيها عسكر لمحمد على باشا مصر مع أبى على البهلولى المغربى نحو ستمائة مقاتل وفارس فوقع الحرب بينه وبينهم ولم يلبث سويدومن معه إلا مدة يسيرةورجعوا إلى بلدانهم وبقى معه شرذمة قليلة . فلما رحلوا من عنده سار اليه أهل الرياض وأهل منفوحة وعسكر الترك وحاصروه أشد الحصار فصبر لحربهم صبرا عظيما وقطعوا أكثر ثمار عرقة وبعض النخيل . وذلك فى أول السنة التاسعة . ثم رحلوا عنها وبقى الحرب على حاله هذا وأهل حريملا وثرمدا والخرج له محاربون ولأهل الرياض مظاهرون . وأما أهل الوشم وسدير فانهم قدتوقفوا عنه بعد ما تصالحوا فيما بينهم عن الحروب .

وفى هذه السنة نزل حسن أبو ظاهر ومن معه من عساكر الترك فى بلد عنيزة بعد مارجعوا من جبل شمر فلما استقر حسن فى عنيزة طلب من أهلها أموالا وحبس أمير البلد عبد الله الجمعى ورجالا من رؤسائها فسلموا له بعض المطلوب ثم أن أهل عنيزة لما عرفوا غدره وأن ظلمه فى زيادة قاموا عليه وعلى من معه من العساكر بالحرب فطلب الأمان هو ومن معه فأعطوهم الأمان وأخرجوهم منها صاغرين ونزلوا خارج البلد وأقبل اليه العسكر الذين فى ثرمدا واجتمعوا به ثم ارتحلوا جميعاً منها إلى المدينة وابقى حسن أبو ظاهر محمد أغا ومعه ستمائة رجل من الترك فى قصر الصفا فى عنيزة فلما رحل قام عليهم أهل البلد وطلبوا منهم أن يخرجوا ويلحقوا بأصحابهم بلا حرب فأبوا فقام عليهم أهل البلد وحاربوهم ووقع بينهم قتال ورموا أهل البلد بالمدافع وقتل من الترك نحو سبعين رجلا ثم انه وقع الصلح بينهم واخرجوهم من القصر بالأمان وتركوا لهم ما بأيديهم من سلاح ومتاع ثم أن أهل عنيزة هدموا قصر الصفا ولم يبق فى نجد أحد من الترك إلا العسكر الذين فى الرياض ومنفوحة .

﴿ مناخ الرضيمة ﴾ وفى هذه السنة فى رجب مناخ الرضيمة الموضع المعروف فى العرمه بين فيصل الدويش وأتباعه من مطير والعجمان وغيرهم، وبين ماجد بن عريعر واتباعه من بنى خالد وعنزة وسبيع وغيرهم ، وقع بينهم قتال شديد يشيب من هوله المولود فانهزمت بنو خالد وأتباعهم هزيمة شنيعة وتركوا محلهم وأثاثهم

وأغنامهم وغالب أبلهم ، فغنمها الدويش وأتباعه وقتل عدة قتلى من الفريقين ، وممن قتل من عنزة مغيليث بن هذال وقتل من مطير حبان بن قحيصان رئيس البرزان جليس سعود بن عبد العزيز .

وفي هذه السنة وقع الصلح بين سويد رئيس جلاجل وبين عبد العزيز بن جاسر بن ماضي وأهل عشيرة وغيرهم وهدأت الحرب في سدير وتزاوروا بينهم واجتمع بعضهم ببعض ، هذا وتركي بن عبد الله إذ ذاك في بلد عرقة محاربا لأهل الرياض وأمره في قوة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين والف ﴾ وتركي بن عبد الله في بلد عرقة محارباً لأهل الرياض ومنفوحة وأهل الخرج وضرمى وثرمداوحريملاوأكثر أهل بلدان نجد يكاتبونه بلا متابعة ثم انه عزم أن يسطو على ناصر السيارى في ضرمى فسار اليه واستخلف في عرقة عمر بن عفيصان وليس معه إلا شرذمة قليلة فدخل بلد ضرمى فوجد السيارى في سطح المسجد وكان بطلا شجاعا فتعانقا وتصارعا فسقطا جميعاً من أعلى السطح ولم يفلته تركي حتى قتله واشتهرت هذه القضية في نجد وكان تركي رحمه الله له شجاعةرهمة يعجز عنها صناديد الأبطال ، والضرغمة الأشبال ، فاستولى تركي على ضرمى وأقام فيها .

وفي ربيع أول من هذه السنةوقع الحرب بين أهل المجمعة وأهل حرمةقتل بينهم عدة قتلى منهم حمد بن عثمان بن صالح أمير المجمعة زمن سعود .

سطوة آل جلاجل وأهل الروضة وأتباعهم في بلد جلاجل

وفيها انتقض الصلح بين أهل سدير ورئيس جلاجل وذلك أن محمد بن عبد الله ابن جلاجل الذى كان أبوه عبد الله أميرا في جلاجل في زمن عبد العزيز بن سعود على جميع بلدان سدير كما تقدم خاف منه صاحب جلاجل سويد واجلاه منه فقام عليهم بالحرب من أجل ذلك فلما طال ذلك عليهم وقطعهم عن معايشهم جنح كل منهم للصلح فتصالحوا كما سبق وركب محمد بن جلاجل إلى بغداد قاصدا ابن عمه

راشد بن عثمان بن جلاجل وكان راشد ذا شجاعة وحمية ومال فلما قدم عليه ذكر له الذى صار عليه من صاحب جلاجل وانه أجلاه وأخذ نخله وماله فساعده وظهر معه من بغداد وانتدب للحرب وبذل فيه المال وساعدهما ابراهيم بن فريح بن حمد ابن ماضى صاحب بلد الروضة ، وظهروا جميعاً من بغداد فلما قدموا بلد الزبير جمع راشد رجالا من أهل سدير وغيرهم وخرجوا إلى نجد فى نحو من خمس وعشرين مطية فقدموا إلى سدير وقاموا يتشاورون فى الحرب أو الصلح بينه وبين رئيس جلاجل واقبلوا فى ذلك وأدبروا وطمع مضرمة الفتن فى المال فاضرموا الحرب وانتقض الصلح .

فلما كان ليلة ست وعشرين من رمضان اجتمعوا فى بلد التويم وفيهم صناديد أهل سدير من أهل عشيرة وغيرهم وقصدوا بلد جلاجل فى تلك الليلة ليسطوا فيه فصرف الله قلوبهم وأعمى أبصارهم فتاهوا بين البلدين ولم يدرون إلا وهم راجعون إلى التويم لما لله فى ذلك من الحكمة البالغة والدماء التى لم يبلغ أجلها ولم يرد الله اهراقها فى تلك الليلة ، فاقاموا فى التويم ذلك اليوم ولم يبلغ خبرهم أهل جلاجل . فلما كان ليلة سبع وعشرين من رمضان المذكور ساروا ساطين فى بلد جلاجل ولم يعتبروا بما مضى لهم فى الليلة الأولى فقصد أهل عشيرة واتباعهم شرقى البلد ورئيسهم محمد بن ناصر بن حمد بن ناصر بن عشرى وتسوروا جدار البلاد وقصد راشد بن جلاجل وابن أخيه محمد واتباعهم من أهل الروضة والتويم وغيرهم شمالى البلد وعلقوا السلالم وتسوروا الجدار وقصدوا القصر فوصلوا إلى المجلس ودخل سويد وأتباعه قصرهم وأصاب أهل البلد كآبة ووهن ووصل أهل عشيرة مسجد الجامع ونزلوا البيت الذى على المسجد يرمون منه القصر . فتراجع أهل البلد وظهر سويد من قصره ومعه محمد العميرى ورجال من أهل ثادق والمجمعة وحصل بينهم ضرب بالبنادق بين القصر والمجلس . فضرب ابراهيم بن فريح بن ماضى ببندق وهو سردال هذه السطوة فخر صريعا ومات من ساعته وجرح فيهم جراحات كثيرة فولوا منهزمين وخرجوا من البلد . ثم رجع سويد واتباعه على أهل

عشيره وهم فى المسجد فاخرجوهم منه واحتصر بعضهم فى البيت ثم هرب بعضهم وقتل باقيهم صبرا وقتل فى هذه الوقعة صناديد السطوة وأبطالهم حتى انه قال رئيس المجمعة لما بلغه خبرهم . لوجمعوا هؤلاء لوليمة لم يتفق اجتماعهم . وممن قتل منهم محمد بن ناصر رئيس أهل عشيرة خارفى البلد ثم دخل فى بيت واختفى فيه فعلم به سويد بعد الظهر فاخرجه منه وقتله صبرا وموسى بن عبدالعزيز بن موسى قتل صبرا وثلاثة رجال من أهل عشيرة وناصر بن عبد الله بن فوزان بن حمد بن مانع بن عشرى من عشيرة قتل صبرا . ومن مشاهير بلد الروضة ابراهيم بن فريح بن ماضى ومحمد بن عبد الله بن ماضى قتل صبرا وعبدالله بن سليمان الكليبى قتل صبراً ومن أهل للتويم محمد بن زامل بن إدريس قتل صبرا وغيره . وعدة من قتل من تلك السطوة إحدى وعشرين رجلا وقتل من أهل جلاجل سليمان بن فوزان بن سويلم من رؤساء أهل بلد ثادق جلس عند سويد حياله ومعه رجال من أهل المحمل . وقتل محمد بن عبد الله العبادى من شجعان أهل جلاجل وعدة من قتل منهم ستة رجال . ثم راشد بن جلاجل وأتباعه أرادوا أن يسطوا أخرى وعملوا السلالم ورجعت الفتنة بكرا فأطفاها الله تعالى على يد الفارس الهمام . والليث الضرغام . الأمام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود . فلما كان منتصف شوال من هذه السنة وأهل سدير فى غاية الفتنة وسد أهل جلاجل باب بلدهم الشرقى وهم يرتبون السطوة عشية أو بكرة إذ أقبل تركى بن عبدالله من بلد ضرما ومعه ابن السيارى فنزل بلد ثاذق وكتب إلى أهل سدير انه من كان منكم فى السمع والطاعة فليسكن عن الحرب والفتنة ويقبل إلى فلما ورد عليهم رسوله بكتابه لم يسعهم إلا المتابعة والسمع والطاعة . فركب اليه جميع رؤساء سدير وبايعوه ثم أنه استنفر أهل المحمل فنفروا معه وسار بهم ومعه الشيخ القاضى محمد بن مقرن إلى سدير فدخل بلد جلاجل وبايعه أهلها وكتب إلى مزيد بن حمد بن عثمان رئيس بلد المجمعة يدعوه إلى الطاعة فلم يجبه فاستنفر عليه أهل سدير وقصده فى بلده فحاصره ساعة من نهار فظهر اليه الشيخ القاضى عثمان بن عبد الجبار ومعه أربعة رجال من رؤساء

البلد فبايعوه وصالحوه على البلد فدخلها وأخرج مزيد بن حمد من القصر وجعل فيه مرابطة رئيسهم محمد بن صقر من أهل العمارية وبايعه أهلها على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وأقام فيها نحو شهر وأخذ منها خياما وجدها بعد عسكر الترك وسلاحا ودراهم وقتل من أهلها على بن عبد المحسن بسبب كلام تعرض فيه آل سعود ووفد اليه رئيس الغاط أحمد بن محمد السديرى وأهل الزلفى وكاتبه أهل شقرا وغيرهم من أهل الوشم فلما عزم على الرحيل منها استنفر أهل الزلفى والغاط ومنيخ ، سدير فساروا اليه فقصد بهم حريملا ونازل أهلها وحصل بينهم حرب وقتال . ورئيس مقاتلة حريملا إذ ذاك ناصر بن ناصر بن راشد الذى قتله ولد الصميط فى الزبير كما سيأتى إن شاء الله تعالى . وقتل عـــدة قتلى من الفريقين .

ثم إن الإمام حشد بالمسلمين على البلد والسلالم بأيديهم وتكلم لرئيس البلد حمد بن مبارك وكان رجلا عاقلا وحلف له إنه إن غاب القمر ولم تخرجوا إلىّ للصلح لأنزلن بالمسلمين فى وسط البلد فخرج اليه حمد وبايعه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وصالحه على نخيل آل راشد وما كان بأيديهم وولاية بلده فاعطاه تركى ماطلب ووفا له بذلك ثم سار منها إلى منفوحة واستنفر معه أهل حريملا فنزل عليها ووقع فى قلوب أهلها الرعب وطلبوا الصلح وخرج اليه أميرها إبراهيم بن سلامة ابن مزروع وبايعه واخرج من فيها من العسكر .

﴿ ثم دخلت سنة أربعين ومائتين والف ﴾ وفى أولها سار تركى رحمه الله بجنوده من منفوحة ونازل أهل الرياض وفيه العساكر المصرية وحصل بينهم وقائع عديدة قتل من الفريقين عدة قتلى . ثم أمر تركى من معه أن يصرموا نخيل الرياض فصرموها وذلك بعد ما أصفرت وأحمرت ودمروا زروعها إلا ما حمته القلعة ودام الحصار إلى نحو شهر ورئيس العارض إذ ذاك عبد الله بن حمد بن ناصر العائذى ملكها بعد أخيه ناصر لما قتل فى وقعة الخابر كما تقدم .

ثم أنه أقبل فيصل الدويش بجميع عربانه فزعاً لأهل الرياض فرحل تركى. ونزل بجنوده بلد عرقة وأقام الدويش عند أهل الرياض أياماً ثم رحل عنهم فرجع إليهم تركى بجنود المسلمين وحاصرهم أشد الحصار . ثم أن أبا على المغربى رئيس العساكر الذين فى الرياض طلب المصالحة له من تركى ولأهل العارض الذين فى العارض فصالحه تركى على أنه يخرج بعساكره من الرياض ويذهب إلى أوطانه هو ومن معه وجميع أهل العارض وأميرهم عبد الله بن ناصر فى أمان فتم الصلح على ذلك فأمر تركى على ابن عمه مشارى بن ناصر بن مشارى بن سعود أن يدخل بلد الرياض ويضبطها وأرسل معه رجالا وأمر على العسكر يتجهزون للرحيل ويخرجون وقدم عليه رئيس حوطة بنى تميم بغزوة وصاحب الحريق بغزوه ولم يبق إلا أهل الخرج لأن الذين أجلاهم آل سعود إلى الشمال هم الرؤساء فيهم . إذ ذاك عادوا بعد هدم الدرعية إلى أوطانهم ثم رحل تركى بجنود المسلمين وقصد ناحية الوشم ونزل شرمداً فبايعه رئيسها سلطان بن عبدالله العنقرى على السمع والطاعة ثم رحل معه ومعه سلطان المذكور بغزوة من أهل ثرمدا ودخل بلد شقرا ونزل بمن معه من المسلمين فى بيوت فى وسط البلد لأن أهل بلد شقرا أهل صدق ونصح مع المسلمين وكان تركى خاف أن أبا على المغربى إذا وصل ثرمدا ينزلها بعساكره ويحارب فيها وتشتد وطأته فبلغ من رأيه أن ينزل شقرا فنزلها وأقام فيها نحو شهر حتى قدم عليه أبو على وعساكره وسافروا منها إلى المدينة ومنها إلى مصر ووفد عليه فى شقرا يحيى ابن سليمان أمير عنيزة ومعه رجال من رؤساء بلده وبايعوه على السمع والطاعة وكاتبه رؤساء القصيم ثم وفدوا عليه بعد ذلك كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

ثم رحل الإمام تركى من شقرا واستعمل فيها وفى ناحية الوشم أميرا حمد بن يحيى بن غيهب وأذن لأهل النواحى يرجعون إلى أوطانهم وسار إلى الرياض مسروراً منصوراً واستوطنه — وفى رمضان من هذه السنة استنفر الإمام تركى رحمه الله رعاياه من سدير والوشم والمحمل والعرض والفرع والأفلاج وقصد ناحية الخرج ونازل أهل نعجان واستولى على بلدهم وخرج إليه رئيس بلد الدلم زقم بن زامل

بجنوده وحصل بينهم قتال فانهزم زقم إلى بلده وقتل من أصحابه عدة رجال ، ثم أنه رحل وحاصر أهل الدلم فطلبوا الصلح فأرسل إليهم حمد بن مبارك بن راشد رئيس بلد حريملا فدخل على زقم فى قصره وانفصل الصلح على أن زقم بن زامل يخرج هو ومن معه فى القصر على دمائهم وما كان لزقم من المال فهو لتركى فتم الصلح على ذلك واستولى تركى على الدلم وأخذ جميع ما كان لزقم وأتباعه من خيل وسلاح وسار بزقم إلى الرياض .

ثم سار جيش من المسلمين إلى بلد السلمية فلما وصلوها سلمت لهم البلد واحتصر رئيسها مشعى بن براك فى قصره مدة أيام ثم أنزلوه بالأمان على ما فى قصره من الرجال والسلاح والمتاع .

ثم أرسل إلى كليب البجادى فى اليمامة يدعوه إلى المبايعة فبايعه هو وأهل بلده وسارت تلك الناحية كلها سامعة مطيعة ورحل تركى إلى بلده وأذن لأهل النواحى يقصدون أوطانهم .

وفى هذه السنة استعمل الإمام تركى الشيخ محمد بن مقرن قاضياً فى المحمل وحريملا وكان الشيخ الجليل مفيد الطالبين عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين إذ ذاك قاضياً فى الوشم فأمر عليه تركى أن يكون أيضاً قاضياً فى سدير فسار إليه ونزل الروضة وتوجهت إليه الخصوم ورحل إليه طلبة العلم من أهل سدير ومنيخ وأخذوا عنه فكان يأخذ بعض السنة فى سدير وبعضها فى الوشم واستعمل تركى على بيت مال سدير أحمد بن ناصر الصانع وكان رجلا حليما جواداً من أوفر أهل زمانه عقلا وشمتاً وكرماً

وفيها غرس الشيخ محمد بن مقرن بن سند القرنية البلد المعروفة عند حريملا وسكنها وأكثر مقامه فى حريملا . وفى شعبان منها أقبل قافلة من البصرة والزبير لأهل سدير والوشم والقصيم والزلفى والعارض وغيرهم رئيس القافلة على آل حمد من أهل الزلفى ومعهم أموال عظيمة من الهدم والقماش والحرير وغير ذلك فاعترضهم مشعان بن مغيليث بن هذال وأتباعه من قبائل عنزة فى جراب الماء المعروف فحصل بينهم قتال فأرسل مشعان إلى على آل حمد أن يأتى إليه للصلح وكان ذلك مكراً وخديعة منه فأتى إليه فحبسه . وكان فى القافلة عدة رجال من قرابته وجماعة من أهل

الزلفى فنادى مناديه : أنكم يا أهل الزلفى تعلمون أن كبيركم عندنا ، فإن بادرتمونا بالحرب قتلناه . فتخاذلوا خوفاً أن يقتل على آل حمد وأخذ مشعان ومن معه جميع القافلة وأقبل أهلها يمشون حفاة على أرجلهم مسلوبين أموالهم وركابهم وسلاحهم ولباسهم فلم يلبث بعدها مشعان إلا نحو خمسين يوماً حتى قتل . وذلك أنه لما أخذها وسار إلى بلد الغاط وتزوج بنت محمد السديرى ثم رحل إلى الشماسية المعروفة فى القصيم فسار إليه فيصل الدويش بعربانه من مطير ومعهم عسكر من المغاربة والترك وابن مضيان من حرب فوقع بينهم وبين مشعان ومن معه من قبائل عنزة قتال . فقتل مشعان فى مجاولة الخيل قتله فارس من عسكر الترك وذلك بعد ما انهزم الدويش وأتباعه وقتل من أتباع الدويش سعدون بن فراج وغيره وأخذ قبائل عنزة من أتباع الدويش ركائب وأمتعة كثيرة وهذه من العبر الكبار . المنبهة على قدرة العزيز الجبار . أن هذا الباغى على تكبره وعتوه قتل فى هزيمة عدوه .

وفيها سار أحمد باشا رئيس مكة بعسكر كثير ومعه عدد من أشراف مكة وغيرهم فقصد بلدان عسير . ورئيس عسير إذ ذاك سعيد بن مصلط . وكان مشهوراً بالديانة والعبادة فوقع بينهم وبين عسير قتال ثم أن الله تعالى أمضى أمراً من خوارق العادات وذلك أنهم لما أمعنوا فى ناحية عسير ونزلوا فى وادى السرح من أرض تهامة أنشأ الله سبحانه القادر سحابة فأرعدت وأبرقت ورمت هذا العسكر ببرد لا يعرف له نظير وهلك غالب العسكر ولم ينج منهم إلا القليل . قيل إن الذين سلموا منهم نحو خمسين رجلا فانهزموا إلى الحجاز ولم يقم لهم بعد هذه الآية قائمة مدة سنين وكان إذ ذاك عسكر عسير ليسوا ببعيد منهم فلم يصبهم من ذلك البرد شىء .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف ﴾ وفيها أقبل مشارى بن عبد الرحمن بن مشارى بن سعود هارباً من مصر فقدم على خاله تركى بن عبدالله فى الرياض فأكرمه وأعطاه عطايا جزيلة واستعمله أميراً فى بلد منفوحة . وفيها استعمل الإمام تركى عمر بن محمد بن عفيصان أميراً فى ناحية الخرج .

وفيها توفى الشيخ القاضى عبد الله بن سليمان بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبيد قاضى ناحية سدير فى أول ولاية تركى . وكان قبل ذلك قاضياً فى جبل

شمر عند محمد بن على رئيس الجبل زمن سعود بن عبد العزيز . فلما خربت الدرعية أقبل من الجبل إلى بلده جلاجل وسكنها . وفيها توفى أمير عسير وسعيد بن مصلط وكان شجاعاً مطاعاً وتولى بعده فى عسير على بن مجثل .

وفيها أقبل من مصر الشيخ العالم النحرير . البحر الزاخر الغزير مفيدالطالبين المحفوف بعناية رب العالمين . جامع أنواع العلوم الشرعية . ومحقق العلوم الدينية والأحاديث النبوية . والآثار السلفية . وارث العلم كابراً عن كابر . الذى صارت الأصاغر بإفادته شيوخاً أكابر . قاضى قضاة الإسلام والمسلمين ، مفتى فرق الأنام الموحدين . ناصر سنة سيد المرسلين . الموفق للصواب فى الجواب ، الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد عبد الوهاب ، متع الله المسلمين بحياته ، وأفاض عليهم من علومه وبركاته . فقدم على الإمام تركى بن عبدالله قدس الله روحه ففرح به وأكرمه غاية الإكرام ، واغتبط بطلعته خاص المسلمين والعام ، فعظموه وقاموا بما يستحقه من الإعظام ، وبذل نفسه للطالبين ، وانتفع بعلمه كثير من المستفيدين . فمن انتفع به وتفقه عليه حتى صار قاضيا يرجع فى الفتوى إليه من ذريته وذرية جده محمد بن عبدالوهاب عدد كثير ، منهم العالم الفاضل ذو الأخلاق المرضية ، حاوى العلوم الأدبية والشرعية ، الملحوظ بعين التشريف إبنه الشيخ عبد اللطيف . قدم من مصر سنة أربع وستين ومائتين وألف ومعه كتب كثيرة وانتفع الناس بعلمه وكان عنده حلقة فى التدريس وكان أخذ العلم عن أبيه فى مصر وأخذ أيضا عن غير أبيه واستعمله الإمام فيصل قاضيا فى الإحساء ثم كان قاضياً مع أبيه فى الرياض . وتفقه عليه أيضا الشيخ العالم عبدالرحمن بن القاضى حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان قاضياً فى ناحية الخرج ، وتفقه عليه أيضاً الشيخ العالم الفقيه حسن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قاضى الإمام تركى فى الرياض ولم تطل مدته مات شاباً سنة خمس وأربعين . وتفقه عليه أيضاً الشيخ العالم عبد الملك بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضى فى حوطة بنى تميم للامام فيصل . وتفقه عليه أيضاً الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضى فى الحريق للامام فيصل . وتفقه عليه أيضاً الشيخ

حسين بن على بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضى فى الرياض للامام فيصل ، وتفقه عليه أيضاً الشيخ عبد الله بن حسن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأخذ عنه من لم يل القضاء من ذرية الشيخ وهو الآن فى طلب العلم يترقى حسن ابن على بن حسين ، وأبناء الشيخ محمد بن على بن الشيخ : وهم عبد الله وعبد العزيز وعلى وعبد الرحمن وأبناء القاضى على بن حسين وهما : عبد الله وحسن ، وأما محمد بن الشيخ على بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكان من الطالبين المجتهدين وكل هؤلاء من ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، وأما من أخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن من غير قرابته من علماء نجد فعدد كثير وجم غفير ممن ولى القضاء وغيرهم : فمنهم الشيخ العالم المشار بالتعظيم إليه والمتفق بالثناء عليه الشيخ عبد العزيز بن القاضى عثمان بن عبد الجبار ابن شبانة قاضى بلدان منيخ والزلفى والغاط للامام تركى ثم لإبنه فيصل ، وأخذ عنه أيضاً العالم الضرير الشيخ عبد الله بن نصير القاضى فى الرياض للامام تركى ثم فى ضرما وتوفى فيها رحمه الله تعالى ، وأخذ عنه أيضاً العالم المفيد ذو القول السديد ، والفعل الحميد ، الشيخ ناصر بن عيد القاضى فى الرياض للامام تركى ثم فى بلد الحلوه وأخذ عنه أيضاً الشيخ العالم الورع ذو الاتقان ، الشيخ محمد بن سلطان ، قاضى بلد عرقة للامام تركى ثم لابنه فيصل ، وأخذ عنه أيضاً الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن حمد الثميرى القاضى فى سدير للامام تركى ثم كان قاضياً فى الزلفى للامام فيصل ، وأخذ عنه أيضاً الشيخ حمد بن عتيق القاضى فى الحلوه . ثم جعله فيصل قاضياً فى الأفلاج ، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبد الله بن جبر القاضى فى منفوحة وأخذ عنه أيضاً الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف القاضى فى جبل شمر عند ابن رشيد إلى أن مات رحمه الله تعالى ، وأخذ عنه أيضاً العالم البحر الغزير ، الفقيه النحرير عبد العزيز بن حسن بن يحيى القاضى فى حريملا والمحمل للامام فيصل ، وأخذ عنه أيضا الشيخ ذو الدراية والعرفان محمد بن ابراهيم بن عجلان القاضى فى الحريق . وأخذ عنه أيضا الشيخ عبد الله بن على بن مرخان القاضى فى ضرما للامام فيصل .

وأخذ عنه أيضاً الشيخ حمد بن عبد العزيز بن القاضي محمد بن عبد العزيز قاضي بلد ثادق للامام فيصل : وأخذ عنه أيضا الشيخ عبد الرحمن بن عدوان . وأمامن أخذ عنه ممن لم يل القضاء فعدد كثير ونفع الله الطلبة بعلمه بحيث أن الطالب لا يلبث إلا يسيراً عنده حتى يكون فائقاً بفهمه فضرب اليه أباط الإبل من أقطار نجد والاحساء وظهر آثار البركات من تعليمه وفشا ، كيف لا وهو من شجرة مباركة أضاء نور طالعها للمسلمين وفشا ولاح وميض برقه حين غشا فكان سنا برقه يذهب بالأبصار يهدى الله لنوره من يشاء، اللهم ياسميع الدعاء ياإله الأرض والسماء نسألك باسمائك الحسنى أن تجزهم عنا وعن المسلمين أحسن ماجزيت من دعا إلى توحيدك وأن تجعل العلم النافع فيهم وفى عقبهم باقيا إلى يوم لقائك وشهودك . وقد صنف الشيخ عبد الرحمن بن حسن مصنفات فى الأصول والفروع أكثرها رداً على أهل المقالات ومن غلط منهم فى الصفات . وله مصنف فيما يحل ويحرم من الحرير . فمن طالعه دله على علمه الغزير . ردا على من أباح لبس المحرمة الروغان. التى ابتلى الناس بلبسها فى هذا الزمان . واختصر شرح التوحيد لسليمان بن عبدالله ابن الشيخ الذى سبق ذكره لأنه مات قبل أن يتمه ، وقد كان متنبها فطنا لدسائس أهل البدع . كتبت له مرة ودعوت له فى آخر الكتاب ،وقلت فى ختام الدعاء إنه على مايشاء قدير . فكتب إلى وقال فى أثناء جوابه ان هذه الكلمة أشتهرت على الألسن من غير قصد وهو قول الكثير إذا سأل الله تعالى قال وهو القادر على مايشاء ، وهذه الكلمة يقصدون بها أهل البدع شراً وكل مافى القرآن وهو على كل شيء قدير ، وليس فى القرآن والسنة مايخالف ذلك أصلا لأن القدرة شاملة كاملة وهى والعلم صفتان شاملتان يتعلقان بالموجودات والمعدومات وإنما قصد أهل البدع بقولهم وهو القادر على مايشاء أى أن القدرة لا تتعلق إلا بما تعلقت به المشيئة انتهى. وكتبت إليه مرة أهنيه بقدوم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر وتوسلت إلى الله فى دعائى بصفاته الكاملة التى لا يعلمها إلا هو فكتب إلى فقال . وقد ذكرت وفقك الله فى وسيلة دعوتك جزاك الله عنى أحسن الجزاء عن تلك الدعوات . قلت

وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة التى لايعلمها إلا أنت . فاعلم أيها الأريب الأديب أن الذى لايعلمها إلاهو كيفية الصفة وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كما قال الامام مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول . ففرق هذا الإمام بين مايعلم من معنى الصفة على مايليق بالله فيقال استواء لايشبه استواء المخلوق ومعناه ثابت لله كما وصف به نفسه وأما الكيف فلا يعلمه إلاالله فتنبه لمثل هذا فالإمام مالك تكلم بلسان السلف فانظر إلى سعة علومه واطلاعاته . ومفهومه وما لديه من التحقيق والتدقيق،وكان كثيراً مايتعاهد أهل بلدان نجد بالمراسلات والنصائح يعلمهم مايجب عليهم أمر دينهم ويذكرهم نعمة هذا الدين واجتماع شمل أهل الإسلام عليه ومامنّ الله به على أهل نجد فى آخر الزمان .

وورد علينا منه رسالة بعثها إلى بلدان نجد واحببت أن أذكرها فى ترجمته هذه لأنه ذكر فيها . بدأ وأمر الشيخ جده محمد بن عبد الوهاب وأول ظهور هذا الدين على يديه فى نجد .

رسالة الشيخ عبد الرحمن بن حسن

قال : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم لدين . إياك نعبد وإياك نستعين ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين . وعلى آله وصحبه أجمعين . ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد فالذى أوجب هذا الكتاب ذكر ما انعم الله به عليكم من نعمة الإسلام الذى عرفكم به وهداكم اليه وتسمون به فلايعنى باسم المسلمين إلا انتم وماأعطاكم الله تعالى فى هذا الدين من النعم اكثر من أن تحصر لكن منها نعم كل واحدة منها حصولها نعمة عظيمة لأن المعارض لها قوى جداً أولها كون الدعوة إلى دين الإسلام ماقام فى بيانها والدعوة اليها إلا رجل واحد فلما شرح الله صدره واستنار قلبه بنور الكتاب والسنة وتدبر الآيات وطالع كتب التفسير وأقوال السلف فى المعنى والأحاديث الصحيحة سافر إلى البصرة ثم إلى الاحساء والحرمين لعله أن يجد من يساعده على ماعرف من دين الإسلام فلم يجد أحداً ، كلهم قد استحسن العوائد وما كان عليه غالب الناس في

هذه القرون المتأخرة إلى منتصف القرن الثانى عشر ولا يعرف أن أحدا دعا فيها إلى توحيدالله وأنكر الشرك المنافى له بل قد ظنوا جواز ذلك واستحبابه وذلك قد عمت به البلوى من عبادة الطواغيت والقبور والجن والاشجار والأحجار فى جميع القرى والأمصار والبوادى وغيرهم فما زالوا كذلك إلى القرن الثانى عشر فرحم الله كثيراً من هذه الأمة بظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وكان قد عزم وهو بمكة أن يصل الشام مع الحاج فعاقه عائق فقدم المدينة وأقام بها ثم أن العليم الحكيم رده إلى نجد رحمة لمن أراد أن يرحمه بمن يأويه وينصره وقدم على أبيه وصنوه وأهله ببلد حريملا فبادأهم بالدعوة إلى التوحيد ونفى الشرك والبراءة منه ومن أهله وبين لهم الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وكلام السلف فقبل منه من قبل وهم الأقلون وأما الملأ والكبراء الظلمة الفسقة فكرهوا دعوته فخافهم على نفسه وأتى العيينة وأظهر الدعوة بها وقبل منه كثير منهم حتى رئيسهم عثمان بن حمد بن معمر ثم ان أهل الاحساء وهم خاصة العلماء انكروا دعوته وكتبوا شبهات تبين عنه جهلهم وضلالهم وأغروا به شيخ بنى خالد فكتب لإبن معمر أنه يقتل هذا الشيخ أو يطرده فما تحمل مخالفته فنفاه من بلده الدرعية فتلقاه محمد بن سعود بالقبول وبايعه على أن يمنعه مما يمنع منه أهله وولده وهذه أيضا نعمة عظيمة وكون الله أتاح له من ينصره ويأويه والذى أقوى من ابن سعود لم يحصل منه ذلك وصبر محمد على عداوة الأقصى والأدنى من أهل نجد والملوك من كل جهة وبادأهم دهام بن دواس بالحرب فهجم على الدرعية على حين غفلة من أهلها وقتل أولاد محمد فيصل وسعوداً فما زاد محمد إلا قوة وصلابة فى دينه على ضعف منه وقلة فى العدد والعدة وكثرة من عدوهم وذلك من نعمة الله علينا وعليكم فرحم الله هذا الشيخ الذى أقامه الله مقام رسلة وانبيائه فى الدعوة إلى دينه ورحم الله من آواه ونصره فلله الحمد على ذلك. وفيما جرى من ابن سعود شبه ما جرى من الأنصار فى بيعة العقبة ثم أن ابنى خالد وأهل نجد وأهل العراق والأشراف والبوادى وغيرهم تجردوا لعداوة هذا الشيخ ومن كان آواه ونصره وأقبلوا على حربهم بجدهم وجنودهم فأبطل

الله كيد من عاداهم وكل من رام من هؤلاء الملوك وأعوانهم أن يطفىء هذا النور أطفأ الله ناره وجعلها رماداً وجعل كثيراً من أموالهم فيئاً للمسلمين. وهذه عبرة عظيمة ونعمة جسيمة ثم أن الله بفضله وأحسانه أظهر هـذا الدين فى نجد وأذل من عاداه فعمت النعمة أهل نجد ومن والاهم شرقا وغربا وحفظ الله عليكم نعمة الإسلام التي رضيها سبحانه لعباده ديناً فلم يقدر أحدا أن يقدرها بقوته وقدرته فاشكروا ربكم واقبلوا على التوحيد تعلماً وتسليما والأمر بمايحبه من طاعته والنهى عما نهى الله عنه من المعاصى فالواجب علينا وعليكم التواصى بهذه النعمة العظيمة والتنافس فى هذا الدين الذى منّ الله به عليكم وهو الذى بعث الله به رسوله وانزل به كتبه وأكمله ورضيه لعباده كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) - الآية وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا أتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) الآيات فاحذروا نسيان ربكم عما أفترضه عليكم وأقبلوا على توحيده وطاعته وأطلبوا بذلك الجنة والنجاة من النار فكونوا أئمة فى هذا الدين الذى هو معنى لا إله إلا الله، وقد بين الله معناه فى آيات كثيرة من كتابه فانها دلت على نفى الشرك والبراءة منه ومن فعله وإخلاص العبادة لله وحده وذلك فى آى كثير فمن ذلك قوله تعالى (وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين) فقوله وجهك فيه الإخلاص وحنيفاً فيه نفى الشرك ولا تكونن من المشركين فيه البراة منهم ومن دينهم قال تعالى (فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص) والآيات فى معنى لا إله إلا الله أكثر من أن تحصر كقوله (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه) والمراد فتح الباب لكم فى معنى التوحيد الذى فيـــه الفلاح والنجاة وصلاح الدنيا والآخرة فلا تنسوا ربكم بالأعراض عن الهدى فينسيكم أنفسكم، ومن عقوبة الاعراض عمى البصر فى الدنيا والآخرة ولا باق معكم إلا دينكم لمن منّ الله عليه بحفظه والإقبال عليه والعمل به وإلا تفهمون أن الدنيا ما للانسان منها إلا ماكان لله وغير ذلك زائل هذا مانوصيكم به وندلكم عليه عامة والعلماء والأمراء خاصة فيجب عليكم

أن تكونوا صدراً فى هذا الدين بالرغبة فيه والترغيب وأن تكونوا سنداً وعوناً لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ويتفقدون أهل بلدهم فى صلاتهم وتعليمهم دينهم وكفهم عن السفاهة ومايحرم عليهم لأن الله سائلهم عنهم ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره وبالله التوفيق . وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين هذا آخر الرسالة .

وفى هذه السنة تأمر فى بلد الزبير ناصر بن ناصر بن راشد وكان قد جلا من حريملا لما فتحها الإمام تركى بن عبد الله وذلك ان أهل الزبير وقع بينهم وبين أميرهم محمد بن ابراهيم بن ثاقب بن وطبان وغر فى القلوب وحقد فى الصدور من أجل مافتح الله عليهم من الدنيا وزينتها وكثرة رجالهم وأموالهم وخدمهم وأعوانهم فكثر فيهم التنافس وطلب الرئاسة وهذا هو دأبهم الذى أجلاهم من نجد فلم يقبلوا الدخول فى جماعة المسلمين ، وكان فى بلد الزبير تاجر كبير يقال له يوسف بن زهير صاحب بذل وعطاء وعنده من الأموال والنخيل فى البصرة وغيرها مالا يحصى . فلما توفى خلف أولادا أكبرهم إسمه على فلم يزل يحاول طلب الرئاسة إلى أن اقتضى رأيه انه يجعل ناصر هذا أميرا لأنه هو وعشيرته من أعوانه والقول والتدبير له ثم زاد فى السعى والتدبير فى طلب الرئاسة إلى أن سعى فى قتل سليمان بن عبد الله السميط وهو من رؤساء أهل بلد حرمه الساكنين فى الزبير بإناس من آل راشد فقتلوه فوثبوا أهل حرمة بعد ذلك على ناصر الأمير فقتلوه فثارت بينهم الفتن ، وحل بهم البلاء والمحن . وسيأتى ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى :

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين والف ﴾ وفيها بعث الامام تركى ابن عمه مشارى بن عبد الرحمن بن حسن بن مشارى بن سعود يغزو أهل العارض والمحمل وسدير فاغاروا على آل عبيد الله من بنى خالد وهم فى حفر العتك المعروف وأخذ المسلمون كثيراً من أغنامهم وأثاثهم وجرح مشارى جرحا خفيفاً لأنه باشر القتال .

وفيها غلت الأسعار وقلت الأمطار ومات في سدير والقصيم خلق كثير جوعا وفيها أستعمل الامام تركي محمد بن عبد الله صاحب ضرمى أميرا في سدير ونزل قصر المجمعة .

وفي جمادى الأول منها توفي الشجاع المقاتل في البحر رحمه بن جابر بن عذبي رئيس الجلاهمة من بني عتبة أهل البحرين وأهل الكويت وكان نادرة وقته بأساً وشجاعة وكان سعودا استعمله في الخوير والدمام محاربا في البحر فصار له هيبة وأرسل اليه سعود رجالا يقاتلون معه وكثرت أعوانه فحارب أهل البحرين ومسكة وغيرهم حربا شديداً وله معهم وقعات تقدم بعضها في أول الكتاب فلما نفذ القدر في آل سعود بالتفرق والجلا نزل الدمام وأقام مدة مصالحا لأهل القطيف والبحرين ثم وقع بينه وبين آل حميد رؤساء الاحساء والقطيف محاربات في القطيف فصالحوه على شيء يدفعونه اليه من المال ثم انتقض الصلح بينهم وقام في حرب البحر كله من أهل البحرين والقطيف وبني خالد وغيرهم فاجتمع جنود عظيمة لحربه مع ماجد بن عريعر في البر ومعهم عبدالله بن خليفة بجنوده من أهل البحرين وفي البحر سفن من أهل البحرين مع أحمد بن سلمان بن خليفة ومعه جنود كثيرة ثم أن رحمة ركب في سفينته وخلف في قصر الدمام في محاربة أهل البر فاتفق أن أحمد بن سلمان سار إلى سفينة رحمة فوجده فيها فحصل بينهم قتال شديد يشيب من هوله الوليد قتل فيه خلق كثير حتى صبت ميازيب السفينتين بالدم فاراد الله سبحانه أن سفينة رحمة يثور جبخانها من البارود الذي فيها فاشتعلت النار في السفينتين واحترقتا وسبح من سلم من اهلهما في البحر فجعل من كان من أهل البحرين في سفنهم التي ماباشرت القتال يلتقطونهم فمن عرفوه منهم حملوه معهم ومن كان من قوم رحمه قتلوه وفقد رحمه الله ذلك اليوم ثم سار ابن خليفة إلى قصر الدمام فحاصر بشر بن رحمه فيه ثم أخرجه منه بالأمان ومن معه وسار بهم إلى البحرين وضبط القصر برجال من أهل البحرين وكان رحمة كثير اللهجة بالأشعار لاسيما أشـعار الحماسة وله شعر جيد وله محبة لأهل هـذا الدين وأهل هذه الدعوة من هذه الطائفة فمن

شعره فيهم الدالية التى انشأها بعد هدم الدرعية تنبىء عن حسن عقيدته ومحبته لهم فنها قوله :

فيا أيها الإنسان إنك ميت ٭ عليك بتقوى الله منها تزودا
فما أحد فى الناس إلا مكلف ٭ ولا تحسبن الله تاركهم سدى
فلابد من موقف عند ربنا ٭ حفاة عراة صاغرين كما بدا
فيسألهم والمرسلين جميعهم ٭ يقص عليهم علم حق تأكدا

إلى أن قال:

جرى الله بالخيرات عنا أئمة ٭ دعونا إلى التوحيد عن هوة الردى
مشايخنا أحبار دين نبيهم ٭ فمنهم تقى الدين حبر تزهدا
وقام على آثاره شيخ علمنا ٭ إمام روى التوحيد علما وسؤددا
وأطفأ نيرانا لشرك تجددت ٭ بنجد فواراها هناك وأخمدا
وكان بنوه فى الطريقة بعده ٭ وأنصارهم أهل الشجاعة والندى
قياما بحمد الله فى نصر دينه ٭ يحكمون فى المشركين المهندا

وهى طويلة تركنا ايرادها طلباً للاختصار :

وفى هذه السنة وقع فى بلدان نجد طيور تشبه العصافير البرية وهى جنسان كالقنابر وكالعصافير حصدت الزروع وقام الناس يذودونها عن زروعهم إلى نحو شهر وسموه الناس القرقر وكان مجيئها آخر الشتاء إلى أن أشتد الحب فى سنبله وهذا أمر لم يعهد مثله فسبحان القادر على كل شىء له جنود السموات والأرض.

وفيها قام عقيل بن محمد بن ثامر فى طلب ولاية المنتفق لنفسه وحارب عمه حمود ابن ثامر وعمه راشد بن نامر حتى ظفر بهما فأمسكهما وأرسلهما إلى باشا بغداد واستقل بولاية المنتفق ومات حمود فى الحبس عند داود باشا فى الطاعون سنة ست وأربعين.
وفيها أستعمل الامام تركى محمد بن عبدان من أهل الاحساء أميرا فى ناحية سدير

وفيها لثلاث بقين من شعبان توفى الشيخ العالم الفقيه المبجل النبيه عثمان بن عبد الجبار بن الشيخ حمد بن شبانة الوهيبي رحمه الله تعالى وعفى عنه . كان من أهل بيت علم فأبوه عبد الجبار عالم فقيه أخذ العلم عن أبيه حمد وكان حمد عالم بلد المجمعة فى زمانه وله المعرفة التامة فى الفقه أخذ العلم عن الشيخ العالم أحمد بن محمد القصير العالم المشهور فى بلد اشيقر وغيره من علماء آل شبانة وأخذ عن حمد أيضاً العالم الفقيه فى بلد المجمعة عبد القادر العديلي ومن آل شبانة ابن أخى حمد عثمان بن شبانة عالم فقيه ومنهم حمد بن عبد الجبار أخو الشيخ عثمان وهو عالم فقيه أخذ العلم عن حمد التويجرى عالم فى بلد المجمعة . ومنهم محمد بن حسن بن شبانة له معرفة فى العلم والفقه أخذ العلم عن حمد المذكور ومنهم حمد بن عثمان بن عبد الله بن شبانة عالم فقيه أخذ العلم عن صالح بن عبدالله أبا الخيل العالم المعروف فى ناحية القصيم ومنهم القاضى فى بلد المجمعة زمن عبد العزيز بن سعود محمد بن عبد الله بن شبانة أخذ العلم عن جماعة من أعمامه وعن حمد التويجرى وغيره . وأما الشيخ عثمان بن عبد الجبار فأخذ عن عدة أشياخ كبار فمن أشياخه ابن عمه حمد بن عثمان بن عبد الله المذكور وحمد التويجرى وغيرهما فى الإحساء وغيره وأخذ أيضاً عن العالم عبد المحسن بن نشوان بن شارخ القاضى فى الكويت والزبير وعن عبد العزيز بن عيد الإحسائى فى الدرعية وكان رحمه الله فقيهاً له دراية فى الفقه واستحضار أقوال العلماء وله المعرفة التامة فى التفسير والفرائض والحساب وغير ذلك من العلوم وانتفع الناس بعلمه . فممن انتفع به الزاهد الذى فاق فى الزهد أجداده وأعمامه . وترقى فى معالى المجد حتى أخذ بذروة سنامه ، المرتدى بثياب الوقار ، الداعى لربه أواخر الليل وأوقات الأسحار ، إبنه الشيخ القاضى عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار القاضى فى منيخ والغاط والزلفى بعد أبيه فى زمن تركى وأول ولاية فيصل ثم استعمله قاضياً فى جبل شمر ثم رجع وصار قاضياً فى سدير وأخذ عن الشيخ عثمان أيضاً العالم الفاضل عبد الرحمن بن حمد الثميرى قاضى سدير بعد الشيخ عبد الله أبا بطين فى أول ولاية فيصل ثم كان قاضياً فى الزلفى وأخذ عنه أيضاً العالم الفقيه عثمان ابن على بن عيسى قاضى الغاط والزلفى ثم كان قاضياً فى سدير وأخذ عنه عدد كثير

ممن لم يل القضـاء وكان عالم زمانه فى المذهب معظماً عند علماء الوقت من أهل الدرعية وغيرهم وهو فى الغاية من العبـادة والورع والعفاف وكان لا يخرج من المسجد بين العشائين بل يشتغل بالصلاة وقراءة القرآن ويجلس فى مصلاه بعدصلاة الصبح إلى بعد ارتفاع الشمس للذكر والقراءة وله حظ من صلاة الليـل حافظاً للقرآن على ظهر قلبه وصولا للرحم استعمله عبد العزيز بن سـعود قاضياً لعسير والمع عندعبدالوهاب أبو نقطة وأقام هناك عنده مدة ثم رجع ثم أرسله عبدالعزيز أيضاً قاضياً لعسير عند حرملة وعشيرته ثم أرسله سعود قاضياً فى عمان وأقام فى بلد رأس الخيمة يدرس فى العلم ومعه إبنه أحمد ثم رجع فلما توفى عمه محمد قاضى بلدان منيـخ استعمله سعود قاضياً فى تلك الناحية ولم يزل قاضياً فيها إلى أن توفى فى هذه السنة المذكورة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف ﴾ وفيها سار الإمام تركى بجنود المسلمين وقصد ناحية الوشم وأغار على عربان هتيم وغيرهم وهم فى الفروع وأخذ كثيراً من أغنامهم وأثاثهم وقتل منهم عدة رجال وقتل الأعراب رجلين من المسلمين من أهل سدير ثم رحل إلى القراين وكان عربان الدواسر فى تلك الأرض فنازلهم فطلبوا منه العفو فعفا عنهم وأخذ منهم زكاة السنة التى هو فيها وزكاة السنة التى قبلها وأخذ منهم نكالا ثم أذن لأهل النواحى يرجعون إلى أوطانهم وقفل إلى وطنه . وفيها أيضاً أغار على آل حسن من الدواسر وهم فى أرض الخرج فأخذهم وفيها أرخص الله الأسعار وكثرت الأمطار وفاضت الآبار فأول ما نزل الغيث فى الوسمى وزرع الناس فلما حصد النـاس زروعهم وجعلوه فى البيادر تابـع الله سبحانه الغيث على عباده فأعطبت الزروع واسود التبن وتغير الحب وأقام الناس نحو عشرين يوماً كل يوم ينزل الغيث آخر النهار وأوله صحواً ثم أنه لما كبر بسر النخل وصار كالبندق والعفص أحدث الله وجعاً فى ثمرة النخل وهى دودة تضرب البسرة من عند القمع فتسقط وسقطت ثمرة النخل إلا الأقل وكانت ثمرة النخل قبل ذلك فى غاية الكثرة واستمر ذلك فى السنة التى تليها لكنه أخف من التى قبلها وفيها قتل حماد بن عريعر قتلوه المناصير . وفيها قتـل ناصر بن راشد أمير الزبير

وسبب ذلك أنه وقع بين سليمان بن عبد الله الصميط من أهل حرمة وبين عبد الرحمن بن مبارك بن راشد رئيس أهل حريملا الذين فى الزبير سباب وكلام عند حفر بئر فى بيت الصميط فوثب رجال من آل راشد على سليمان الصميط فقتلوه فكمن لناصر المذكور محمد بن فوزان الصميط فى بيت فى النهار فلما خرج ناصر للسوق اعترضه فقتله فظهر آل راشد وأتباعهم وآل زهير وأتباعهم من البصرة وقدموا بلد الزبير وحصل حروب بين الفريقين . ثم وقع الصلح واجتمعوا له وحضره العلماء والرؤساء والمشايخ وكتبوا بينهم صحيفة كتبها محمد بن سلوم الفرضى وأودعوها شيئاً من العهود والمواثيق وقد رأيت تلك الصحيفة فحسبت من فيها من الشهود على تلك العقود فإذا هم ثمانية وعشرون شاهداً وعلى كل شهادة ختم صاحبها وفيها من المشايخ عشرة . ثم آل راشد وآل زهير أرادوا النقض فلم يقدروا إلا من جهة تسلم البصرة فدبروا الحيلة فى نقضه وطلبوا من متسلم البصرة أن يقتل جاسر بن فوزان الصميط وبذلوا على ذلك أموالا عظيمة فأرسل المتسلم إلى جاسر ابن فوزان الصميط وهو إذ ذاك رئيس أهل حرمة وأتباعهم وقال له أنه لا يستقيم رياسة بلد الزبير إلا لك فاقبل إلينا بأعوانك فأمسك على الزبير أميراً فركب جاسر من الزبير ومعه رؤساء أهل حرمة وهم أحمد بن ضاحى وعودة بن إبراهيم وسليمان ابن فداغ وغيرهم وساروا إلى المتسلم فى البصرة وركب آل زهير وآل راشد إلى نخيلهم فى البصرة وكمنوا فيها وأظهر المتسلم السب والشتم لهم لتطمئن قلوب أهل حرمه . وكان جاسر قد جاء به رجال وأنذروه وخوفوه من المتسلم ولكن طلب الرئاسة خمر وسكر . فلما دخل جاسر ومن معه على المتسلم وكان قد جعل لهم عسكراً كميناً فى السرايا وأقبل آل راشد وآل زهير وكمنوا فى النخيل القريبة من السرايا ظهرت عليهم العساكر وأمسكوا رؤساء أهل حرمه وحبسوهم وأخرجوا من كان معهم من العامة وقتلوا جاسر بن فوزان ورموه من عالى الجدار وصاد الباقين المتسلم وعذبهم بأنواع العذاب وأخذ منهم أموالا عظيمة ونهب بيوتهم وتفرقوا فى الكويت وغيره . وقدم فى الزبير أميراً على بن يوسف آل زهير وصار له قوة وشهوة وتعاظم أمره حتى عزل عزيز أغا الذى غادر له عن ولاية البصرة وجعل

مكانه صاحب المصرف ودريش أغا ولم يزل على أميراً فى الزبير حتى مات بالطاعون كما سيأتى . وصار بعده أميراً أخوه عبد الرزاق ثم صار هلاك آل زهير وقتلهم من سبب أعوانهم آل راشد كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

وفيها بلغ تركى بن عبد الله أن بنى خالد يجمعون الجنود لحربه فأمر على بن عبدان أمير سدير أن يسير برجال من أهل سدير ويدفنون قليب حفر العتك فدفنوها ودفنوا أم الجماجم لحفرهما العربان بعد ذلك .

وفيها استعمل الإمام تركى الشيخ عبد الرحمن الثميرى قاضياً فى ناحية سدير واستعمل عثمان بن عبد الجبار قاضياً فى منيخ والغاط والزلفى .

خروج الإمام فيصل بن تركى من مصر

وفيها أقبل الإمام فيصل بن تركى من مصر هارباً من الروم فقدم على أبيه فى الرياض فاستبشر هو والمسلمون بقدومه وصارت هذه السنة كلها ميمونة وبشائر السعادة معها مقرونة . وفيها سار تركى رحمه الله بجنود المسلمين وأغار على بوادى العجمان وهم عند بيان المعروف فأخذهم . وفيها وفد عيسى بن على رئيس جبل شمر على الإمام تركى ومعه رجال من قومه فبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وجعل فى علو بيت ماله الجبل الشويعر .

وفى هذه السنة أرسل تركى إلى رؤساء القصيم وأمرائه فقدموا عليه وبايعوه على السمع والطاعة وعزل محمد آل على الشاعر عن امارة بريده وجعل مكانه عبد العزيز بن محمد بن عبد الله . ثم بعد ذلك بلغنا ما يريبه من محمد آل على فأرسل إليه وجعله عنده فى الرياض وذلك أنه خاف على عبد العزيز منه فلم يأذن له فى الرجوع إلى بلده حتى قوى عبد العزيز وقويت شوكته ثم أذن له بالرجوع إليها . وفيها سار تركى بجنود المسلمين وقصد جهة الشمال فأغار على السويق وعربانه من الملاعبة من مطير وهم فى أرض الصمان وأخذ أموالهم فلما حازها المسلمون أتاهم مدد من حولهم من مطير وبنى خالد فخف المسلمون بالغنيمة من كل جانب وقاتلوا الأعراب دونها بالرصاص والسيف حتى ردوهم على أعقابهم خائبين ورجع المسلمون سالمون غانمون .

وفيها أخذ هادى بن مذود رئيس آل كثير قافلة لأهل نجد فقتل قبل انقضاء السنة
وفيها وفد رؤساء سبيع والسهول والعجمان ومطير وقحطان على الإمام تركى فأرسل معهم عمالا يقبضون الزكاة .

﴿ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين وألف﴾ وفيها وفد رجال من رؤساء أهل عمان إلى الإمام تركى وطلبوا منه قاضياً ومعلماً وسرية تقاتل معهم عدوهم فأرسل الإمام لهم عمر بن محمد بن عفيصان فى جيش وبعث معه قاضياً الشيخ محمد بن عبد العزيز معوبجى فلما وصلوا إلى عمان كاتبهم أهل الظاهره وبعض أهل الباطنة من عمان ووفد أكثرهم عليهم واستعمل عليهم أميراً عبد الله بن سعود من أهل القويعية ونزل قصر البريمى . وفيها سار الإمام تركى ومعه إبنه فيصل واستنفر جميع رعيته من الجنوب والوشم وسدير وغيرهم وقصد جهة الوشم وكان إذذاك فى بلدان الوشم وباء من الضرب المسمى أبوزويعه . ثم رحل من الوشم وقصد إلى سدير فلما وصل إلى وادى المجمعة وقع فى الغز والمرض المذكور فمات منهم عدد كثير نحو سبعين رجلا منهم سلطان بن عبد الله رئيس ثرمدا وفوزان أبو شويربات رئيس البرزان من مطير وولده وبتال المطيرى رئيس الجيوش فى عمان . ونزل تركى خارج بلد المجمعة والأمر على حاله ثم خففه الله فلم يصب أهل البلد من ذلك المرض شيء . ثم أنه أمر على إبنه فيصل فركب فى نحو مائتى مطية وأغار على عربان من الصقور من عنزة وهم على ماء قرب الدهناء فإنذروا عنه وهربوا فرجع قافلا . وأقام تركى فى بلد المجمعة نحو شهر ثم رحل منها وأذن لأهل النواحى يقصدون أوطانهم وقفل إلى وطنه . ووفد عليه فى منزله ذلك كثير من رؤساء العربان . وكانت الأسعار إذ ذاك فى غاية الرخص بيعت الحنطة ثمانية عشر صاعاً بريال . وفيها عزل تركى بن عبدان عن امارة سدير واستعمل فيه أحمد بن ناصر الصائغ أميراً وقابضا لبيت المال .

وفيها توفى الشيخ العالم الفاضل عبد العزيز بن الشيخ العالم حمد بن ناصر ابن معمر رحمه الله ببلد البحرين . كان فقيهاً أديباً متواضعاً حسن السمت

والسيرة ذا شهرة فى العلوم والديانة وله أشعار رائقة لا سيما فى أهل الدرعية وله القصيدة الطنانة التى رثاهم بها وذكر ما جرى لهم وعليهم وأولها قوله :

إليك آله العرش أشكو تضرعاً   وأدعوك فى الضراء ربى لتسمعا

إلى أن قال :

وكم قتلوا من عصبة الحق فتية   هداة وضاة ساجدين وركعا
وكم دمروا من مربع كان آهلا   فقد تركوا الدار الأنيسة بلقعا
فأصبحت الأموال فيهم نهائباً   وأصبحت الأيتام غرثى وجوعا
وفرّ عن الأوطان من كان قاطناً   وفرق إلف كان مجتمعاً معا

إلى أن قال :

مضوا وانقضت أيامهم حين أوردوا   ثناء وذكرا طيبه قد تضوعا
لجازاهم الله الكريم بفضله   جناناً ورضواناً من الله أرفعا
فإن كانت الأشباح منا تباعدت   فإن لأرواح المحبين مجمعا
عسى وعسى أن ينصر الله ديننا   ويجبر منا ما قد تصدعا
ويعمر للسمحا ربوعاً تهدمت   ويفتح سبلا للهداية مهيعا
ويظهر نور الحق يعلو ضياؤه   فيضحى ظلام الشرك والشك معشعا
إلهى لحقق ذا الرجاء وكن بنا   رؤوفاً رحيما مستجيباً لنا الدعا

إلى أن قال :

ألا يا أيها الإخوان صبراً فإننى   أرى الصبر للمقدور خيراً وأنفعا
ولا تيأسوا من كشف ما ناب أنه   إذا شاء ربى كشف ذاك تمزعا
وما قلت ذا أشكو إلى الخلق نكبة   ولا جزعا مما أصاب فأوجعا
فما كان هذا الأمر إلا بقدره   بها قهر الله الخلائق أجمعا
وذاك عن ذنب وعصيان خالق   أخذنا به حيناً لحيناً لترجعا
وقد آن أن نرجوا رضاه وعفوه   وأن نعرف التقصير منا فنقلعا
فيامحسناً قد كنت تحسن دائماً   ويا واسعاً قد كان عفوك أوسعا
نعوذ بك الله من سوء صنعنا   فإن لنا فى العفو منك لمطمعا

أغثنا أغثنا وادفع الشدة التى أصابت وصابت واكشف الضر وارفعا
بجد وتفضل بالذى أنت أهله من العفو والغفران يا خير من دعا

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين وألف ﴾ وفى أولها غزا محمد بن عفيصان بأمر الإمام تركى بجيش من المسلمين وقصد ناحية الإحساء فأغار على قافلة مقبلة من بندر العقير وأخذها وكان معها من الأموال ما لا يحصى .

وفيها غزا طلال بن حميد بجيش وخيل وكمن لأهل حرمة وأرسل شرذمة من غزوه فأخذوا أغنامهم ففزع أهل البلد عليهم فخرج عليهم الكمين وقتلوا من أهل البلد ستة رجال وجرحوا فيهم جراحات كثيرة وكانت هذه آخر عز آل حميد ولم يتمتعوا بعدها حتى دارت عليهم الدوائر وتجرعوا غصص الدهر الغابر .

وقعة السبية على بنى خالد

وفيها وقعت السبية المشهورة سميت بذلك لكثرة ماسبى فيها من الحلى والحلل والأثاث والأغنام والإبل . وذلك أن محمد بن عريعر وأخاه ماجد بن عريعر وبنيهما خرجوا من الإحساء بأتباعهم وقبائلهم من بنى خالد وقصدوا إلى نجد لمحاربة تركى ونزلوا خفيسة المهمرى الخبرا المعروفة بين الدهناء والصمان ويشربون من عقلا ماء قريب منهم واجتمع إليهم فهيد بن مبارك الصيفى رئيس سبيع وضويحى الفغم رئيس الصهبة مع مطير وعربانه ومزيد بن مهلهل بن هذال وأتباعه من عربان عنزة ومطلق بن نخيلان رئيس بنى حسين بعربانه . فلما علم بذلك تركى بن عبد الله أمر على نواحى المسلمين بالنفير مع إبنه فيصل وأمر على أتباعه من البوادى من سبيع وغيرهم . فسار المسلمون مع فيصل ومعهم من البوادى مطلق المصخ وأتباعه من سبيع وعساف أبو اثنين وأتباعه من سبيع وضويحى بن خزيم بن لحيان وأتباعه من السهول ومحمد بن هادى بن قرملة وأتباعه من قحطان وغيدان وأتباعه من آل شامر والعجمان وسلطان بن قويد وأتباعه من الدواسر ونزلوا بين بنى خالد وبين الماء الذى يشربون منه ووقع بينهم القتال وتصادمت الفرسان والأبطال ، وانتشرت الرايات والبنود ،

وتزاحمت الجموع والجنود ، وثارت نيران العزائم القوية ، ودارت بينهم كؤس المنية ، وعمل أهل البنادق المتارس بالحجارة ، وتعاقبت الفرسان بينهم كالخطاطيف الطيارة ، وأظلم الجو من وقع سنابك الخيل ، ودخان البارود ، وتحير الجبان وأيقن أنه اليوم الموعود . واستمر هذا القتال والطراد ، والحرب والضرب والجلاد ، مدة أيام وهم يدبرون رأيهم وحيلهم فلم يدركوا إلا أن ساقوا على رماة المسلمين إبلهم ، فأغاثهم الذى أنشأهم أول مرة ، بعد ما ساقوها على المسلمين مرة بعد مرة ، وأرسل الموت على ماجد بن عريعر فذاق حلوه ومره ، وذاك فى أول رمضان . فلما بلغ الامام والمسلمين ذلك استبشروا وتيقنوا أنهم قد نصروا وأرسل فيصل إلى أبيه يبشره بالذى أوقع الله ويستنفره ، فركب بشرذمة قليلة من خدمه ورجاجيله واستنفر حشر بن وريك رئيس آل عاصم من قحطان ، وقدم على إبنه فى العشر الأواخر من رمضان . فلم ينزل حتى قابل خيمة محمد بن عريعر وضرب خيمته قبالها ، فوقع الفشل فيهم حين رفعها وأقامها وأنزل الله النصر لذلك القدوم . وبالاعتماد على دعاء الحى القيوم ، فتزاحمت جموع العربان وتلاقت الأبطال والفرسان . وقتل ذلك اليوم المصخ رئيس سبيع وقتل من بنى خالد عدة فرسان وعدد من الرجال والخيل حتى قاربوا الهزيمة . فلما كان صبح سبع وعشرين من رمضان حملت جموع المسلمين على جموع بنى خالد ونزل النصر من الصمد الواحد فانهزموا هزيمة شنيعة ، وانخذلوا خذلة فظيعة ، فولوا جميعاً هاربين ، وعلى أعقابهم مدبرين ، لا يلوى منهم واحد على أحد ، ولا والد على ما ولد ، والمسلمون فى ساقتهم يغنمون ، ويحمدون لربهم ويشكرون واستولى الامام على محاهم وخيامهم . وسوادهم وبياضهم ، من الأمتعة والفرش والابل والأغنام ، وجميع ما معهم من الحلى والأوانى وآلات الحرب ولا سلم إلا الشريد على ظهر فرسه إلا بعض فرقان من مطير هربوا بإبلهم هذا وهم فى أعظم عدد وعدة ، وقوة هائلة وشدة ، وقد أقبلوا لحرب المسلمين فى أعظم عدة ولو فهموا لقالوا « أن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده » وأقام الامام وإبنه فيصل فى منزل هؤلاء الجنود يوماً أو يومين

يجمع الأخماس من تلك الغنائم، ثم رحل ونزل الخفيسة وأقام أكثر من أيام يجمع الغنائم ويفرقها، وكتب إلى رؤساء الاحساء يدعوهم إلى المتابعة والمبايعة فأجابوه إلى ذلك فركب بمن معه من جنود المسلمين وقصدوا الاحساء فدخلوه ورتبوا قصوره وثغوره وضبطوه ولكن المقادير تغلب التدابير وربك على كل شيء قدير. فلما قرب تركي من الاحساء ونزل الحويرات أوقع الله الرعب فى قلوب بنى خالد فهرب برؤسائهم على ظهور خيلهم وتركوا النساء والأبناء والأموال فرحل تركي ونزل البلد ودخلها من غير قتال، وكان منزلة تحت الجبل المسمى أبو غنيمة وظهر إليه رؤساء أهل الاحساء وأعيانهم وعلماؤهم وبايعوه على القيام بدين الله ورسوله والسمع والطاعة وبقى قصر السكوت فيه محمد بن عريعر وخيله وبعض رجاله فأرسل إليه تركى وقال له إن شئت أن تخرج على إحساننا وإساءتنا فاخرج فخرج فعامله بالاحسان والاكرام والأمان وأعطاه ما يحتاج إليه من الخيل والركاب العمانيات والامتاع. وأمر على عمر بن محمد بن عفيصان فى جيش وخيل من المسلمين أن يركبوا فى طلب طلال بن برغش بن حميد والذين هربوا معه من بنى خالد فأدركوهم فى أطراف الاحساء فهربوا على ظهور خيولهم وتركوا ما معهم وأقام الامام تركى وإبنه فيصل فى الاحساء أكثر من أربعين يوماً وأخذ الامام تركى ما وجد من أموال بنى خالد من الذهب والفضة والخيل والركاب وغير ذلك وأخذ نخيلهم لبيت المال ورتب رجالا من الثغور والقصور ورتب فى كل قرية إماماً للصلاة وأمر بأدب من تخلف عن الصلاة وحضهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والاجتماع على الذكر فى المجالس وتعليم الجهال أصل الاسلام وخمسة الأركان. واستعمل فيهم قاضياً الشيخ عبد الله الوسيبى ووفد إليه رؤساء القطيف وبايعوه ووفد عليه أيضاً رؤساء أهل عمان من أهل رأس الخيمة وغيرهم. وانتظمت له الأمور وارتحل من الاحساء وهو مسرور منصور بعد أن استعمل على الاحساء أميراً عمر بن عفيصان، ولم يختلف عليه من أهل الاحساء إثنان. وقصد الامام تركي إلى وطنه وأذن لأهل النواحى

يرجعون إلى أوطانهم ، وفيها أرخص الله الأسعار وفاضت الآثار وبلغ سعر البر خمسة وثلاثين صاعا بريال وكثرت الخيرات والبركات .

وفيها سار تركى إلا الأفلاج لأنه بلغه عنهم بعض المخالفة وقطع نخيلا وأجلى منهم رجالا .

﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين وألف ﴾ وفى شعبان منها سار الامام تركى بجنود المسلمين وقصد جهة الشمال فصادف فهيد الصيفى من سبيع باتباعه من سبيع ومعهم أخلاط من بنى حسين وغيرهم نازلين بين حفر الباطن والوقبا فأخذهم وحاز أموالهم فحضر عنده رؤساؤهم وادعوا أن له عنده ذمة وعهداً فرد عليهم جميع ما أخذ منهم ثم سار ونزل الصبيحية الماء المعروف قرب الكويت وأقام عليها أكثر من أربعين يوماً وأهدى إليه جابر ابن عبد الله بن صباح رئيس الكويت هدايا ووفد إليه كثير من رؤساء العربان . ثم بلغه أن ابن عمه مشارى بن عبد الرحمن خرج من الرياض برجال معه من أعوانه مغاضباً له فقفل إلى وطنه وأذن لأهل النواحى يرجعون إلى أوطانهم . وأما مشارى فإنه لما هرب من الرياض وجد منديل بن غنيمان رئيس الملاعبة من مطير هو وعربانه فى المستوى فطلب منه النصرة فأبى فرحل من عنده وكاتب رؤساء القصيم يطلب منهم النصرة فأبوا عليه فسار إلى عربان عنزة فلم يغنوا عنه شيئاً فسار إلى مكة وقصد الشريف محمد بن عون وهو رئيس مكة إذ ذاك فأكرمه فطلب منه النصرة فأبى عليه وأقام عنده مدة أشهر فلما رأى أنه لا ناصر له خرج من مكة قاصداً خاله الإمام تركى فى بلد الرياض فلما وصل إلى بلد المذنب طلب من رؤسائهم يركبون معه إلى خاله الإمام تركى ويأخذون له ذمة وعهدا وأنه ندم على ما سلف فركبوا معه وقدموا على تركى فى الرياض فعفى عنه وأكرمه وأنزله فى بيت عنده وذلك فى أول السنة الثامنة على ما يأتى .

وفى آخر ذى القعدة منها هب ريح عاصف وقت العشاء الآخرة ورمت نخيلا فى سدير وغيره وأحصى الذى طاح من قريتنا من النخل فكان أربعمائة نخلة .

ومن قدرة الله تعالى أن أكثر الانكسار من النخل القصار ، وأما النخل الطوال فلم يختلف منه إلا القليل وهذه من الآيات وخوارق العادات التى طمت وعمت حتى قيل أنها فعلت كذلك فى الأقطار . وفيها وقع وباء وموت عظيم فى مكة المشرفة وهو أبو زويعة عند العامة وهو العقاص الذى أشار إليه النبي ﷺ وأول ما وقع فيها قبل قدوم الحاج فى ذى القعدة ومات منه فئام من الناس ثم ارتفع منها على دخول ذى الحجة . فلما كان يوم النحر حل الوباء والموت ثانياً فى الحاج وغيرهم ومات فى أيام التشريق خلق كثير . وذكر لنا أنه ما بقى من الحاج الشامى إلا نحو الثلث ومن حاج أهل نجد نحو النصف وذكر لنا أنه أحصى من مات من أهل مكة فكانوا ستة عشر ألفاً . وقدم علينا أناس من أهل المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بعد الحج وذكروا أنه لما قدم الحاج الشامى المدينة بالليل راجعاً من مكة وقع الموت فى الناس وقت السحر وحل بهم أمر عظيم فخرج أهل المدينة من البيوت بالنساء والأطفال وتضرعوا إلى الله تعالى فى حرم النبي ﷺ فرفعه الله عنهم . انتهى كلامهم .

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين وألف) وفى صفر منها سار فيصل ابن تركى بشوكة المسلمين من أهل العارض والجنوب وسدير والوشم وغيرهم ومعهم أخلاط من أعراب سبيع والسهول والعجمان وبنى حسين وغيرهم وقصدوا عالية نجد فشنوا الغارة على أعراب مجتمعة على طلال الماء المعروف فى عالية نجد من عتيبة وغيرهم رئيسهم سلطان بن ربيعان فانهزم الأعراب وصار المسلمون فى ساقتهم يقتلون ويغنمون وكان ابن بصيص وعربانه من برية وغيرهم قريباً منهم فاستصرخوهم العتبان فأقبلوا إليهم فقويت قلوب العتبان وكروا على المسلمين وهم متفرقون يحوزون الغنائم فحصل على المسلمين هزيمة فركب فيصل فى شجعان قومه وحموا ساقه المسلمين ومعهم من الغنيمة نحو ثلاثة آلاف بعير ونزلوا ببلد القريعية ثم أذن فيصل لغزوانه يرجعون إلى أوطانهم .

وفيها قدم على باشا والياً على بغداد من جهة السلطان محمود وعزل داود أفندى وأشخصه إلى اصطنبول واستولى على خزائنه . وكان داود هذا مشغوفاً بجمع الأموال . وخزنها ومصادرة الرجال . وأخذ الأموال . ذكر لنا أنه إذا لم يجد من يأخذ منه ربط ولده وحبسه وأظهر أنه غصب منه مالا ثم سبب من يشير إلى أعيان الدولة يجمعون له مالا ويعطونه إياه ويفكون ولده من الحبس وصار عنده بهذا السبب أموالا عظيمة . وذكر لنا أنه فى حال ولايته لبغداد وجد خزانة لبن ذهب وفضة عليها . ختم هارون الرشيد على شاطىء دجلة أظهرها الماء فأخذها داود وأدخلها خزائنه . ومع هذه الأموال ضرب النحاس لرعاياه يبيعون بها ويشترون وفرقها على الجند فلما أنفذ الله فيه أمره وأمضى عليه قضاءه وقدر لم ينفعه ما جمع وذهب سدى . وتفرق وتمزق بأيدى الأصحاب والعدا . وكذا كل مال يؤخذ بهذا الأسلوب . ويجمع من هذا الطريق المنكوب . لا ينفع من جمعه . بل يضر صاحبه ويهلك معه . وهيهات كيف ينفع وقد أخذ بلوعة قلب وأنين . واكتئاب وتوجع حزين . وسلب بالقهر والقسر من كل مظلوم مسكين . وكيف ينفع سالبه . وقد ضر صاحبه . ويتهنّى به من اكتسبه . وقد أبكى كاسبه . كما قيل :

الا كل مال جاء من غير حله ... سيخرب أهليه ومن كان قاربه

وكان قد صادر أناساً من رؤساء بغداد وأخذ أموالا منهم . ولما استقر على باشا فى بغداد أرخص لعيال حمود بن ثامر وأذن لهم يرجعون إلى أهليهم وأمر بعزل عقيل بن محمد بن ثامر عن ولاية المنتفق وتكون الولاية لهم . فلما وصلوا إلى عربانهم اجتمع إليهم جموع كثيرة من الظفير والمنتفق وشمر وغيرهم وجمع عقيل جميع عربانه فالتقى الفريقان فى الجزيرة قرب السوق وحصل طراد خيل وقتال ، قتل فيه من الفريقين عدة رجال وصارت الغلبة أولا لعقيل وأتباعه ، ثم حصل بينهم وقعة ثانية وتبين من بعضهم خيانة عليه فانكسر عقيل وقومه فعثرت به جواده فقتل واستقل بالولاية ماجد بن حمود بن ثامر فلم يلبث حتى مات بالطاعون الآتى ذكره . وأراد إخوته القيام

مقامه فنهض عيسى أخو عقيل لحربهم وكتب إلى صاحب بغداد يطلب منه ولاية المنتفق بجاء التقرير من على باشا فاستقل عيسى بولاية المنتفق وعزل عيال حمود .

وفى هذه السنة حصل غيارات عند طلوع الشمس وعند غروبها ففى صفر لخمس بقين منه صار فى السماء والأرض نور قريب من نور القمر واستمر إلى آخر الشهر وعجب الناس من ذلك ، فلما كان سابع من ربع الاول صار قتر فى السماء وتغيرت الشمس . وأول العشر الأواخر منه ظهرت الشمس من المشرق خضراء كأنها قطعة زجاج وصارت تلك الخضرة فى الأرض والجدران وحسبها أكثر الناس كسوفا. وفى هذا الشهر صار فى الأفق حمرة زائدة بعد غروب الشمس وبعد طلوعا واستمر أياما وشوهد قبل أنفجار الصبح حمرة بادية من جهة الشمال إلى ثلاثة أيام وفى النصف من هذا الشهر أعنى ربيع الأول ظهر فى الأفق حمرة عظيمة بعد صلاة المغرب من جهة الجدى ثم سارت إلى المغرب واضاءت الأرض والجدران وأخضرت ثم أحمرت حتى ظن الناس أن الشمس لم تغرب . وفى أول ربيع الثانى اجتمع من السيارات خمسة فى برج الأسد : الشمس والقمر والمريخ وزحل وعطارد ، وفى هذه السنة وقع الطاعون العظيم الذى عم العراق والسواد والجرة وسوق الشيوخ والبصرة والزبير والكويت وماحولها وليس هذا مثل الوباء الذى قبله المسمى العقاص بل هذا هو الطاعون المعتاد نعوذ بالله من غضبه وعقابه وحل بهم الفناء العظيم الذى انقطع منه قبائل وحمائل وخلت من أهلها منازل وإذا دخل فى بيت لم يخرج منه وفيه عين تطرف وجثى الناس فى بيوتهم لايجدون من يدفنهم وأموالهم عندهم ليس لها والى وانتنت البلدان من جيف الإنسان وبقيت الدواب والأنعام سائبة فى البلدان ليس عندها من يعلفها ويسقيها حتى مات أكثرها ومات بعض الأطفال عطشاً وجوعا وخر أكثرهم فى المساجد صريعاً لأن أهاليهم إذا أحسوا بالألم رموهم فى المساجد رجاء أن يأتيهم من ينقذهم فيموتون فيها لأنه لا يقام فيها جماعة . وبقيت البلدان خالية لا يأتى اليها أحد وفيها من الأموال مالايحصى عده إلا الله تعالى .

فلما كان فى النصف من ذى الحجة من السنة المذكورة ارتفع باذن الله تعالى واجتمع أناس من بقية الهاربين واكثرهم من الصلبة وهتيم فدخلوا بلد الزبير وأطراف البصرة ونهبوا من الأموال مالا يحصى وليس لهم صاد ولا راد ثم تراجع بعد ذلك فى البلدان من كان مسافراً أو حاجا ومن كان قد برىء ومن كان سالما وهم القليل نضبطوا بلدانهم وحوها من صليب وأخوانهم . فلما علم بذلك أهل نجد وكان أكثر من فى تلك البلدان رحاما لهم وأصهارا سافروا اليها وأخذوا ماوجدوا من تراثهم وتفرقت أموالهم فى يد الوارث وغير الوارث كما قيل مصائب قوم عند قوم فوائد . وفى هذا الطاعون مات على بن يوسف آل زهير رئيس الزبير وكان آخر من مات ولم يمت أحد بعده . وفيه توفى الشاعر المشهور محمد بن حمد بن محمد بن لعبون المدلجى الوايلى مات فى بلد الكويت وكان شعره جيداً إلا أن فيه تخبيط فى العقيدة قيل انه انشأ قصيدة تاب فيها وتضرع إلى الله تعالى .

وفيها سار الإمام تركى بجنود المسلمين ونزل الرحيه الماء المعروف فى العرمه وأقام فيها نحو أربعين يوما ووفد عليه كثيراً من رؤساء العربان من أهل الشمال وغيرهم وأتاه كثير من الهدايا من الخيل والركاب وغير ذلك وأتى اليه مكاتبات من على باشا بغداد فبعث اليه الإمام تركى هدية مع حمد بن يحي بن غيهب رئيس شقرا وبعث عماله للبوادى يقبضون الزكاة الابادية العجمان فانهم أمتنعوا فرحل من موضعه ذلك وعدى عليهم : فلما وصل أبا الجفا الماء المعروف بلغه أنهم دفعوها إلى عماله فقفل راجعاً إلى وطنه وأذن لغزوانه يرجعون إلى أوطانهم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين والف ﴾ وفيها أمر الامام تركى على ابنه فيصل أن يسير بجنود المسلمين غزاة فسار بهم وعدا على ابن عشيه واتباعه من غنزه وهم فى الدهناء فسبقه النذير اليهم فهربوا فرجع ونزل بلد المجمعة وأقام فيها أياماً وجهز جيشا إلى عمان واستعمل عليهم أميرا اسعد بن محمد بن معيقل وكتب إلى عمر ابن محمد بن محمد بن عفيصان أمير الاحساء أن يتجهز من الاحساء برجال معه إلى عمان ويصير أميراً على الجميع فساروا إلى عمان وفتحوا فيه بلدانا وأخذوا عربانا وأقام فى المجمعة نحو عشرة أيام ثم رجع إلى وطنه وأذن للغزو بالرجوع إلى أوطانهم .

وفيها ظهر فى الشرق والغرب حمرة وصفرة بعد غروب الشمس ودامت أشهرا. وفى تاسع عشر جمادى الآخر ليلة الثلاثاء بعد نصف الليل تطايرت النجوم فى السماء كأنها الجراد وكأنها شعل النار وقدح الزند من جميع الجهات وصار فيها شهب عظيمة تنقض وتضىء بالأرض ويبقى موضع الشهاب ساعة لا يزول وانزعج الناس لذلك واستمر إلى طلوع الفجر حتى ستره النهار . واخبرنى من اثق به أنه رأى شهبا تنقض بعدما طلعت الشمس يراها كأنها الدخان . وعند ذكر هذه الحادثه ينبغى أن نذكر نظاير ذلك مما وقع قبل ذلك . فمن ذلك ماذكر السيوطى فى تاريخ الخلفاء وصاحب تاريخ الخميس انه فى سنة تسع وتسعين وتسعمائة فى انسلاخ المحرم ماجت النجوم وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك إلى الفجر وانزعج الناس وضجوا بالابتهال إلى الله تعالى قال السيوطى عند ذكر هذه الحادثة ولم يعرف إلا عند ظهور رسول الله ﷺ وذكر القطب الحنفى فى تاريخ مكة فى ترجمة المتوكل بن المعتصم قال وفى أيامه وقع عجائب منها أن النجوم ماجت فى السماء وتناثرت الكواكب ولم يعهد قط مثل ذلك ورميت قرية السويد بناحية مصر باحجار من السماء فوزن حجر منها فكان عشرة أرطال وسار جبل باليمن عليه مزارع إلى جبل آخر ووقع فى جبل طاير أبيض دون الرخمة فصاح يامعشر الناس أتقوا الله أربعين مرة وجاء من الغد ففعل مثل ذلك فكتبوا خبر ذلك على البريد إلى بغداد وكتبوا شهادة خمسمائة إنسان سمعوا ذلك بآذانهم وذلك فى رمضان سنة إحدى وأربعين ومائتين وحصل زلازل وغارت عيون مكة فارسل المتوكل مائة الف دينار فاجرى عين عرفات .

رجعنا إلى مانحن فيه : وفيها سار الامام تركى بجنود المسلمين وعدى على فلاح بن حثلين وعربانه من العجمان ومعهم أخلاط من العربان وهم على أم ربيعة الماء المعروف فى دبرة بنى خالد فسبقه النذير اليهم فانهزموا فنزل الامام تركى بجنود المسلمين على أم ربيعة فلما استقر بها أتى اليه المرضف وأتباعه من آل مرة فصالحوه على أنفسهم فلما علم بذلك ابن حثلين دخله الرعب وأتى إلى تركى بلا ذمة ولا عهد فقيده

فى الحديد وأقام فى الاعتقال سبعة أيام ثم أرسله إلى الرياض واعتقلوه فيه ثم سار الامام من موضعه ذلك ونزل البياض الموضع المعروف عند القطيف وقدم اليه أمير القطيف عبد الله بن غانم ومعه عدة من الرؤساء وأهدوا له هدايا وأقام نحو ثلاثة عشر يوما ثم رحل إلى الاحساء وتزوج فيه بنت هادى بن مذود رئيس عربان آل كثير وأقام فيه نحو شهر ثم رجع بها إلى الرياض فلما خرج من الدهناء نزل على غدير يقال له وثيلان فامر على رؤساء النواحى أن يجتمعوا فلما حضروا قام فيهم وذكرهم نعمة الله عليهم بالاجتماع بعد الفرقة والأخوة بعد العداوة والغنى بعد العيله واعترف عند ذلك بنعمة الله عليه وضعفه وعجزه وتقصيره وحقر نفسه ثم انه اغلظ الكلام على الامراء وتهددهم وتوعدهم عن ظلم الرعايا والأخذ منهم غير الحق ثم قال وإنكم إذا ورد أمرى عليكم بالمغزا حملتموهم زيادة لكم وإياكم وذلك فانه مامنعنى أن أجعل على أهل البلدان زيادة ركاب فى غزوهم إلا الرفق بهم وإنى ما حملتهم إلا بعض ما حملهم الذين من قبلى والله تعالى يقول (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وانه إذا ورد عليكم أمرى فرحتم بذلك لتأكلوا فى ضمنه وصرتم كراصد النخل يفرح بشدة الريح ليكثر الساقطة عليه وأعلموا إنى لا أبيحكم أن تأخذوا من الرعايا شيئاً ومن حدث منه منكم ظلم على رعيته فايس أدبه عزله بل أجليه عن وطنه ثم قال للرعايا أيما أمير ظلمكم فاخبرونى فقام أمير بريدة عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن حسن فقال يا إمام المسلمين خص بقولك ولا تعم به فان كنت نقمت على أحدنا فاخبره بفعله فقال إنما القول فيك وفى أمثالك تحسبون أنكم ملكتم البلدان بسيوفكم وإنما أخذها لكم وذللها سيف الإسلام والاجتماع على إمام ولما فرغ من الكلام قال أنتم فى حفظ الله وأمانه وكل منكم يقصد بلده فرجعوا إلى أوطانهم .

وفيها مات فيصل بن وطبان الدويش رئيس بوادى مطير وتولى بعده ابنه محمد المكنى أبو عمر . وفيها حدث برد أضر بالنخيل وقطرت عسبان النخل مثل الدبس من شدة البرد فلما جاء فصل الصيف بان الخلل فى النخيل ويبس أكثر عسبانها وأما الزرع والقت وسائر النباتات فضررها قليل حكمة بالغة يفعل مايشاء ويحكم مايريد . ثم حصل فى السنة التي تليها بردا أعظم من الأول بحيث أن الماء الذى يقطر على الدارج

وقت السقى وهو ماتحته يعترض على حافة البئر جامداً كأنه العمود وجمد الماء فى السواقى ومابين الميزاب والأرض واضر على النخيل مثل الأول وفى هاتين السنتين ما أختلت ثمرة النخيل بل كانت على العادة فلما كان سنة خمسين ما حملت النخيل الا بنصف حملها المعتاد وماقصر أهلها عن سقيها المعتاد فلا يعلم هل هو من البرد المتقدم وأنه ما بان ضروره إلا فيما بعد أوان ذلك إرادة الذى يعلم السر وأخفى قال وهو أصدق القائلين (وماتخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه)

وفيها جاء رجل من مصر وأدعى أنه خالد بن سعود وقدم بريدة وتزوج فيها وأمر تركى على أهل البلدان باكرامه والقيام بماينوبه من بيت المال فلما قدم الرياض ورآه أناس يعرفون خالد بن سعود فى مصر قالوا ليس هذا بخالد بن سعود فهرب من الرياض إلى مصر قيل أنه قتله محمد على باشا مصر . وفيها أقبل مشارى بن عبد الرحمن من مكة بعد هربه من الرياض كما تقدم فقدم الرياض ومعه رؤساء أهل المذنب فشفعوا فيه عند خاله تركى فعفى عنه وأكرمه وسكن فى بيت عند أولاده . وفى هذه السنة والأسعار فى غاية الرخص بيع البر خمسة وعشرين صاعا بريال والتمر سبعين وزنه بريال . وفيها حارب رئيس المنتفق عيسى بن محمد بن ثامر وعشيرته واتباعه بلد الزبير وحشدوا عليه ونازلوا أهله وحشد معهم محمد بن ابراهيم بن ثاقب بن وطبان وأتباعه من أهل حرمه وغيرهم الذين أجلوهم عن الزبير آل زهير وحشد معهم عبد الرحمن بن مبارك من أهل حريملا فنزلوا على الماء المعروف بالدريهمية واستداروا على البلد وحصروا أهلها فوقع بينهم وقعات عديدة قتل فيها من الفريقين عدة رجال ، وهلك فيها أموال . فلما كان فى أثناء الحرب حصل وقعة بينهم قتل فيها عم عيسى على بن ثامر فاشتد الحرب بعد قتله وطال الحصار وساعدهم رئيس الكويت جابر بن عبد الله بن صباح ودام هذا الحصار سبعة اشهر إلى اثناء سنة تسع وأربعين حتى تفاقم الأمر على آل زهير وأتباعهم بسبب غلاء الزاد بل نفاذه عن أهل البلد ونفاذ البارود والرصاص . فلما كان فى اخر صفر من السنة

التاسعة أرسل عبد الرحمن بن مبارك رئيس آل راشد في الزبير ورؤساء عشيرته إلى محمد بن ابراهيم وعيسى بن محمد وطلبوا الأمان والصلح على أنفسهم وعشيرتهم فقال عيسى لا يتم الصلح إلا عليكم وأما آل زهير فلا نصالحكم عليهم ، فصالحوهم على أنفسهم وعشيرتهم وأدخلوهم البلد في الليل وأمسكوا عبد الرزاق آل زهير واخوته واستولوا على البلد وأخذوا جميع أملاك آل زهير من الفضة والذهب والسلاح والفرش والأمتعه وغير ذلك ثم قتلوا عبد الرازق وأخوته ولم يبق إلا واحداً اختفى في بيت عجوز وأقام فيه نحو شهرين فعلم به متسلم البصرة فاخذه عنده فبذل فيه محمد بن ابراهيم بن ثاقب كثيراً من الدراهم حتى قتل وتولى في بلد الزبير محمد بن ابراهيم المذكور ورجع من كان جالياً في الكويت من أهل الزبير واستولى على جميع أموال آل زهير وعلى نخيلهم التي في البصرة فلما تم له الأمر قتل ونهبت أمواله كما يأتي إن شاء الله وكذلك قتل عبد الرحمن آل مبارك وتعذيبه نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين والف ﴾ وفيها سارت قبائل عسير والمع إلى المخا البلد المعروفة في اليمن وقد أخذها عسكر الترك وملكوها يريدون أن يستنقذوها من الترك وكان في عسكر عسير وأتباعهم نحو الفي رجل قد لبسوا أكفانهم فقصدوا سورها وتسوروا جدرانها فقتل أكثرهم فوق السور فلم ينثن عزم الباقين حتى نزلوا فيه وتبعهم الباقون من عسير فاخذوا البلد عنوة من أيدي الترك وغنموا أموالا لا تحصى ورئيس عسير القائم في هذا الأمر علي بن مجثل وذكر لي رجل دخل المخا بعد الوقعة قال أن رجلا من الترك بعد ما دخل عسير البلد وأخذوها قال لهم أن في هذا الخان أربعمائة صندوق من الفلوس والقماش والسلاح فامشوا معي أريكم إياها فسار معه عدد كثير فلما وصلوها ضرب صندوقاً منها بطبنجة فثارت فيه فاشتعلت النار وثارت الصناديق وكانت مملوءة باردوا ورصاصاً فأهلكت خلائق كثيرة . وفيها مناخ المربع بين مطير وأتباعهم وبين عنزه وأتباعهم والمربع ماء معروف من مياه الشرب قرب بلد المذنب ورئيس مطير إذ ذاك محمد بن فيصل الدويش

المكنى أبو عمر وأخوه الحميدى واجتمعت قبائل مطير ومعهم بنو سالم من حرب وقائدهم دياب بن غانم بن مصيان وسلطان بن ربيعان وأتباعه من عتيبه وغازى بن ضبيان وأتباعه من الدهامشه من عنزه ومزيد بن مهلهل بن هذال ومعه قطعة من آل حبلان من عنزه هؤلاء أتباع مطير ويشربون عين الصوينع. وأما عنزه وأتباعهم فرئيسهم المقوم لهذا الأمر زيد بن مغليث بن هذال ومعه قبيلة من آل حبلان وقاعد بن مجلاد وقبيلته من الدهامشه والغضاوره من ولد سليمان وابن وضيحان وقبيلته من الصقور وصحن الدريعى بن شعلان وقبائله من الرولة هؤلاء قبائل عنزة ومعهم من غيرهم بنو على من حرب ورئيسهم الفرم والبرزان من مطير ورئيسهم. حسين أبو شويربات وعدوان بن طواله وقبيلته من شمر هؤلاء مقابلون لضدهم على الثليما الماء المعروف وإنما بسطت عدهم وتسميتهم لأن هذا المناخ جمع العربان وتنافرت فيه القرابات كل له شأن فوقع بينهم الحرب الشديد الذى يشيب من هوله الوليد وتبارزت فيه فرسانهم، وتعانقت شجعانهم وعملوا لأهل البنادق المتارس، فعلا دخان البارود بينهم ودام كل لضده حارس، وعقلوا أبلهم فى هذا المناخ حتى أكلت الدمن وغلا الطعام حتى بيع عندهم باوفر ثمن، واستمر ذلك المناخ والقتال نحو أربعين. ثم ولت بعد ذلك قبائل عنزة منهزمين، وذلك أنه ركب من مطير وأتباعهم أربعمائة فارس مدرعين مطوسين، بعد ما تناشب الحرب ذلك اليوم واشتعلت ناره وطار شره وشراره، فكرت على بعض جمع عنزة فكسروه. ثم حمل جمع الدوشان على من يليهم وساقوا عليهم الإبل فوطئوه. فولت قبائل عنزة مدبرين لايلوى أحد على أحد ولم يبق راكب ولا راجل إلا شرد، وتركوا محلهم وبعض أغنامهم وشيئاً من إبلهم وذلك أن عنزة لما رأوا وجه الهزيمة أهزموا الإبل قبلهم وبعض أغنام وأخذ عدوهم ماتركوه وشيئاً مما أدركوه. وقتل فى هذه الوقعه من مشاهير مطير مطلق بن ضويحى الدويش وولد إسمعيل الدويش وقتل من عنزة عدة قتلى، هـذا والإمام تركى مشغول بأمر مشارى ومشغول بتجهيز غزوان نجد مع ابنه فيصل لناحية الشرق كما يأتى فمن أجل ذلك ترك هؤلاء العربان يثخن بعضهم بعضاً. وفى هذه الأيام توفى على بن مجثل أمير عسير والمع وكان فى

الغايه من الشجاعة والديانة واستخلف ابن أخيه عايض بن مرعى . وفيها أمر تركى على جميع رعاياه بالمغزا مع ابنه فيصل فركب من الرياض بغزوهم ونزل برحية الماء المعروف فى العرمة وأقام عليها أياما حتى اجتمع اليه أهل النواحى فرحل منها وقصد القطيف وذلك أنه بلغه أن أهل جزيرة العماير قطعوا السبل عن أهل القطيف وأن بينهم وبين عبد الله بن غانم رئيس القطيف محاربات فلما وصل إلى ذلك المكان شن الغارة عليهم وأخذ كثيراً من أثاثهم وقتل منهم رجالا وانهزم شريدتهم إلى قصر الدمام عند أولاد عبد الله بن أحمد بن خليفة رئيس البحرين ، ثم رحل ونزل قريباً من سيهات وكان ابن عبدالرحيم رئيسها بينه وبين ابن خليفة اتفاق على محاربة فيصل فرماهم فيصل بالمدافع وحاصرهم حصاراً شديداً وقطع شيئاً من نخيلهم هذا وآل خليفة يمدون أهل سيهات بما يحتاجونه للحصار فلما رأى فيصل اتفاقهم على الحرب رتب الحصون التى فى القطيف فجعل محمد بن يوسف العجاجى فى بلد دارين وسليمان بن سحيم فى بلد تاروت ومعه مرابطة فيه ومحمد ابن نصار المعروف بالدعمى فى قصر تاروت وأبومسمار غلام سعود فى الغرضة، ثم بلغه قتل أبيه رحمه الله فرحل من القطيف قافلا ولم يشعر بذلك أحد من المسلمين ورحل معه بعبد الله بن غانم رئيس القطيف . وفى هذه السنة فى يوم الجمعة آخر ذى الحجة قتـل الإمام الشهيد . ذو الشجاعة والرأى السديد الذى ليس له مماثل فى الرأى والسياسة . الجامع بين العفو والحلم والإناءة والرئاسة ، الوافى بالعقود . تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود . وذلك أن مشارى بن عبد الرحمن ابن سعود من الذين نقلهم ابراهيم باشا إلى مصر فشرد منها سنة اثنين وأربعين ومائتين والف فقدم على خاله ابن عمه الإمام تركى بن عبد الله وقدأستقام له الأمر على نجد كلها فقام له خاله أتم القيام وأكرمه وزاده فى الأكرام . وأعطاه خيلا وركابا وسلاحا وجميع مايحتاج اليه من فرش وغيرها وأستعمله أميرا فى منفوحة ولم يعلم مافى طى الغيب من الأقدار ، وربك يخلق مايشاء ويختار . فلما كان فى سنة خمس وأربعين وشى به واش عند خاله تركى رحمه الله أنه اجتمع بأناس من ولاة الرعية

وعاقدهم على قتله فوقع فى نفس تركى على اناس من أجل هذه الشبهة شيء فعزل منهم من عزل عن ولايته وعفى عن من عفى منهم ولم يرفع فى الأمر رأس وزاد فى إكرام مشارى إلا أنه عزله عن امارة منفوحة فحقد فى نفسه فلما غزا تركى للشمال كما تقدم خرج مشارى من الرياض مغاضباً لخاله كما قدمناه ، فلما رجع اليه مع أهل المذنب كما سبق جعله تركى فى بيت عند أهله وعياله وقام بجميع حوائجه ولا جعل عليه داخلا من الناس خوفا من الفتنة فلبس عليه رجال من أهل الديوان الذين ضعف فى قلوبهم الإيمان . مع ماعنده من تسويل الشيطان . وقالوا إنك أولى بالحكم . وأنت الشجاع المقدم . وقد انتقصك وخذلك فهو أحق بالقتل . ولم يعلموا بما قاله ﷺ « مامن ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع مايدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم » ولكن إذا جاء القدر عمى البصر . فزاد اغراءهم وحشة المكان و استطالة الزمان . هذا والامام تركى رحمه الله كثير الحلم والإعراض عمن نم ولم ينسج فى خلده صدقه لمودته له وقرابته منه وكثرة الإحسان اليه . وقد قيل له ذلك فقال هذا قول لامعول عليه . ولم يرفع بذلك رأسا لأن الأجل قد حضر بذلك ورسا . فعزم مشارى على إظهار ماأبطن ، وجرد سيفه لإثارة الفتن ، وذلك بمساعدة رجال أسافل . من الخدام الأراذل . وتواعدوا عليه بعد صلاة الجمعة إذا خرج من المسجد ، فلما صلى الجمعة وصلى سنتها التى بعدها خرج على عادته من الباب الذى جنوبى المحراب وكان قد أعد هذا الباب فى قبلة المسجد لدخوله وخروجه ولدخول الإمام عن تخطى رقاب الناس . وكان قد وقف له البغاة بين الدكاكين وبين القصر والمسجد وبيده مكتوب يقرأه وإلى جنبه رجل على يساره فاعترضه منهم عبد خادم يقال له ابراهيم بن حمزة فادخل طبنجة معه مع كم الامام تركى وهو غافل فثورها فيه فوقع ميتاً وإذا مشارى قد خرج من المسجد فشهر سيفه وتهدد الناس وتوعدهم وشهر معه أناس سيوفهم فعلم الناس أن الأمر قد قضى بليل . فلما رأى زويد العبد المشهور مملوك تركى عمه صريعاً شهر سيفه وجرح رجلا من خدام مشارى فلما لم يجد مساعداً هرب إلى القصر ، ثم أن مشارى ومن معه دخلوا

القصر وحبسوا زويدا وجلس مشارى للناس يدعوهم إلى البيعة فلما علم آل الشيخ وقوع هذا الأمر جلسوا فى المسجد فارسل اليهم مشارى فأبوا أن يخرجوا إلا بالأمان فكتب اليهم بالأمان فأتوا اليه وبايعوه ثم نقل تركى من موضعه ذلك وأدخلوه فى بيت زويد فجهز وصلى عليه المسلمون بعد صلاة العصر ودفن فى مقبرة الرياض آخر ساعة من يوم الجمعة رحمه الله تعالى وعفى عنه . ثم أمر مشارى على نساء تركى وعياله ونساء فيصل وعياله أن يخرجوا من القصر فاخرجوهم واستولى على ما فى الخزائن من الأموال والسلاح فقسم السلاح على خدامه وأعوانه وفرق شيئاً كثيراً من الدراهم والكسوة وبايعه أهل البلدان وهم فى بلدانهم أمر من يأخذ له البيعة منهم لانه قد تيقن أن فيصلا لا يجسر على حربه ولا يقدم على بأسه وصولته ولا يساعده أحد من دولته وهذا هو المتردد بينه وبين أهل مشورته، ولكن الله تعالى هو الحكيم الفعال ، والبغى مصرعة الرجال وقد وعد بذلك مكون الأكوان فقال (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا) ثم أن زويدا هرب من الرياض وقصد فيصلا فوافاه فى الاحساء . وأما فيصلا فانه لما بلغه الخبر فى القطيف أخفاه عن الناس ورحل قافلا وقصد الاحساء . وكان الأمير فيه من جهة أبيه عمر بن محمد بن عفيصان فلما قدم الاحساء فشا ذلك فى الناس وكان معه رؤساء المسلمين وأعيانهم منهم :الأمير عبد الله بن على بن رشيد رئيس جبل شمر . وكان ذا رأى وشجاعة وعبد العزيز ابن محمد بن عبد الله بن حسن رئيس بريده وتركى الهزانى رئيس الحريق وحمد بن يحيى بن غيهب أمير الوشم وغيرهم ورجال من رؤساء العربان فأرسل اليهم فيصل وأحضرهم عنده ومعهم عمر بن عفيصان فأخبرهم بالأمر وأنه لابد من أخذ الثار . فلما سمعوا كلامه أولئك الجماعة قاموا كلهم وبايعوه على السمع والطاعة فكانت بإذن الله كلمة مجتمعة على المسير والحرب معاً . ثم رحل من مكانه ودخل الاحساء وساعده بن عفيصان فيما أراد فأمر بالتزود للمسير بالذهاب والزهبة والسلاح والدراهم العداد . ثم رحل من الاحساء بجنوده، ورفع راياته وبنوده وأعمى الله أخباره عن الباغين فلم يعلموا صدوره ولا وروده . فلما كان ليلة الثلاثاء تاسع عشر من المحرم

نزل قريباً من بلد الرياض وثوروا من البارود حتى كان له رعد عظيم وانقضاض ومع ذلك فالباغى لا يسمعه ولا يشعر به ولا خطر على باله ولا تحدث به ، ويرسل الرسل ايأتوه بالخبر فيرجعون اليه لا عين ولا أثر ثم أمر على من كان معه من أهل الرياض يدخلون البلد فى الليل ويمسكون البروج والبيوت المقابلة للقصر وأمر على رجال من غيرهم ممن يثق بهم يسيرون معهم فلما وصلوا إلى البلد وجدوا بروجها مملوءة من الرجال جعلهم مشارى فيها فلما رأوهم وعرفوهم سكتوا عنهم وأدخلوهم البلد وكل ذلك تقدمة لما قضاه رب العالمين فدخلوا البيوت والبروج وضبطوها فلما أحاطوا به عن مدارك الفرار . شبوا النار بالبنادق وصاحوا بالثار . فلم يفجأ مشارى وذويه . إلا أصوات تلك الرجال وبنادقهم يثأرون عليه . وإذا بهم وسط البيوت يعشرون . ويثارون بدم الإمام ويرمون . فلما رأى ذلك بهت وسقط فى يديه . ونزل الذعر والرعب عليه . وعلم أنها داهية شاقة . وحادثة حاقة ، فاغلقوا الأبواب . وصعدوا بروجهم للحرب وهم يعلمون . أن ليس لهم بذلك من طاقة ، ولكن أضرموا الحرب . ليرموا أسباب الهرب . والخروج وأبى الله إلا الانتقام . ممن غدر بالذمام . ولما كان بعد صلاة الصبح ركب فيصل من مكانه بالمسلمين ودخل الرياض ونزل البيت وفرق المسلمين فى البيوت وفى بروج البلد وشب الحرب على من فى القصر وكان الذى فيه مع مشارى نحو مائة وأربعين رجلا منهم سويد بن على رئيس جلاجل وتابع الحرب عليهم فى الليل والنهار ، ورماهم بالمدافع الكبار . فلما كان ليلة الثلاثاء تاسع صفر نزل من القصر رجال من سبيع وغيرهم وأخبروا أنهم قد تخاذلوا ووقع فى قلوبهم الرعب فأتى رجال من أعيانهم إلى سويد وطلبوا منه أن يأخذ لهم أمانا من فيصل هذا وهم فى حصن حصين وعندهم من السلاح وآلات الحـــرب كمين وعندهم من الأزواد وفواكه المطاعم مالو حاربوا مائة سنة لكفاهم ولكنه كما قيل سمين الغصب مهزول ، ووالى الغدر معزول : ولما كان ليلة الخميس حادى عشر صفر أرسل سويد إلى فيصل وطلب منه الأمان على نفسه وماله ومن كان عنده فى القصر من الرجال سوى من باشر قتل الإمام أو ساعد فى قتله فشاور فيصل رؤساء المسلمين

فاشاروا عليه أن يعطيهم الأمان لأجل مافى القصر من بيت المال والخزانات وخاف ان أخذوه عنوة يصير بين الناس أشتات فاعطاهم الأمان على الصعود اليهم للقتال فاتوا إلى القصر فرموا لهم الحبال فصعدوا اليهم وهم أربعون من الرجال مع الليث الشجاع والصارم القطاع عبد الله بن على بن رشيد رئيس بلد شمر وبداح رئيس آل جيش من العجمان . والشجاع المقدام عبد الله بن خميس رضيع الامام فترلوا عليهم فى وسط القصر وقصدوا مشارى وأعوانه فى مكانهم فقتلوهم وهم ستة رجال وأخرجوا جسد مشارى ورأسه خارج القصر ليعرف وينظر اليه رحمه الله تعالى وعفى عنه فان القصاص يكفر الله به عن الجانى ومغفرة الله أوسع من الذنوب العمد منها والزلل . ورحمته أرجا من الاجتهاد فى العمل . وهو الجواد الكريم الغفور الرحيم . ولما قتل مشارى ودخل فيصل القصر . وسكنت الحروب وانفصل الأمر . كتب إلى صاحبنا الشيخ محمد بن ابراهيم بن سيف رحمه الله يصف ماجرى لهم وعليهم من الحرب والحصار . وأنتصار الامام فيصل وأخذه للثار . ماصورته :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن ابراهيم بن سيف إلى جناب الأخ المحب عثمان بن عبدالله بن بشر أحسن الله اليه فى الدنيا والآخرة، وصرف عنه كل سوء برحمته آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فموجب الخط إبلاغك السلام على التوال. والسؤال عن الأحوال العوال ، وإن خطر المحب بالبال. وصور تموه بمرآة الخيال. فانه فى أحسن حال ، وأنعم بال . يحمد الله اليكم على ما أولى من النعم ، وصرف من النقم . سيما مايسره الله تعالى من اهلاك أولى البغى والفساد . وإراحة البلاد منهم والعباد . فسبحان المتصرف فى أحوال عباده بخوارق العادة . الجارية على أقداره بما أقتضاه مراده . فانه لما كان يوم الثلاثاء التاسع من ذى الحجة نزل من القصر مثنى وثلاثا ، وذلك بعد تعطل الأسباب الجياد وتكاسل الأمداد . عن الصعود عليهم والجلاد . فلما كان يوم الأربعاء نزل من القصر إحدى عشر شخصاً معاً . فلما رأوا الحال كذلك . زاد مابهم من الرعب حتى ظن كل منهم أنه الهالك.

فلما جن الليل الحالك من ليلة الخميس الحادى عشر من ذى الخير صفر . أخذ سويد الأمان على من فى القصر ، سوى من قتل أو أمر . أو مالى على قتل الإمام أو حضر . وبقى موقض الفتنة وثلاثة معه فى جوف القصر لايدرون ، وخفيت عليهم خيانة جندهم حتى أتاهم العذاب من حيث لايشعرون . فلما تنبه الباغى ومن ذكر معه للخيانة . تيقن أن البغى صرعه وخانه ، فكلما صعد مربعة من القصر رجاء أن يدخلوه قالوا له أرجع أزكى لك بل طردوه . فلما أسلمه أصحابه ذهب ومن معه إلى أذل مكان فى القصر وتخبأ به فاصعد جنده الذين فى المرابيع قوما من جند المظلوم فهبطوا عليه ليقتلوه ، فلم يزالوا بالحرب والضرب يساجلوه ، فقتلوا أصحابه قبله ، فلما استراحوا منهم توجهوا اليه وجعلوه قبله . فلما أثخنوه بالجراح المزعجة . تخبأ فى بيت درجه . وطلب مواجهة ابن عمه فأبوا عليه . ثم طلب شربة ماء فلم يجيبوا اليه . فخرج عليهم مصروعا بالبغى فاجحوا فيه الملح والرصاص . وأخذوا الثار واستوفوا بالبيض القصاص . نسأل الله تعالى العافية . وأن يشملنا بلطائف بره الوافية . وجملة من قتل معه وبعده ستة رجال . ونزل فيصل القصر واجتمع المسلمون عليه والله تعالى اسأل أن يجعله هاديا مهديا محسنا اليه ، والمحب لكم كثير الدعاء والشوق لجنابكم والثناء . نسأل الله تعالى أن يمن بالتلاق السار . ويحجب عنا وعنكم الأسوى والمضار . والحال كما قال :

إذا تحققتم ما عند صاحبكم ... من الوداد فذاك القدر يكفيه
أنتم سكنتم فؤادى وهو منزلكم ... وصاحب البيت أدرى بالذى فيه

فكتب اليه جواب كتابه :

من الفقير إلى الله تعالى عثمان بن عبد الله بن بشر إلى الأخ المحب الشيخ محمد ابن الشيخ ابراهيم بن سيف أمده الله تعالى بعنايته ، وأفاض عليه سوابغ فضله وكرامته آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فورد مشرفكم الشريف . وخطابكم العالى المنيف بهذا النصر العظيم . لإمام المسلمين . فالحمد لله رب العالمين . وماذكرت

من اهلاك أولى البغى والفساد . واراحة العباد منهم والبلاد . فهذه سنة الله في الباغين وانتصاره للمظلومين . خصوصاً من سفك الدم الحرام . سيما إن كان في الإمام . وقصص الأولين مواعظ للاخرين . وهذ الإمام قدس الله روحه هو وعشيرته . هم الذين أعاد الله بهم الإسلام بعد غربته ، وفرج الله بهم عن كل مظلوم كربته . فلما أمضى الله عليهم القدر . ووهى الإسلام بعدهم ودثر ، وعدم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعمرت في حال الصلاة المجالس . وهجرت الجامع والمدارس . وسل سيف الفتنة بين الأنام . حتى أن الرجل في جوف بيته لاينام أظهر الله من بينهم هذا الإمام الهمام . فبذل جهده في نصر هذا الدين واجتماع شمل المسلمين . وجالد عليه بالسيف والسنان ، وصبر على مقاسات أهل الطغيان ، من عساكر الترك والروم . ومن وازرهم من أعوانهم من القوم ، حتى خمدت الفتنة وطفيت نارها ، وتقشع دخانها وغبارها فاجتمعت به الأمة بعد أفتراقها . وحقنت به الدماء بعد إهراقها . وهابه الأقصى في حجازها وعراقها . وهو مع ذلك في تواضعه كرجل من عامة المسلمين يلبس مثلهم في اللباس . ومثلهم على الراحلة إذا ركب في الناس أبوابه لاترد ، وحجابه لاترد ، ويكالحه الجافي فيرد عليه أحسن رد ، وتوقفه المرأة والضعيف للحاجة فيقف ولايصد . فصار المسلمون به مبتهجون وبأخلاقه مسرورون ، وفي أوطانهم آمنون . ثم جاء هذا من مصر وحيد ليس معه خدم ولاعبيد . فقام له الإمام أتم القيام . وأنعم عليه أحسن الأنعام . وأعطاه الخيل والسلاح وخال فيه الصلاح ، وأستعمله أميراً على بعض رعيته ، ثم لم يكفه إلا أن أراد الفتك به فكف الله عنه يده ، وخرج مستصرخاً من بلده ثم رجع إلى الامام ، لما يعلم منه من عدم الانتقام ، والصفح عن أهل الإجرام ، فوافاه بالصفح الجميل ، وأعطاه العطاء الجزيل ، وهو مع ذلك يحقر لوثبه ، ويؤلب أعوانه وحزبه ، فلما آثر الحياة الدنيا ، وظن أن القصر هو المأوى ، وثب على الامام ، وسفك الدم الحرام ، فلما أسلمه للمنون ، أخرج من قصره أرحامه الأدنون ، وجعل مكانهم ماتعلمون ، أيحق لمن هذه أفعاله أن ينصره أو يكون والياً على هذا المنكر ، كلا والله وقد قال الله (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلايسرف في القتل إنه كان منصوراً) قال ابن كثير رحمه

الله ينصر شرعا وقدراً ، وفى الحديث « مامن مذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع مايدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم» وقال الحكماء: من سل سيف العدوان أغمد فى رأسه ، وقيل ماأجتمع الملك والبغى فى سرير إلا اخلا، وقيل لكل عاثر من راحم إلا الباغى فان القلوب مطبقة على الشماتة بمصرعه ، وماأعطى أحدا شيئاً إلا أخذ منه أضعافه ، ولما أتانا الخبر بقتل الامام ونحن قادمون بلد القويعية راجعين من الحج ماج الناس بعضهم فى بعض ، وضاقت بما رحبت عليهم الأرض، وبلغت القلوب الحناجر ، وظن أنه يقع بين الناس التشاجر، فقلت لهم والله ليلين فيصل ، وليجعلن الله له سلطانا ، كما وعد به سبحانه وأنزل به قرآنا . و بعد ماالفينا البلد وكثرة الهرج ذكرنا لهم سنة الله فى الأولين ثم أقسمت لهم على نصره تصديقاً لرب العالمين فالحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وليس ياأخى رزء أعظم من هذا النازل ولا مصاب أعظم من هذا الخطب الهائل الذى صدع أعشار القلوب وأفاض الدموع من القرب بمصاب الامام الشهيد أسكنه الله غرف الجنان وأفاض عليه شآبيب المغفرة والرضوان . فياله من إمام ما أوفى ذمامه وقائم بنصر الاسلام ما أحسن قيامه لكن على الموت سلفت الأمم وجرى بمحتومه القلم فما مات أحد قبل أجله الذى قدر له وماتقدم عنه وماتأخر وزن خردلة ولو كان من الحمام ملجأ أو وزر لكان أولى بذلك سيد البشر ﷺ فان كان جرى من العيون عيون عند حدوث الحادث فقد قرت الأعين عند أنتصار الوارث جعل الله هذه هى خاتمة الفجائع وجعل نجله السعيد فى أمان من الحدثان وحبى بمزيد لايشوبه نقصان والسلام .

وكان الشيخ محمد بن سيف هذا المذكور له معرفة ودراية قرأ فى جملة من العلوم وأكثر قراءته على الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقرأ على بيه فى التفسير والحديث ثم سافر إلى مصر فى حدود سنة أربع وخمسين ومائتين والف وقرأ فيه فيما ذكر جملة من فنون العلم ثم رجع وأستعمله الامام قاضياً فى جبل شمر عند الأمير عبد الله بن رشيد . وتوفى هناك سنة خمس وستين ومائتين والف رحمه الله تعالى.

رجعنا إلى مانحن بصدده : وكان تركى رحمه الله شجاعا مقداما مجاهداً فى سبيل الله افتتح قرى نجد واستولى عليها بالحرب والصلح بعدأن كان بعضهم يضرب رقاب بعض وكان كل بلد أميرها شاهراً سيفه لمحاربة البلدالتى تليه فجاهد حق الجهاد حتى أطاعت له البلاد والعباد وصاروا كلهم جماعة وبايعوه على السمع والطاعة . وكان لما أخذ ابراهيم باشا بلد الدرعية هرب منها فى الليل وقصد آل شامر من بادية العجمان وأقام عندهم وتزوج بنت غيدان بن جازع بن على فولدت له ولداً سماه جلوى لأنه ولد فى جلوته من بلده ثم أنه لم يزل ينتقل فى العربان والبلدان ونزل بلد الحلوة المعروفة فى الفرع فلما أراد الله إتمام نعمته على المسلمين وحقن دمائهم وجمع شملهم رحل بشرذمة رجال من الحلوة وقصد بلد عرقه وحارب الترك كامروكان ذا رأى وشجاعة وفطنة وبراعة وحلم وإناءة وله من ذلك ماليس لغيره من الملوك والسلاطين بل له الحظ الوافر حتى لايقاس به فى زمانه قرين مع تواضعه لليتامى والمساكين فى هيبة جعلها الله عليه ومحبة فى القلوب مصروفة اليه وأعاد الله به أبهة هذا الملك فعمر ابنه المجد والمكارم ورفع شرف آبائه وأعمامه الخضارم وكانت اليتامى من كل بلد عنده فى قصره وكل أرملة ومنقطع يحسن اليه ويبره ، وهو الذى يتولى الباسهم كسوتهم بيده تواضعاً ولا يقدم اليهم الطعام إلا بحضرته وكان لايخل بمجامع الدروس واجتماع المسلمين ، وفى كل يوم خميس واثنين يخرج من قصره فيجتمع الناس لذلك أجمعين . وكان العالم المقدم فى ذلك المجلس الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وكانت القراءة عليه فى ذلك المجلس تارة فى تفسير ابن جرير وتارة فى كتب الحديث وأما سيرته فى مغازيه فانه إذا أراد الغزو كتب لأمراء البلدان ، ورؤساء العربان ، وواعدهم يوماً معلوماً من شهر معلوم ، ثم يخرج زهابه وزهبته ومدافعه ان كانت وآلات ضيفه وعليق خيله قبل خروجه بنحو خمسة عشر يوما . ثم بعد ذلك يظهر الراية فتوضع قريباً من باب قصره قدر يومين أوثلاثة ، ثم يخرج يوم الخميس أويوم الاثنين من قصره وقد وقف له الفرسان من بنيه وعشيرته ورجاله على خيولهم وتقف له الرجال والأطفال والأرامل والمساكين فيدعون له ويودعونه فيبذل لهم العطايا ثم تنهض الغزاة

بعده فيسير للمكان الذي واعد المسلمين أن يجتمعوا فيه فيسير بهم وكان ينزل فى المنزل قبل غروب الشمس ويرحل منه قبل شروقها ويقيل الهاجرة ولا يرحل حتى يصلى صلاتى الجمع الظهر والعصر فإذا وصل إلى عدوه شن عليهم الغارة فإذا رأوه انهزموا لما جعل الله فى قلوبهم عن الرعب منه وإذا استولى على عدوه قتل المقاتلة وترك النساء والأطفال والشيوخ وأخذ الأموال ولم يقتل أحداً صبراً فإن لم يكن قصد عدواً نزل فى موضع المسلمين وأقام فيه على حسب ماقصده من المصالح للمسلمين وكل أهل ناحية يخطون لهم مسجداً ويجتمعون لصلاة الجماعة على الإمام الراتب . وبعد فراغه يصلى إمام ثانى بالمتخلفين عند المتاع ولا يصلى أحداً منفرداً وكان يجتمع المسلمين عنده للدرس فيعظهم ويذكرهم العالم الذى معه وأكثر القراءة عنده فى ذلك المجلس فى كتب التفسير والسير وبعض الأوقات فى السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية وفى كتب الحديث . وفى موضعه ذلك تأتى إليه وفود العربان ويفرق العمال لتقبض الزكاة فيأخذونها على الوجه المشروع من أهلها فإذا فرغ من مقاصده رجع قافلا وأذن لأهل النواحى يرجعون إلى أوطانهم ومن لطايف سيرته أنه يكون للضعيف فى الغاية من التلطف والإكرام ولين الكلام وإطعام الطعام ، وأما خيله وعبيده وخدمه وآلات حربه فشىء كثير . وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر كثير النصائح لرعيته وقد رأيت أن أورد رسالة من نصائحه لرعيته ليعلم من سمعها أنه من الداعين إلى الله المجاهدين فى سبيل الله قال رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم من تركى بن عبد الله إلى من يراه من المسلمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد موجب الخط إبلاغكم السلام والسؤال عن أحوالكم والنصيحة لكم والشفقة عليكم والمعذرة من الله الذى ولانى أمركم والله المسئول أن يتولانا وإياكم فى الدنيا والآخرة وأن يجعلنا ممن إذا أعطى شكر وإذا ابتلى صبر وإذا أذنب استغفر والله تعالى منعم يحب الشاكرين ووعدهم على ذلك المزيد قال تعالى « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد » فالذى أوصيكم به تقوى الله فى السر والعلانية قال الله تعالى « ومن يطع الله ورسوله ويخشى

الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ، وجماع التقوى أداء ما افترض الله وترك ما حرم الله وأعظم فرائض الله بعد التوحيد الصلاة ولا يخفاكم ما وقع من الخلل بها والاستخفاف بشأنها وهي عمود الإسلام الفارقة بعد الكفر والإيمان من أقامها فقد أقام دينه ومن ضيعها فهو بما سواها أضيع وهي آخر ما وصى به النبيّ ﷺ وهي آخر وصية كل نبي لقومه وهي آخر مايذهب من الدين ، وهي أول مايحاسب عليه العبد يوم القيامة ، وبعض النـاس يسيء في صلاته واحد يتخلف عن الجماعة ويصلي وحده أو في نخله هو ورجاجيله والمسجد جار له وفي الحديث « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » وهمّ النبي ﷺ أن يحرق على المتخلفين بيوتهم بالنار لولا ما فيها من النساء والذرية وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفـاق وهذه أمور ما يخفاكم وجوبها لكن الكبرى عدم إنـكار المنكر وتزيين الشيطان لبعض الناس أن كلا ذنبه على جنبه ، وفي الحديث « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطراً أوليعمنكم الله بعقابه » وكذلك الزكاة بعض الناس يبخل بها أو يستخف بها ويجعلها وقاية دون ماله والعياذ بالله وأنتم تعلمون أنها من أركان الإسلام قال تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » وقال النبي ﷺ « مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حق الله منه إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار وأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العبـاد فيرى سبيله أما إلى الجنة وإما إلى النار » ثم ذكر عقوبة مانعها من الإبل والغنم وكل مالا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه ونصاب الزكاة تفهمونه وعروض التجارة مثل الزرع الذي يدخره صاحبه ولو كان من زرع قد زكي إذا حال عليه الحول وهو معد للتجارة وجبت فيه الزكاة أو تمراً أو إنماً نماً كلما أعد للتجارة تجب فيه عند الحول ويزكيه صاحبه والله تعالى يبتلي الغني بالفقير وطلب منكم اليسير فمن أداها

فنرجو الله يقبلها منه ويخلفها عليه ، ومن مكر بها فالله خير الماكرين وكذلك الربا تفهمون أنه من أكبر الكبائر وأن مرتكبه محارب لله ورسوله قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » وقال تعالى « الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » الآية وفى الحديث أن النبى ﷺ قال « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه فلعنهم سواء » فدل هذا الحديث أن الرضا بالمعصية معصية وأن من لم ينكر على العاصى كالمرابى فهو مثله ، وفى حديث آخر « الربا سبعون حوباً أيسرها مثل من ينكح أمه » وفى الحديث أيضاً « أربعة حق على الله ألا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه » وفى حديث آخر « ماظهر الربا والزنى فى قرية إلا أذن الله بهلاكها » ومن أنواع الربا بيع الطعام بالطعام إلى أجل وبيع الملح بالطعام قبل القبض وبيع الذهب بالفضة والفضة بالذهب والتفرق قبل القبض ، وفى الحديث الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح يداً بيد وزناً بوزن كيلا بكيل فمن زاد واستزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد ، ومنه القرض الذى يجر منفعة وفى الحديث « كل قرض جر نفعاً فهو ربا » وكذلك قلب الدين بالدين على المعسر إذا كان فى ذمته دراهم فعجز عن وفائها أسلمها عليه بطعام وهذا يشبه ربا الجاهلية إما أن تقضى وإما أن تربى وكذلك بيع العينة وهى حرام إذا كان عند رجل سلعة فاشتراها منه إنسان إلى أجل ثم اشتراها منه صاحبها الذى باعها بنقد بدون ثمنها وأنواع الربا ما يمكن حصرها فيلزم المسلم الذى له معاملة أن يفهم أنواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيه والجاهل يسأل العالم والخطر عظيم يسخط الرب ويمحق المال فاستعينوا بالله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، وكذلك المكاييل والموازين وأنا ملزم كل أمير يحضر مكاييل بلده وموازينها وينظر فيها عن الخلل

وتكون على مكيال واحد وميزان واحد وتفقدوا النـاس فى كل شهر ولا يحل بخس المكيال والميزان ولو كانت المعاملة مع ذمى كما فى الحديث « أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك » وكذلك تفقدوا الناس عن المعاشر الردية والذين يجتمعون على شرب التتن والنشوق به وكل أهل بلد يرتبـون مجالس الدرس فى الجامع فإن كانت خاوية يعمرونها والذى يعرف بالتخلف عن مجالس الذكـر يرفعونه لنا وأنا إذاً للامر بالمعروف والناهى عن المنـكر إذا كان عن علم ينصح أولا ويؤدب ثانياً ومن عارضه من خاص أو عام فأدبه الجلا من وطنه وهذا من ذمتى فى ذمة كل من يخاف الله واليوم الآخر وأنا أشهد الله عليكم أنى برىء من ظلم من ظلمـكم وأنا نصرة لـكل صاحب حق وعون لـكل مظلوم « واذكروا نعمة الله عليـكم إذ كـنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكـنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » وأعزكم بعد الذلة وجمعكم بعد الفرقة وكثركم بعد القلة وأمنكم بعد الخوف وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم والسلام .

فانظر أيها الإنسان إلى هذه النصيحة وماشتملت عليه من الأحكام والدعوة إلى الله والشفقة على عباد الله وهذه ومافى معناها صفة مراسلاته بالنصائح لرعيته التى يبعث بها فى كل سنة إلى كل ناحية ، وهذه عادته وعادة إبنه فيصل ولو ذكرت نصائحهما لرعيتهما المتضمنة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله لبلغت مجلداً وقد رثاه الشيـخ عثمان بن منصور بقصيدة طويلة أولها :

أبرق بدا من جانب الشرق يكشف ... يذكـر الالفا وللدمع ينشف

إلى أن قال :

وفى القلب للأحزان وشر كأنه ... مناشر نشار من القلب تشلف
لرزء عظيم حل فى ربع ديننا ... إمام الهدى فيه القرابين تغلف
فلولا قضاء الله والقدر الذى ... مضى قبل أن توجد الخلق تسرف
وأخبر تركى الإمام بصنعـهم ... لماجوا كما ماج النعام المكـفكـف
ترى لابن عبد الله تركى صـولة ... تورثها من والد الخير تعرف
وعم وجد قوماً الدين يبنـنـا ... محمد مع عبد العزيز المخالف

أئمة صدق يقتفون نبيهم ... عليه سلام الله غض مضعف
هم القوم للعافى غيوث هوامع ... أسود نجوم للهدى ما تحرف
جوارهم عز ورفدهم غنى ... وبأسهم ذل لمن يتخلف
تخيرهم الرحمن نصراً لدينه ... فجادوا ببذل النفس إلا وأتلفوا
بنوا ملكهم فوق السرايع أسسوا ... عليه بناء العارفين مشرف
يوالون شيخاً للمشايخ قدوة ... إمام لهم من شرعة الدين يغرف
محمد نجم الدين والعلم الذى ... به يقتدى فى حندس الجهل مسدف
له أنجم زهر تعالى تراثه ... من الشرعة الغراء لا تتكلف
أولئك أصحاب النبي وحزبه ... يوالون رباً لمن والاه يلطف
أبو حسن هو الشيخ فينا وإنه ... لبحر خضم زاخر يتقصف
عروف رؤوف للمسائل ناقد ... يحل عويص القول لا يتوقف
به يقتدى فى العلم والحلم والنهى ... وبالفضل يعلو كل من يتشرف
وأبو حسين نحلى فى وداده ... على طاعة الرحمن يربو ويعكف
حليم رشيد يجلو الهم لفظه ... عليه رداء العلم يسدى ويلحف
هم أصدقاء القرب والود أنهم. ... على كل حال للشريعة موقف
له مفخر فوق النجوم علوه ... بعلم من الرحمن للأرض مزلف
على خير خلق الله طراً محمد ... عليه صلاة مع سلام يتحف
نبي كريم الأصل والفرع ماجد ... عليه لواء الحمد يخفق مشرف
وقد كان قبل اليوم آباءهم لنا ... رؤساء على دين النبى تصرف
فلما ذوى منهم غصون وابتلوا ... بنقل عنيف بالعساكر يكنف
أتاح لنا الإله ربى بفضله ... عن الفتنة السودا إماماً يؤلف
إمام الهدى تركى لله دره ... على الدين قواماً لمن يتعسف
فقام وأحيى شرعة الحق بعد ما ... تفرق من يدعو إليها ويعرف
فلما اعتلا أمر الشريعة واستوى ... على ساقه المعروف ما يتحرف

تمالوا على ذاك الإمام وابطنوا   من الغدر ما له الطود يقصف

وبالجملة فمناقبه ومكارمه مأثورة ، وفضائله ووقائعه مشهورة ، ولو ذكرت ما مدح به من الشعر والنثر لطال غاية ، ولكن فيما ذكرنا كفاية ، وكان أميره على الإحساء عمر بن محمد بن عقيصان ، وعلى القطيف عبد الله بن غانم ، وعلى عمان سلطان بن صقر رئيس القواصم ، وعلى وادى الدواسر عبد الله بن إبراهيم الحصين . ثم إنه استعفاه فجعل مكانه محمد بن عبد الله بن جلاجل ، وعلى سدير محمد بن الأمير صاحب ضرمى ثم عزله وجعل مكانه محمد بن عبدان من أهل الإحساء . فلما توفى صار مكانه أحمد بن ناصر الصانع وصار وكيلا أيضاً على بيت المال ، وعلى عنيزة يحيى بن سليمان بن زامل ثم عزله وجعل مكانه محمد بن ناهض ، وعلى بريدة عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن حسن وباقى القصيم تحت يده وعلى جبل شمر صالح بن عبد المحسن بن على وعلى الوشم حمد بن يحيى بن غيهب ثم جعله أميراً فى سدير وجعل مكانه فى الوشم محمد بن عبد الكريم البواردى ، وعلى الخرج على بن محمد بن عفيصان ، وعلى المحمل يحيى بن سارى ، ثم عزله وجعل مكانه عبد الله بن دخيل . وكان قاضيه على الرياض الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وعلى الخرج الشيخ العالم الفقيه عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان ذا علم وحلم وورع وعلى حوطة بنى تميم سعد العجيرى فلما توفى جعل مكانه الشيخ على بن حسين ثم رجع إلى الرياض وجعل مكانه الشيخ عبد الملك بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وعلى وادى الدواسر جمعان بن ناصر ، وعلى المحمل الشيخ محمد ابن مقرن . وعلى الإحساء الشيخ عبد الله الوهيبى إلى أن توفى سنة ثلاث وستين رحمه الله ، وكان فى الغاية من الديانة والعفاف والسخاء والكرم ، وعلى الوشم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ، وعلى سدير الشيخ عبد الله بن سليمان ابن عبيد فلما توفى صار بعده الشيخ عبد الله أبا بطين يأتى إليه نحو شهرين ثم يرجع إلى الوشم ثم بعد ذلك جعل فيه الشيخ عبد الرحمن ابن حمد الثميرى ،

وعلى منيخ والغاط والزلفى عثمان بن عبد الجبار بن شبانة فلما توفى صار مكانه إبنه عبد العزيز ، وعلى القصيم قرناس صاحب الرس وعلى القطيف محمود الفارسى وكان يبعث إلى جبل شمر وعمان والقطيف قضاة فيقيمون عندهم سنة أو نحوها ثم يأذن لهم فى الرجوع إلى أهليهم .

(ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين وألف) ولما قتل مشارى وأعوانه وتفرق شملهم بأمر الله سبحانه ، دخل الإمام فيصل القصر وقارنه العز والتمكين والنصر ، وجلس على سرير الملك والشرف ، وأعلن بالحمد والشكر لباريه واعترف ، وأطلع الله شمس سعادته مشرقة الأنوار ، ولبست الدنيا من حلل سيادته ملابس الافتخار ، وسر بولايته الأوطان والأقطار ، أخذ الملك لا من كلاله ، وأتاه مستبشراً يجر أذياله فلم يكن يصلح إلا له شعر :

أتته الإمامة منقادة ... إليه تجر أذيالها
فلم تكن تصلح إلا له ... ولم يكن يصلح إلا لها
ولو رامه أحد غيره ... لزلزلت الأرض زلزالها

غيره :

ورث الإمامة كابراً عن كابر ... لا زال ظلا دائماً ممدودا
هزت بمظهره الولاية عطفها ... فرحا به وتودت تأويدا
ملك رقى المعالى وهو مرعرع ... فكأنهن جعلن له نهودا
ملك براحته الصوارم تشتكى ... تعب الجلاد وكم تشق جلودا
ملك له عند الكفاح علامة ... أعنى به التكبير والتحميدا

وكان الإمام فيصل متع الله به له مع ربه سر يلتجى فى الشدائد إليه ، وثقة به فى كل نازلة يرجوه ويعول عليه ، وقد كان حفظ القرآن على ظهر قلبه وهو صغير وحافظ على تلاوته والتهجد به شاب وكبير ، وكان له حظ من الليل والقيام فيه ، كثير التضرع والابتهال لخالقه وباريه ، فكم حامت عليه حوائم الخطوب والآفات ، وكم وقع فى عظائم مهلكات يدخل فيه اليأس على الأتقياء والأكياس

فضلا عن أهل الولايات ورؤساء الناس فيعجل الله له من ذلك فرج قريب ، ويجعل الله له منه مخرج عجيب ، فمن ذلك مخرجه من حبس الترك المرة الأولى ولطف الله به فى خروجه من مصر ، وفى سفره فى البر والبحر ، فلما وصل إلى أبيه استبشر به أعظم بشرى ، وعدها من ربه نعمة كبرى ، فترقت به الأحوال ، وبلغ غاية الآمال . المخرج الثانى : هذه الحادثة الكبيرة والفعلة الشهيرة . وهى قتل أبيه ، وقاتله ابن أخته ابن أخيه . فأطبق أهل نجد وكاتبوه ، والأكثر منهم أطاعوا له وبايعوه ، وساعده على ذلك أبطال رجال . مع قوة عظيمة من السلاح والعدد والأموال . فسل فيصل حسامه وشهره ، والتجأ إلى ربه فنصره . فأخذ الثار وجرعهم ريب المنون ، وأوقع بهم ما تعلمون . المخرج الثالث : وهو الخطب العظيم الذى وقع منه اليأس والفوت وظن الناس كلهم أن الذى وقع به شراك الموت . وقالوا هذا رجلا من الترك شارد . فأوثقوه فى شراكهم الصائد وقد قاتلهم وأساء إليهم ووقع فى قبضة أيديهم فهذه المرة لا يسلمونه أو يجعلون عليه من العساكر مسلطين يحفظونه فأنزله الله تعالى بقدرته من رأس القاهرة الكبرى ، وأعمى أعينهم عنه يمنة ويسرى فأوصله إلى بلاده محفوظاً حتى أجلسه على وساده ، وكان ملكه قد أخذه من عشيرته شجاع قتال ، وجمع عنده كثيراً من الخيل والسلاح وآلات الحرب والرجال والأموال فداخله الذل والرعب حين سمع به ورآه . فلم يثبت له بل هرب منه حتى حصره وساعده من الله نصراً ، وأخذ الملك منه قسراً وقهراً . المخرج الرابع : وهو أعظمها عندى وهى عصيان أهل القصيم عليه ونبذهم العهد واستعدادهم له بالحرب ، وجمعهم له من العدة والعدد واتفاقهم أنهم لا يعطون الدنية للامام ، فسار القدر بسرية قليلة مع عبد الله بن الإمام قاصدين فرقاناً من البدو قد قطعوا الزمام ، فنهض إليهم شجعان أهل القصيم وأبطالهم وتعاهدوا على قتلهم وقتالهم ، وأنهم لا يبقون على واحد من رجالهم فالتقى الفئتان . وتصادمت الفريقان فأوقع الله الرعب فى قلوبهم فمنحوهم الأكتاف ، وجرى عليهم من القتل والسلب مالا جرى على غيرهم من الأسلاف ، فوقع الرعب فى قلوب قادتهم بلا قتال ،

وهربوا من بلدانهم وتركوا رعيتهم بلا وال ، فدخل الإمام بلدانهم واستولى على أوطانهم ، وخافوا من تنكيل ونكال . فصفح عن الرجال والأموال ، وستقف على ذلك كله عند ذكره فى محله من هذا الكتاب ، وبالجملة فخوارق العادات لهذا الإمام كثيرة معلومة . شهيرة بين الناس مفهومة . أصلح الله له ذريته . وأعطاه فيهم أمنيته . فحفظوا القرآن على صدورهم ، ودأبوا فى تحصيل علم الأدب فى آصالهم وبكورهم ، ولهم معرفة فى العلوم الشرعية ، والآثار السلفية ، وجمعوا كتباً كثيرة بالشراء والاستكتاب ،من حديث وتفسير وكتب الأصحاب ،وكان إبنه محمد فى الغاية من الديانة والعفاف ، وكذلك عبد الله فإنه فوق ما قلنا فيه . وأما سعود فظهرت فيه علامات السيادة والسعادة . وهو صغير ملتف فى مهاده ، واستعمله الامام أبوه أميراً فى ناحية الخرج ، وكان له كرم وعطايا كثيرة ، واشتهر جوده فى هذه الجزيرة ، وساعده التقدير ، وكان له شأن كبير ، فالله سبحانه المسئول أن يمنحهم من السعادة والسيادة الحظ الوافر العظيم ، ويهديهم إلى صراطه المستقيم .

ولما جلس فيصل على سرير الملك بتدبير مالك الملك . الذى سخر الفلك وعظ الناس وحضهم على طاعة الله تعالى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكتب إلى قضاته يقدمون عليه فقدم إليه الشيخ على بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو إذ ذاك قاضى حوطة بنى تميم وأخوه الشيخ عبد الرحمن بن حسين قاضى بلدان الخرج والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بابطين وهو إذ ذاك قاضى الوشم فألزمه بالجلوس عنده حتى فرغ من مغزا الدمام وقدم إليه الشيخ محمد بن مقرن قاضى بلدان اللهزوم فحضروا عنده مع الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فهنوه بما بلغه الله تعالى من أخذ الثار والمعافاة للمسلمين من الفتن الكبار ، وكان يحب العلماء ومجالستهم فأقاموا عنده أكثر من شهر وأظهر إكرامهم ، وتوقيرهم واحترامهم ، وكان على طريقة آبائه فى تعاهد الرعية بالنصيحة . فمن ذلك ما كتبه لرعيته :

بسم الله الرحمن الرحيم من فيصل بن تركى إلى من يراه من المسلمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد : فموجب الخط إبلاغكم السلام لا زلتم فى خير وعافية والذى أوصيكم به تقوى الله تعالى فى الغيب والشهادة فى العمل بما يرضيه ، وتجنب معاصيه ، والمعادات والموالات فيه قال تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » الآية ، وأهم الأمور تعلم ما فرض الله سبحانه من معرفة أصل دين الاسلام وأركانه وواجباته ومعرفة شرائعه ومعرفة ذلك بالكتاب والسنة وقوام ذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلا بد فى كل ناحية من طائفة متصدين لهذا الأمر كما قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقال تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير » الآية وأنا ملزم كل من يخاف الله سبحانه وتعالى ويرغب فى الفلاح أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأن يكون الآمر مراعياً للشروط فى ذلك بأن يكون عليما فيما يأمر به عليما فيما ينهى عنه وألزم كل أمير أن يكون عونا لهم وهم خاصته فى الحقيقة عوناً له على ما حمله الله من الأمانة ويكون لديكم معلوم إنى واضع الجواجزعن المسلمين الحادر منهم والظاهر إذا كانوا معروفين بأداء الزكاة من أموالهم الظاهرة والباطنة وهى راجعة إليهم على الوجه المشروع إن شاء الله تعالى والمطلوب منكم الاستقامة على هذا الدين والاجتماع عليه وقد رأيتم ما فى الجماعة من المصالح العامة والخاصة وما فى التفرق من الشر فى أمر الدين والدنيا . أسأل الله تعالى أن يمن علينا وعليكم بالقبول والعفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

ثم بعد ذلك وفد عليه أمراء البلدان ورؤساء العربان فهنوه وبايعوه فأقرهم وأعطاهم وحباهم وكساهم وأقر القضاة على أعمالهم وأذن لهم فى الرجوع إلى بلدانهم وأمر على العمال أن يخرجوا مع الرؤساء لقبض زكاة عربانهم فركب مع كل رئيس قبيلة عاملة ، وفى هذه السنة وقع بين أهل وادى الدواسر اختلاف بينهم فأمر الإمام على جميع بلدان نجد بالمغزا فاجتمعوا عنده فى الرياض فاستعمل فيهم أميراً حمد بن عبد الله بن عياف فسار بهم إلى الوادى وقصدوا بلد اللدام فحصل بينهم

مناوشة قتال وسار بعض الغزو إلى بلاد الوداعين وقاتلوهم وأقاموا فى الوادى أكثر من شهر ثم رجعوا إلى أوطانهم فاقبل رؤساء أهل الوادى وافدين إلى فيصل وبايعوه كما يأتى . وفيها سار الإمام فيصل بجنود المسلمين ومعه الشيخ إبراهيم بن سيف فأغار على فريق من الدواسر وهم فى أرض العرمة فأخذهم وقتل منهم عدة رجال ثم نزل قرب بلد تمير حتى اجتمع إليه باقى غزوانه فرحل بهم ونزل الشعرا وأقام فيها نحو أربعين يوماً وأمر على المسلمين أن يجتمعوا عنده بعد صلاة العصر للدرس والمذاكرة ثم بعث عماله إلى العربان يقبضون منهم الزكاة وهو فى منزله ذلك فبلغه أن ابن الدجما وعربانه من قحطان هربوا من العمال وامتنعوا من أداء الزكاة فحشد بالمسلمين عليهم ودهمهم فى مكانهم وقتل منهم نحو ستين رجلا وغنم المسلمون كثيراً من أموالهم من الإبل والغنم والأثاث ثم رجع إلى منزله فى بلد الشعرا ووفد عليه رؤساء العربان محمد بن فيصل الدويش رئيس مطير ومحمد بن قرمله رئيس قحطان وغيرهما ، وفى أثناء هذه الغزوة أتى إليه وفد أهل وادى الدواسر وهو فى منزله ذلك وطلبوا منه العفو والصفح عما جرى منهم فعفى عنهم وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وأرسل معهم أميراً .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف ﴾ والإمام فيصل إذ ذاك فى بلد الشعرا وفى هذه السنة فى أولها والإمام فى ذلك المنزل عزل صالح بن عبد المحسن بن على عن إمارة الجبل واستعمل فيه أميراً عبد الله بن على بن رشيد ، وبعث معه قاضياً الشيخ عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار وأقام عنده نحو ثلاثه أشهر حتى انقضى الموسم ثم أذن له ورجع إلى بلده . وفيها قتل صالح بن على ومن معه من آل على ، وذلك أنه لما وصل عبد الله بن رشيد إلى حائل أميراً كثر القال والقيل بينه وبين صالح آل على وأعوانه فحصل بينهم مجاولة فى المسجد يوم الجمعة وشهرت السيوف فقام الناس فحجزوهم وهم فى المسجد فخرج صالح وأتباعه وقصدوا قصرهم فدخلوه فحشد عليهم عبد الله وأعوانه ثم أخرجهم بالأمان وهدم قصرهم وأخرجهم من بلدان الجبل فقصدوا إلى بلد بريدة ، وكتب عبد الله إلى الإمام فيصل يخبره بالأمر وأنهم الذى بدءوه بالشر فصدقه الامام ثم أنه أدركهم

بعد ذلك فى بلدان القصيم وقتلهم ، وفى هذه السنة سارت العساكر المصرية من مكة المشرفة ومعهم أحمد باشا وشريف مكة أحمد بن عون لمحاربة عسير فى بلدان اليمن فملؤا السهل والجبل فلما وصلوا إلى اليمن أرسلوا إليهم أنهم ما يريدون منهم إلا رسم الطاعة فأطاعوا لهم فلما تمكنوا من بلادهم وملوا ثغورها بالعساكر طلبوا منهم أموالا ونساء فأجمع رأى عسير أن يجمعوا شوكتهم وعدتهم فينفرون لحربهم ويسيرون معهم بنسائهم وأبنائهم حتى لا يفروا وخدعوا بذلك العسكر لأنهم لا يعلمون أنهم جاءوا لحربهم وإنما جاءوا ليلعبون . ويرمون عندهم فقامت العساكر تنظر إليهم وهم مقبلون يغنون ويلعبون . وهم يضحكون منهم فلما قربوا منهم حملوا عليهم حملة واحدة صادقة . ووضعوا فيهم السلاح فولت العساكر منهزمة وقتلوا فيهم قتلا ذريعاً وأخذوا خيامهم ومدافعهم وأموالهم . قيل أنه لم يبق منهم إلا نحو مائة وخمسون رجلا وقصد بن عون وأحمد باشا مكة بشرذمة قليلة وأرسل أهل عسير إلى فيصل بشيء كثير من سلاحهم وخيلهم. فلما جرت هذه الوقعة انتدب أهل كل بلد من عسير على من عندهم من العسكر فى بلدهم فقتلوهم وفيها فى ربيع الآخر بعث الامام فيصل زويدا العبد ومعه مائة مطية إلى ناحية القطيف فأمر فيه ونهى وعزل رجالا وأثبت رجالا ووفد ولد أمير القطيف بن غانم وابن عبد الرحيم أمير سيهات على الامام فبايعوه على السمع والطاعة ، وفيها أرسل محمد على باشا مصر إلى شريف مكة محمد بن عون وأحمد باشا رئيس مكة وأمرهما بالقدوم إليه فقدما عليه فى مصر فامسك الشريف عنده وأذن لأحمد باشا فى الرجوع إلى مكة وإنما أرسل إليهما جميعاً لئلا يرتاب الشريف ويأبى عن القدوم إليه . وفيها قدم دوسرى بن عبد الوهاب أبو نقطة من عند محمد على باشا مصر وكان دوسرى هذا فى مصر من حين نقلهم إبراهيم باشا فى وقت حرب الدرعية كما تقدم أرسله محمد على إلى فيصل يطلب منه مطالب وخراجاً وذلك حين أراد أن يجهز العساكر مع خالد بن سعود فأراد ذلك جراءة على ما أراد فأرسل فيصل أخاه جلوى بهدية لرئيس مكة أحمد باشا فوصل إلى مكة وأقام بها إلى وقت الحج ثم رجع ، وفيها سار فيصل بجنود المسلمين فنزل روضة التنهات

المعروفة عند الدهنا ، وأقام فيها أكثر من شهرين وذلك أنه بلغه أن بعض العربان فيهم امتناع من أداء الزكاة فوفد إليه رؤساء العربان وأرسل معهم عمالا يقبضون الزكاة وقدم إليه أخوه جلوى فى موضعه ذلك فقفل راجعاً إلى وطنه وأذن لأهل النواحى يرجعون إلى أوطانهم . وفيها أقبل أولاد عبد الله بن خليفة وافدين على فيصل فأكرمهم ثم أذن لهم بالرجوع الى بلادهم . وفيها بعث الامام فيصل خادمه خير الله مملوك سعود إلى القصيم ومعه رجال وأقام فيه وسعى فى قبض الزكاة من عربان عنزة وغيرهم . وفيها طلب رؤساء القصيم من الامام فيصل أن يبعث إليهم الشيخ عبد الله بن عبدالرحمن أبا بطين قاضياً فى بلدانهم ومدرساً لطلبة العلم فى أوطانهم فأمر إليه الامام أن يسير إليهم وكان إذ ذاك فى بلد شقرا قاضياً لناحية الوشم فسار إليهم وقدم بلد عنيزة وأقام عندهم ثم طلبوا منه أن ينقل أولاده وينزل بهم عنده فى عنيزة فنقلهم واستوطن عنيزة فأكرموه غاية الاكرام وانتفعوا بعلمه . وفيها ظهر نجم له ذنب طويل مع بنات نعش وقت طلوع الفجر وكان يسير كل يوم أكثر من منزلة وسار إلى جهة الجنوب ثم وسط القبلة عند العشاء الآخرة ثم غاب وأقام أكثر من شهر وكان طلوعه لاثنى عشر ليلة بقيت من جمادى الآخرة من السنة المذكورة . وفيها قل المطر وغلت الأسعار وسار سعر البر ستة أصواع وخمسة أصواع بالريال والتمر خمسة عشر وزنة بالريال وأصاب الناس مجاعة وجلاء كثير من أهل سدير للزبير والبصرة وكان هذا الغلاء والقحط أوقعه الله بعد قتل الامام تركى وعلى وجه إقبال عساكر الترك كما يأتى بيانه . وكان هذا الغلاء يشبه ما أوقعه الله من الغلاء بعد قتل الامام عبد العزيز ابن محمد بن سعود فإنه وقع الغلاء والقحط بعده فى نجد سبع سنين كما تقدم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين بعد المائتين وألف ﴾ وفيها سارت العساكر المصرية مع إسماعيل أغا أمير لوى وخالد بن سعود قاصدين إلى نجد ، وكان خالد هذا انتقل من الدرعية مع آل سعود حين نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر فلما وصلت العساكر المذكورة إلى الينبع البندر المعروف علم بخبرهم الامام

فيصل ، وكانوا نحو ألفين ما بين راجل وفارس . فأرسل إليهم محمد بن ناهض الحربى رئيس قصر بسام بهدية لهم ويستفحص عن خبرهم . فقدم إليهم ورجع إلى فيصل وأخبره بيقين خبرهم . ثم انهم رحلوا إلى المدينة ثم إلى الحناكية فاستشار الامام رؤساء المسلمين فى المسير إليهم أو عدمه ، وكان الأمير عبد الله ابن على بن رشيد رئيس جبل شمر حاضراً عنده ، فأشار على فيصل بالنفير والمسير إلى القصيم والنزول فيه قبل وصول العساكر إليه ، ومتابعة أهل القصيم لهم فاستنفر الامام رعيته من الاحساء والجنوب والوشم وسدير وغيرهم ، فركب من الرياض فى آخر شوال ونزل الخفيسة الماء المعروف عند الدهناء وأقام فيها أياماً إلى أن اجتمعت عليه غزوانه ، ثم رحل ونزل الصريف الماء المعروف قرب بلد التنومة من ناحية القصيم فأقام عليه أكثر من شهر حتى أن خالد بن سعود وإسماعيل ومن معهما من العساكر نزلوا بلد الرس ، فرحل فيصل إلى بلد عنيزة ونزلها واستنفر أهلها فركب معه أميرها يحيى بن سليمان فسار من عنيزة واستنفر أهل بريدة فركب معه الأمير عبد العزيز بغزوه . فسار الامام بمن معه من المسلمين ونزل فى رياض الخبرا ، وذلك فى أيام التشريق . فأقام فى ذلك المكان أكثر من عشرين يوماً وهو محارب لعساكر الترك ولكن لم يحصل بينهم قتال . ثم أن الامام كاتب أهل بلد الشنانة فطلبوا منه أن يرسل إليهم سرية فأرسل إليهم مائة مطية مع زويد العبد . فلما وصلوها وجدوا أميرهم فى الرس ، وقال لهم أهل البلد لانقدر ندخلكم الا بحضور الأمير فوقع فشل فى تلك السرية وانصرفوا إلى فيصل فلما قدموا إليه استشار رؤساء المسلمين فى الرحيل والمقام فأشاروا عليه أن يأمر على أهل رحلته وذهابه وعليق خيله وجميع ثقله يرحلون إلى بلد عنيزة ثم يرحل بمن معه من المسلمين فيشن الغارة على بعض فرقان البدو الذين تابعوا العسكر ثم يرجع قافلا إلى عنيزة أو بريدة فأمر الامام على أهل الرحلة بالرحيل فلما شدت رحائلهم ظن أناس من أطراف الغزو أن عليهم هزيمة فشالوا على رواحلهم ووقع فى المسلمين فشل فأمر فيصل على رجال

من خدامه بتسكينهم وضرب من رحل وانهزم فقاموا عليهم وأدبوا فيهم فسكنوا عند ذلك وباتوا فى مكانهم فلما كان بعد طلوع الشمس ركب فيصل بجنوده من ذلك الموضع ووقع بالمسلمين خفة فثقل فيصل وفرسان معه فى ساقة جنودهم وقصدوا عنيزة ونزلوها وذلك يوم الخميس لخمس بقين من شهر ذى الحجة وشاور رؤساء المسلمين فى المقام أو الرحيل فاقتضى رأيه أن يرحل بعزيزته ويقصد بلده ويقضى الله بتقديره ماأراد من تدبيره فرحل من عنيزة وأذن لأهل النواحى يرجعوا إلى أوطانهم وقصد الرياض ومعه أهل الخرج والفرع ومحمد بن قرملة رئيس قحطان وأذن له فى الرجوع حين وصل بلد ثادق . فلما وصل فيصل بلد الرياض نزل بخيامه وأثقاله خارج البلد ومن معه من أهل الخرج وغيرهم فدخل البلد على خيله فرأى من أهل البلد مايريبه بل جاهره رجال بالعداوة فأخذ فيصل يبىء مافى القصر من مال وسلاح وأمتعة وغيرها فدخل عليه رجال من أهل الرياض وحدث عليه منهم ماأوقع فى قلبه الخوف منهم ثم سار عليه أناس وحصل بجاولات فلما رأى فيصل ذلك اقتضى رأيه السديد أن يبعث فى أعضادهم بالعطاء فبذل الدراهم لكل من حاذر منه لأنه خاف أن يمنعوه أن يخرج من القصر بشىء يريدونه لخالد بن سعود ومن معه ومن جاهره بهذا الكلام فلما بذل لهم ذلك سكتوا عنه فأخرج جميع ماكان فى القصر من كل غالى وجعله عند رحائله وخيامه خارج البلد مع غزوان أهل الجنوب وأكثر ذلك أخرجه بخفية فلما استكمل ماأراد أخذه من القصر وأراد الخروج منه إلى خيامه خاف من رجال منهم على خيله وما معه فارسل إلى الذين عند خيامه من الرجال خارج البلد وأمرهم أن يرحلوا من مكانهم بجميع مامعهم . ثم خرج من القصر على خيله دفعة واحدة ووقف دونه رجال من أعوانه حتى خرج من البلد فلحق بماله مسروراً سالماً ومعه من الخيل نحو اربعمائة ومن العمانيات النجائب عدد كثير ، فلما انجاه الله تعالى من البغاة وسلمه خالقه وبارئه من الآفات . فلما وصل الخرج أقام فيه عشرة أيام ولحقه بعض أهله وشىء من باقى أمتعته ثم رحل إلى الاحساء فلما وصل اليه نزل فى الرقيعة فخرج اليه عمر بن عفيصان ورؤساء أهل الاحساء وبايعوه على النصرة والقيام معه وظهر

ابن عفيصان من قصر الكوت المعروف ونزله فيصل بعياله واثقاله وأقام فى الاحساء آخر عاشوراء وصفر وربيع الأول من سنة ثلاث وخمسين ووفد عليه رؤساء العربان من مطير والعجمان والسهول وسبيع وغيرهم .

رجعنا إلى تمام قصة إسماعيل وخالد . ثم إن إسماعيل ومن معه من العساكر لما ارتحل فيصل من عنيزة رحلوا اليها فأغلقت أهلها دونهم الأبواب وحاربوهم ثم أنهم تصالحوا وخرج اليهم يحيي ورؤساء بلده ثم ركب اليهم عبد العزيز رئيس بريدة وتابعهم بقية أهل القصيم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين والف ﴾ وخالد بن سعود وإسماعيل وعساكر الترك فى عنيزة فأمر إسماعيل وخالد على يحيي بن سليمان ورجال معه يركبون إلى جبل شمر مع عيسى بن على رئيس الجبل فى القديم فركب معهم من الترك ابراهيم المعاون فى أربعمائة فارس فساروا إلى الجبل يريدون أن يبتغوا عبدالله بن رشيد فى بلده ويمسكونه فسبقهم اليه النذير فهرب من بلد حائل قبل قدومهم فدخل عيسى البلد ونزل القصر بمن معه وهرب أناس من أهل الجبل وأخذ منهم المعاون دراهم ولما استقر فى الجبل رجع يحيي بن سليمان ابراهيم المعاون ومن معهما وبقى عند عيسى مائة رجل من الترك وقدم على خالد رؤساء أهل الرياض فى عنيزة وأطاعت له نجد إلا أهل الخرج والفرع وماوالاهم وبعث خالد واسمعيل عمالا من العسكر يخرصون ثمار القصيم وأماغير القصيم فخرص ثمارهم رجال منهم فلما كان فى آخر عاشورا من هذه السنة رحل اسمعيل وخالد وعساكر الترك من عنيزة وقصدوا الرياض فوصلوه يوم السبت سابع صفر ونزل اسمعيل وخالد فى القصر ونزل باقى العسكر خارج البلد وقدم عليهم رؤساء البلدان وتابعوهم وأرسلوا إلى الهزانى وأهل الحطوطة يطلبون منهم المتابعة والقدوم اليهم فأبوا عليهم وكتبوا لخالد إن كان الأمر لك ولا يأتينا فى ناحيتنا عسكر من الترك فنحن رعية لكم وإن كان الأمر للترك فنحن لهم محاربون فغضب اسمعيل وأتباعه وقالوا لانرضى إلا بقتلهم ونهب أموالهم .

ثم أمر اسمعيل على الحدادين يعملون الفؤس والقواريع وأمر بالمسير اليهم وكتب خالد إلى أهل النواحى يأمرهم بالنفير لقتال أهل تلك الناحية واستعمل فى سدير أميرا أحمد بن محمد السديرى وكان أحمد هذا رجلا عاقلا سمحا جوادا محبوبا عند الرؤساء وغيرهم فسار غزو أهل الوشم مع أميرهم محمد بن عبد الكريم البواردى وغزو أهل المحمل مع أميرهم حمد بن مبارك ولم يتخلف إلا أحمد السديرى لأن بلدان سدير فيها قحط فعاملهم بالرفق ولم يأتهم ألا بعد انقضاء الأمر ثم أن خالد أستنفر أهل الرياض وخدامه وهم نحو أربعمائة رجل فركب هو وإسمعيل بعساكر الترك وأتباعهم من العرب وساروا من الرياض فى أول ربيع الآخر فلما وصلوا إلى الخرج ركب معهم فهد بن عفيصان بغزوهم فلما وصلوا الماء المعروف بالخفس اجتمعوا للمشورة فقال ابراهيم المعاون اجمعوا الغرائر وأملؤها تبنا وترابا وأدفنوا حفرهم وكروا عليهم كرة واحدة وكان مضف المريخى رئيس عربان بريدة معهم فقال لهم اقصدوا بلد الحلوه وأدهموا أهلها وأخرجوهم منها ثم انزلوها فاذا ملكتموها كاتبكم من كان لكم فى الحوطه والحريق وأتى اليكم فاجمعوا رأيهم على ذلك فساروا من الخفس قيل إنهم نحو سبعة آلاف مقاتل من الترك والعرب فقصدوا بلد الحلوه وكان أهلها قد أخرجوا نساءهم وابناءهم إلى الحوطه فسارت تلك الجنود وأعماهم الله تعالى عن الطريق السمح وساروا مع طريق آخر ونزلوا فى حرة قرب البلد وكان الشيخ عبد الرحمن ابن حسن والشيخ على بن حسين والشيخ عبد الملك بن حسين والشيخ حسين بن حمد بن حسين ابناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما اقبلت عساكر الترك إلى الرياض هربوا منه وسكنوا بلد الحوطه والحريق فلما صارت تلك الحادثة جعلهم الله سببا لثباتهم وكانوا يأتمرون بامرهم ولا يقطعون أمرا دون مشورتهم فلما أقبلت عليهم تلك العساكر اجتمع أهل تلك الناحية وتعاهدوا على حرب الدولة وأتباعهم وصار أهل الحريق مع أميرهم تركى الهزانى وأهل الحوطة مع الفارس الشجاع ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم رئيس آل سعود وفوزان بن محمد رئيس آل مرشد وأهل نعام مع رئيسهم زيد بن هلال وأهل الحلوه مع رئيسهم محمد بن خريف فلما نزلت

عساكر الترك واتباعهم ذلك المنزل صعد أهل الحلوه الجبل لقتالهم فوقع بينهم قتال من ارتفاع الشمس إلى بعد الظهر فأتى اليهم مدد من أهل الحريق وأهل الحوطه وغيرهم وحصل مقتلة عظيمة على العسكر وأتباعهم وكانت هذه من مقدمات النصر وكانت جنود أهل تلك الناحية ورؤسائهم عند الخندق خوفا من كرات العساكر، هذا وأهل الحلوة وأتباعهم فى أعظم قتال فوقع فيهم هزيمة قتل فيها من أهل الحلوة اثنى عشر رجلا ولم يقفوا إلا عند الجبل الشمالى فاقبل تركى الهزانى بجمع عظيم وقصد يمنة العسكر وفى الخياله والفرسان وأقبل الفارس الشجاع ابراهيم بن عبد الله بجموعه من أهل الحوطه وقصد ميسرتهم وهم فى رأس الجبل وفيه المدافع والعساكر وسار أهل البلد أعنى أهل الحلوه ومن معهم على الذين دخلوا البلد وقت الهزيمة فحصل قتال شديد يشيب من هوله الوليد واستولى ابراهيم وأتباعه على المدافع ورموها من رأس الجبل فنزل النصر من السماء وأول من انهزم الأعراب الذين مع العسكر ثم وقعت الهزيمة على الباقين وهلك أكثر تلك الجنود قتلا وظمأ وتفرقت الخيالة فى الشعاب فهلكوا فيها ليس لهم دليل ونجا خالد بنفسه ومن معه من أهل نجد وتبعهم إسمعيل والمعاون وشرذمة من الخيالة وهربت الأعراب على رحائل العسكر وتركوا جميع محلتهم وأمتعتهم وغنم أهل الحوطة جميع مامعهم من الأموال والسلاح والخيام وذلك منتصف ربيع الآخر. وكان معهم فهد بن عفيصان بغزو أهل الخرج فهرب فى الليل. فلما وصل بلده أمرهم أن يخرجوا ليأخذوا ماوجدوا من شريدة العسكر فتلقاهم غزوان أهل نجد وهزموهم إلى بلدهم ونزلوا عندها وحصل بينهم وبين أهل البلد رمى بالبنادق ووافاهم أحمد السديرى بغزو أهل سدير فيها ثم رحل خالد وإسمعيل ومن معهما من الدلم وقصدوا الرياض ودخلوها. قيل أن الذى نجا مع إسمعيل من الخيالة نحو مائتين. وكان إسمعيل لما أراد الخروج من الرياض إلى الحوطة أبقى فيه أكثر من مائتين من الترك والمغاربة فى القصر ولما علم فيصل بهزيمة العسكر وقتلهم وهو فى الاحساء خرج منه بعدده وعدته من أهل الاحساء وغيرهم وكان معه رجال من عشيرته وخدامه هربوا معه من

الرياض فلما وصل بلد الخرج أمر على أهلها بالمسير معه وأرسل إلى أهل الحوطة والحريق والفرع فأتوا اليه ومعهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن فرحل من الخرج وقصد الرياض فلما وصل إلى المصانع خرج اليه خالد وأهل الرياض وعساكر الترك فحصل بينهم قتال شديد . وكان فيصل قد جعل أهل النجدة من قومه كمينا فلما نشب بينهم الحرب ظهر عليهم الكمين فولوا منهزمين وقتل منهم قتلى كثيرة وانهزم من أهل الرياض نحو مائتين ومنهم عدد من الترك فقصد منفوحة لأن المسلمين حالوا بينهم وبين الرياض فحصرهم فيصل فيها فطلبوا منه الأمان عليهم وعلى أهل منفوحة ومن عندهم من الترك فأعطاهم الأمان فخرجوا اليه وصالحه أهل البلد وبايعوه ونازل فيصل أهل الرياض واستدارت جنوده عليها ونزلوا بيوت النخيل وذلك أول يوم من جمادى الآخرة . ثم أن الامام استدعى بغزو أهل المحمل وسدير فأتوا اليه مع رؤسائهم وقضائهم واحتصر خالد وأعوانه فى حلة البلد وسدوا بيبانها بالطين ورتبوا أهل الرياض ومقاتلتهم فى وسط البلد فجعلوا فى كل مربعة خمسة وثلاثين رجلا وبين كل مربعتين موقفا فيه خمسة رجال وقوفا بالبنادق وعند كل باب من أبواب الرياض أغا من الترك ومعه عدة رجال وهو رئيس أهل المرابيع التى تليه وجعلوا لكل أغا وقتاً معلوماً من الليل يدور فيه على أهل المرابع يحضهم على حفظ مكانهم إلى الصبح . وكان المعاون ومعه رجال من أهل الرياض والترك يدورون فى الليـــل على أهل المواقف والمرابيع إلى الصبح وكل يومين أو ثلاثة يبدلون أهل كل ناحية من المرابع فى ناحيه أخرى وينقل أهل الناحية الأخرى إلى مكانهم وينقلون الأغوات من البيبان على هذه الحال وذلك خوفا من وقوع خيانة لفيصل من أهل المرابيع من الترك أو العرب واستمروا على ذلك يجعلون هؤلاء ولا يجعلون لأحد من أهل المرابيع وقتاً معلوما يصيرون فيهـا بل إذا خرج أناس من موضع لايدرون اين يقصدون حتى يقال لهم أقصدوا الموضع الفلانى فثبت أهل الرياض هذه المدة الطويلة على الحرب على ما مع فيصل من كثرة الجنود ومع محبته وحسن سيرته وعفافه وكفافه وعطائه لهم

وما عندهم من الترك والمغاربة وأهل العداوة والبغضاء لهم ولكن كل شيء له أسباب ولكل أجل كتاب وقطع فيصل عنهم السبل وغليت القهوة عندهم حتى قيل أن الصاع منها بيع بثمانية عشر ريالا وأكلوا مافى البلد من الأغنام والإبل والبقر وأكلوا كثيراً من خيل العسكر . ثم أن خالداً ورؤساء الترك أمروا بهدم البيوت التى لأعوان فيصل فهدموها وأوقدوا بأخشابها فلما كان فى اثناء هذا الحرب ضاقت صدور أهل الرياض من كثرة ماعندهم من الناس الذين ليس فيهم نفع لهم فى حربهم ففتحوا لهم باب البلد وأخرجوهم منها . واستمر الحرب إلى سابع شعبان فرأى الإمام أن المسلمين قد سئموا من ملازمة البلد ومصابرة أهلها فجمع رؤساء المسلمين وشاورهم فأجمع رأيهم أنهم يعلقون السلالم على البلد وينزلون فيها والسالم سالم والعاطب عاطب فعلقوا السلالم على البلد من كل جهة وصعدوا إلى أعلا السور وصاروا يهدمون فيه فحصل قتال عظيم وكاثروهم أهل الرياض فنزلوا عن السور إلى مكانهم وقتل منهم عدة رجال . ثم أنه أقبل فهيد الصيينى رئيس سبيع فزعا لخالد ومحاربا لفيصل ونزل على بيان وحشد معه قاسى بن عضيب وعربانه من قحطان وشنوا الغارة على فيصل وجنوده يريدون أن يرحلوا عن الرياض فراسلهم فيصل فلم ينجع ذلك فيهم . فلما كان آخر الليل ثانى عشر شعبان رحل فيصل من مكانه ذلك ونزل عند منفوحة . ثم أن خالداً وفيصلا تراسلا فى طلب الصلح فلماكان سابع عشر من الشهر المذكور تواعدا فخرج فيصل من مكانه ذلك وخرج اليه خالد من الرياض وجلسا بين البلدين من صلاة الظهر إلى بعد العصر فلم ينعقد بينهما صلح لأن أهل نجد لا يرضون بولاية الترك ولا اتباعهم فثارت الحرب بينهم وفى آخر شعبان أقبل على بلد الرياض أجلاب من الغنم من عند سبيع وقحطان فأغار عليها فرسان من أصحاب فيصل وظهر أهل الرياض عليهم وحصل قتال قتل فيه عدة قتلى من الفريقين . وفى ثانى عشر رمضان خرج أناس من الرياض يحطبون فأغار عليهم أصحاب فيصل وخرج أهل الرياض ومعهم خالد والعسكر وفزع فيصل ومن معه فالتحم بينهم القتال فقتل عدة قتلى من الفريقين .

وممن قتل من أصحاب فيصل بداح الفارس المشهور من العجمان . وفي آخر رمضان أقبل ابن عمران السبيعى من القصيم ومعه خمسة عشر مطية عليها رجال من قومه وقوم خالد وكان ابن عمران هذا ساعيا للترك من الرياض إلى القصيم وبذل الإمام فيصل الجهد فى إمساكه ولا ساعده القدر بذلك وكان معه دراهم كثيرة للعسكر خراجاً لهم فلما وصل إلى سبيع وكانوا فى أرض عشيرة البلد المعروفة فى سدير ركب معه فهيد الصيبنى وقاسى بن عضيب ومعهم ثلاثمائة مطية وخمسة وعشرون خيالا . وكان فيصل أرصد لهم أرصادا من الخيل والرجال فلم يظفروا بهم ودخلوا الرياض خامس شوال فأقاموا فيه ستة أيام فتشاور خالد واسمعيل وأعوانهما فى الأمر الذى يأتى اليهم بالعسكر من القصيم . وكان قد أقبل هذا العسكر مدداً لهم فتحير فى أرض القصيم خوفا من فيصل وجنوده أن يصادفوهم قبل وصولهم إلى الرياض فقطعوا رأيهم أن إبراهيم المعاون يسير مع فهيد الصيبنى وأصحابه ويرحل معه فهيد بعربانه إلى القصيم ويحملون العسكر الذين فيه إلى الرياض فخرجوا من الرياض وقصدوا عربانهم ورحل الصيبنى بعربانه إلى القصيم فلما وصلوا اليه ووافتهم الأخبار بإقبال خرشد باشا مع عبد الله الشريف صاحب الينبع ومعه هدية لفيصل ومراسلات وخدايع له والزموه برحل عن حربهم ووعدوه التقرير فى ملكه فلما لم يتم للصبيني وأعوانه أمر فقصدوا أرض الجبل وقدم الشريف على فيصل فى منفوحة بالهدية ، وذلك فى شوال وقام الشريف يتودد اليه ويعده ويمنيه فرحل فيصل من منفوحة فى أول ذى القعدة وأستظهر جميع ماله فى الرياض من خزائن وغيرها وأذن لأهل النواحى يرجعون إلى أوطانهم وقصد الخرج ونزل بلد الدلم ومعه أهل الفرع وعمر بن عفيصان وأتباعه ومحمد بن عبدالله بن عفيصان ورجال من رؤساء المسلمين . فلما نزل الدلم كاتب خالد أهل سدير والمحمل وأرسل اليهم عمالا يخرصون العيش فى الصيف . وفى أول ذى الحجة أرسل فيصل أخاه جلوى إلى خرشد باشا وهو بالمدينة بهدية من الخيل والركاب العمانيات والقيلان فقدم عليه فى المدينة وأقبل معه إلى القصيم ، ولما استقر الإمام فيصل فى الدلم أمر على

عمر بن عفيصان أن يقصد الاحساء وأرسل إلى عمان حمد بن يحيى بن غيهب وأمره أن ينظر فى الثغور وأرسل إلى وادى الدواسر الزهيرى أميرا والى الأفلاج محمد بن عبد الله بن جلاجل أميرا . وفى رجب من هذه السنة سار على باشا العراق من بغداد بعساكر عظيمة قيل أنهم سبعون الفاً من الترك ومن عقيل وقصدوا بلد المحمرة بلد الأرفاض المعروفة عند البصرة وسار معه أهل الزبير فحاصروا المحمرة وأخذوها عنوة ونهبوها . فلما رجعوا منها أرسل على باشا إلى عبد الرحمن بن مبارك بن راشد رئيس بلد الزبير للسلام عليه والزيارة فلما صار عنده أوثقه وعذبه بأنواع العذاب وطلب منه أموالا فعرف عبد الرحمن أنه مقتول فلم يعطه شيئاً فقتله . وفى أثناء هذه السنة قبل أن يرحل فيصل من الرياض أقبل عبد الله بن رشيد رئيس الجبل ومعه رجال من أعوانه وعشيرته لمحاربة عيسى بن على ونزلوا عند بنى تميم فى بلد قفار وأقاموا عندهم ثم أنهم سطوا على عيسى وأخرجوه من قصره ومن البلد وقتلوا رجالا ونهبوا أموالا وقد أتصل بعض الحوادث من سنة اثنتين وخمسين إلى هذه السنة فكرهت تقطيعها فمن ذلك فى سنة اثنتين وخمسين قتل محمد بن ابراهيم بن ثاقب بن وطبان قتله متسلم البصرة أحمد أغا وكان محمد هذا من أعظم أهل ناحيته عقلا ومعرفة ودهاء متحفظا على نفسه يعرف الحيل ويخاف منها وكانوا يسمونه البلم يغرق غيره ويسلم . ولكن كما فى حديث ابن عباس يرفعه إذا أراد الله أنفاذ قضائه سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاءه وقدره، وكان أبوه ابراهيم أمير بلد الزبير فلما مات صار مكانه فحصل بينه وبين أهل حرمه الجالين فى الزبير وآل زهير ضغائن حصل بينهم من أسبابها محاربات فاخرجوه من الزبير . ثم أن حمود بن ثامر رئيس المنتفق أرسل إلى رؤساء أهل حرمه ويوسف ابن زهير وربطهم لأنهم رعية له وأقاموا عنده فى الحبس مدة اشهر ومات يوسف ابن زهير فى ذلك الحبس وأطلق حمود الباقين وجعل محمد ابن ابراهيم أميراً عليهم. ثم انه لما قتل جاسر رئيس أهل حرمه وتولى فى بلد الزبير على بن يوسف بن زهير ساروا على محمد بن ابراهيم ثانياً وأخرجوه من البلد بأهله وعياله ونزل بلد الكويت

ولما مات علي بن يوسف آل زهير فى الطاعون كما سبق وحاصروا المنتفق بلد الزبير قام معهم محمد بن ابراهيم بن ثاقب المذكور وحرض المنتفق على حصار البلد وسعى محمد بجده وبجهده فى قتال أهل الزبير إلى أن أخذوا بلد الزبير وقتلوا آل زهير كما سبق . فصار محمد بعد ذلك أميرا فيه واستقل بالولاية وكانت البصرة تحت يده وقوله فيها نافذ ولم يزل على ذلك حتى انفذ الله فيه أمره. وذلك أن المتسلم المذكور أقام مدة يدير رأيه فى قتله فلم يقدر على ذلك لكثرة أعوانه وشدة تحفظه على نفسه فاتفق أن المتسلم سافر إلى بغداد وأقبل منه وليس معه ما يريد من عسكر ولا غيره . فلما دخل السرايا أرسل إلى محمد بن إبراهيم وهو بالبصرة أن يأتى عنده للسلام ويأتى برجاله وخدامه ليعرضون ويلعبون ويغنون فأعد المتسلم عساكره وأعوانه فى السرايا فى فى مواضع لا تظهر فيه الريبة وأخفاهم فدخل عليه محمد بعد صلاة العصر ومعه خدامه يلعبون فصعد إلى المتسلم بثلاثة رجال ومنعوا الباقين وألهاهم اللعب والغناء ورمى البنادق فلما جلس عند المتسلم وهم بالقيام رماه واحد من العسكر بقرابينه فكان فنهيا حتفه وقتلوا صاحبيه معه ثم نزعوه ورموه من السرايا على رجاله الذين يلعبون فلما رأوه ميتاً هربوا من مكانهم وتفرقوا وظهر أعوان المتسلم إلى الزبير ونهبوا بيوت آل ابراهيم وأعوانهم وهرب باقيهم إلى الكويت وفى هذه السنة أعنى سنة اثنتين وخمسين فى رمضان أقبلت قافلة من الزبير لأهل سدير وغيرهم فلما كانوا قرب الوهنا رافقهم عربان السويلمات من عنزه فاخذوا القافلة المذكورة . وفيها الغلاء والقحط على حاله وجلا كثير من أهل سدير للبصرة والزبير .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين والف ﴾ والغلاء والقحط على حاله وخالد واسمعيل فى الرياض ووفد اليهما أهل ضرما والمحمل وما يليهم وأرسلا معهم عمالا يقبضون الزكاة .

وفيها قدم الرياض عسكر من القصيم أرسله خرشد باشا رئيسهم رجل كردى يقال له ملا سليمان ومعه حسن المعاون فلما قدموا أمروا على اسمعيل ان يرحل بمن بقى معه من العسكر إلى مصر فرحلوا ورحل معهم حسن المذكور وقدموا بلد القصيم ثم رحلوا إلى مصر . وفيها أرسل خالد أحمد السديرى أميرا فى سدير وبعث معه من

الترك نحو أربعين فارسا وذلك لأنه خاف من اختلاف أهل سدير عليه من أجل أن رؤساءهم مع فيصل فى حرب الرياض فقدم أحمد ومن معه وكان خالد أرسله يريد منهم أموالا نكالا فصارت أمارته من أسباب الدفع عنهم عن رجالهم وأموالهم وذلك من حسن سيرته ولم يزل يدافع عنهم ويرى العسكر أحوالهم وأنهم فى غاية الضعف من شدة الغلاء والقحط ويحض العسكر على الرفق بهم فما أخذوا من أهل كل بلد إلا نحو أربعين ريالا أو خمسين ريالا فاذا سألوه أن يحط عنهم من الذى عليهم بذل جهده وجاهد فى ذلك فهذا معطيه وهذا واضع عنه وهذا دافعه بكلمة طيبة فهو كما قال الشاعر .

إذا كنت فى كل الطباع مركب   فأنت إلى كل الأنام حبيب

وفى آخر صفر أقبل خرشد باشا من الحناكيه بعساكره ومعه جلوى بن تركى ونزل بلد عنيزه فتابعوه ووفد عليه كثير من رؤساء العربان وأمراء القصيم فلما كان فى ربيع أول ثار الحرب بين أهل عنيزة وعسكر خرشد وسبب ذلك أنه سرق لخرشد عمانيتين من ركابه فقيل له أن أناسا من الحرامية عند العسكر فى النهار يسألون وفى الليل يسرقون فجعل خرشد حرسا يدورون بالليل خارج العسكر فأمسكوه رجلا من أهل عنيزة خارجا من البلد إلى نخله فى الليل فقال لهم أنا من أهل هذا البلد قاصدا نخلى فمشوا معه إلى نخله فلما وصله تكلم لأبيه فجاء اليه فأمسكهما العسكر وذبحوهما ونقلوهما إلى النفود ودفنوهما فيه فلما أصبح أهل النخل ولم يأت اليهم أبوهم ولا أخوهم تبعوا أثرهما فوجدوهما مدفونين فأخرجوهما فقال يحيي أمير عنيزة أرموهما عند خيمة خرشد وظهر يحيي من البلد وقصد خرشد فى خيمته. فلما أراد الدخول أخذ سيفه قواويس الباشا على العادة أنه لايدخل عليه بسلاح فهرب خادم يحيي إلى البلد وقال لهم أن أميركم قتل وكان فى البلد جملة من العسكر يبيعون ويشترون فنهض عليهم أهل البلد وقتلوا كل من وجدوا من العسكر إلا رجلا دخل بيتاً أو دكانا فأخفاه صاحبه فسمع الباشا الصيحة فى البلد فقال ليحيي أن بلدكم حدث فيها شمطة وغمض رجل ليحيي فرمى عباءته وهرب إلى البلد فعارضه فى طريقه رجال من العسكر هاربين منها وهو يركض

فرموه ببنادقهم فسلمه الله تعالى ودخل بلده فاذا قد قتلوا من العسكر تسعين رجلا ونهضت العساكر على من كان خارج البلد من أهل عنيزة ممن كان يحش أو يحطب فقتلوهم وحصروا أهل الضبط وقتلوهم وهم نحو خمسين رجلا ونهبوا ما فى قصر الضبط ودام الحرب ثلاثة أيام ثم وقع الصلح بينهم فلبث خرشد فى عنيزة خمسة اشهر وفى مدة مقامه فيها وفد عليه عبد الله بن على بن رشيد رئيس جبل شمر فأعطاه الباشا وكساه واكرمه فلما رحل من عنده نزل فى الموضع المعروف بالبصيرى فارسل رجالا من أعوانه على ثلاث ركائب إلى بريدة وكان فيها رجل هارب عنه من أهل الجبل خرفا منه لأنه من أعوان آل على فدخل عليه منهم ثلاثة رجال وقرعوا عليه الباب فخرج اليهم فامسكوه فصاح ولد له صغير ففزع عليهم أهل البلد وقتلوا منهم رجلين وأخذوا ركائبهم وأمسكوا منهم رجلا فاخبرهم بالأمر وبالموضع الذى فيه عبد الله فأمر عبد العزيز آل محمد رئيس بريدة على أهل بلده ونهضوا اليهم فوجدوهم فى غفلة فبغتوهم بين المغرب والعشاء ومع عبد الله بن رشيد نحو خمس وأربعين مطية وشىء كثير من اللباس والسلاح فاخذوهم وماءهم وقتلوا منهم ستة رجال وهرب عبد الله على ظهر فرسه إلى الباشا فكساه وأعطاه ثم رجع إلى بلده وقدم على خرشد فى موضعه ذلك محمد الدويش رئيس مطير وفهد الصيينى رئيس سبيع واستدعى خرشد بأحمد السديرى فاتى اليه فاكرمه وكساه وبنى له خيمة وقام عنده. وفى مدة مقام خرشد فى عنيزة استأذنه جلوى بن تركى أن يقصد بريدة لقضاء حاجة فاذن له. فلما وصلها هرب إلى أخيه الإمام فيصل وهو فى الخرج وذلك أنه علم أن الباشا يقصد حرب أخيه فخاف منه وهرب ثم انه سعى فى بناء قصر الصفا المعروف فى عنيزة فبناه وجعل فيه عسكرا وذخيرة. فلما كان فى آخر رجب رحل بعساكره من عنيزة ونزل الوشم ثم سار إلى الرياض فركب معه خالد بأهل العارض وقصدوا بلد الدلم. وفيها الإمام فيصل وقد ثبت لحربهم فوصلوا نعجان فى ثانى عشر شعبان وإذا أهل نعجان قد هربوا بنسائهم وأولادهم إلى الدلم ثم عزل الباشا جنوده من الترك والعرب وأقبلوا إلى الدلم صفاً واحداً وجملوا جيخانهم ورواحلهم ومن معهم من الأعراب

خلفهم وذلك خوفا من الهزيمة فخرج اليهم فيصل بجنوده وحصل بينهم قتال شديد.
وكان الباشا قد جعل كمينا من الخيل والعساكر فظهر عليهم الكمين فحصل على المسلمين هزيمة وقصدوا البلد وقتل منهم عدة رجال منهم عيد بن حمد قاضي الحوطة وعيسى بن عبد الله بن سرحان ومحمد بن ناصر الحكير وحمد بن عيسى بن سرحان قاضي منفوحة وفيصل بن ناصر وعبد الله بن زامل وعبد العزيز بن سليمان الباهلي رحمهم الله وقتل من العسكر وأتباعهم قتلى كثيرة وتسمى هذه وقعة الخراب ثم نزل الباشا بجنوده فى الخراب وهى بلد قديمة قريبة من البلد فامر الإمام فيصل ببناء سور على البلد وحفر خندق وصار فى العسكر جوع عظيم من قلة ما معهم من الطعام فسعوا يقطعون من النخيل ويأكلون جمارها وانقطعت عنهم الرواحل من الرياض حتى أكلوا رواحلهم وبيع عندهم الطعام بأغلا ثمن فلما تم بناء سور البلدة وحفر الخندق وبنوا متارس على الماء الذى يشرب منه أهل البلد وهو خارج السور رتب فيصل جنوده فجعل أهل الحوطة شمالى الماء وجعل عندهم رجالا من أهل منفوحة وغيرهم وجعل زويد العبد ومعه أهل العارض فى سمحة نخل ابن زامل وجعل ابراهيم بن معيقل أمير زميقة ومعه أهل الحريق ونعام مع رئيسهم سعد بن تركى الهزانى مقابلين نخل سمحه وكل موضع مقابل أهله أكثر من الترك فحصل وقعة عند سمحه بين الهزانى ومن يليه من العسكر قتل من الفريقين عدة قتلى منهم ابراهيم بن معيقل وزويد بن هلال ومن قتلى العسكر والدابى على المغربى.
وبعدها بأيام حصل وقعة بين زويد وأتباعه وأهل قصر هينة حملت عليهم العساكر وقت طلوع الفجر فحصل بينهم قتال شديد وتكاثرت العساكر على زويد وأصحابه فانهزموا عن قصرهم ودخله العسكر وصاروا يرمون من قابلهم فى مروس الماء وقتل عدة قتلى من الفريقين وممن قتل من المسلمين سليمان بن ياقوت مملوك سعود شجاع مقدام وعبد الرحمن بن حسين من أهل الرياض وقتلى الترك ليس لى بهم معرفة . ثم أن فيصلا جمع شجعان قومه وأبطالهم وأمرهم أن يحملوا على من فى القصر فحمل المسلمون عليهم من كل جانب وحصل قتال شديد . يشيب من هوله الوليد.

فهجم المسلمون عليهم من كل جانب فيه وأخذوه عنوة وقتلوا من الترك نحو خمسة وعشرين رجلا وأسروا منهم اثنين وعشرين رجلا . ثم أن الباشا ساق عليهم عساكره وحشد على هذا القصر بغاية الجد والاجتهاد . واستمر بينهم القتال والجلاد . إلى أن حجز الليل بين الفريقين وستر الظلام بينهم من الأفقين . ثم انهزموا عن القصر وتركوه . وتبعهم عساكر الترك ودخلوه . وانفكت هذه الوقعة عن قتلى وجرحى بين الفريقين . وممن قتل من المسلمين صالح بن ريس وابن أخيه ومحمد بن باز ثم أن عمر بن عفيصان أمير الاحساء أقبل بجنود كثيرة من الاحساء ونزل بلد السلمية المعروفة فى الخرج وأرسل إلى فيصل يخبره بقدومه وواعده أن يحمل على الترك من جهته ويحمل هو ومن معه عليهم من جهتهم فساروا إلى العسكر من كل جهة وذلك صبيحة الأحد سابع رمضان فحصل فى العسكر رهق وخوف وجالوا للهزيمة وبعد ذلك ثبتوا ورويت منهم الهزيمة فطار شرر البنادق عليهم . وتكسرت السيوف والخناجر فى ظهورهم وبين أيديهم . وثارت نيران العزائم القوية . ودارت بين الطائفتين كؤس المنية . واستمر ذلك إلى ارتفاع النهار . حتى رأى كل من الفريقين فى قومه البوار . وانفكت هذه الوقعة العظيمة عن قتلى وجرحى من الفريقين . ورجع ابن عفيصان وجنوده إلى بلد السلمية وبعضهم قصد بلد زميقة . ثم أن عمر بن عفيصان بلغه خبر قافلة كبيرة أقبلت من الرياض للباشا ومعها عسكر وأناس من أهل المحمل وسدير فسار عمر بجنوده واستفزع أهل الحريق والحوطه وقصدوا الحائر ورصدوا فيه للقافلة فعلم بهم الباشا فارسل عساكر تتلقاها فلما اقبلت القافلة ورؤا أهلها ابن عفيصان وجنوده هموا بالهزيمة فلم يفجأ ابن عفيصان ومن معه إلاظهور العساكر عليهم فرحل وتركها فوصلت إلى الباشا وتقوى بها وقصد ابن عفيصان ومن معه بلد زميقة فلمادخلوها وقع فيهم خلل وفشل وتنافس وتخاذل فرحل أهل الحوطة إلى بلادهم وتبعهم أهل الحريق . فلما رأى ذلك منهم ابن عفيصان رحل من زميقة إلى السلمية فاخرج منها أهله وعشيرته ونزل بهم فى سديرة الماء المعروف فى تلك الناحية فلما رحلت تلك الجنود من زميقة وقع الرعب فى قلوب أهلها فهربوا منها بنسائم

وعيالهم وتركوها خاويه على عروشها . وفيها من البر والشعير والتمر والأمتعة والمواشي مالايحصى . فذهب البشير إلى الباشا فارسل اليها حسين اليازجي ومعه عسكر ورجال من العرب فاخذوا جميع ما فيها ثم انه وقع فيمن كان فى بلد الدلم خلل وخوف . وكاتب أناس منهم الباشا وطلبوا الصلح وكان وصول القافلة إلى العسكر وهروب أهل زميقة رابع عشر رمضان . فلما كان فى العشر الأواخر منه ركب رجال من آل شريم أهل الحوطة منهم راشد بن حسين وفرزان بن رشود ومعهما نحو ثلاثين رجلا وقصدوا الباشا فاعطاهم الأمان . وكان فى قصر موافق المعروف فى الدلم من أهل الحوطة نحو مائة رجل عند فيصل ورئيسهم فوزان بن محمد وإبراهيم بن عبدالله بن حسين الملقب أبو ظهير فتراسلوا مع جماعتهم الذين عند الباشا فاخذوا لهم منه الأمان فقال لهم فيصل أما إنكم قوموا معنا فى الحرب وإلا أخرجوا عنا لئلا تفتوا فى أعضادنا فقالوا قد صالحنا الباشا على أيدى جماعتنا ولا تنقض عهدهم لنا فقال أصبروا حتى نأخذ الأمان على بلدنا وأموالنا فارسل فيصل ابراهيم أبو ظهير إلى الباشا فى الصلح فاجابه إلى كل ماطلب إلا انه يسافر إلى محمد على فى مصر فيجلس عنده مع عشيرته الذين فى مصر فخرج فيصل إلى الباشا وصالحه على دماء أهل الدلم وأموالهم وعلى من كان معه من أهل العارض وغيرهم فدخل فيصل الدلم وقضى حاجاته منها ثم خرج إلى الباشا وأقام نحو أربعة أيام فجهز الباشا حسن اليازجى وعسكره فرحلوا بفيصل وأخيه جلوى وابن أخيه عبدالله بن ابراهيم بن عبد الله وولدى فيصل عبد الله ومحمد وقدموا بهم مصر فأنزلوا فيصلا فى بيت وجعلوا عنده حرسا يحفظونه . وكان متوجها إلى ربه فى مكانه ذلك يحيي غالب الليل بالتجهد والصلاة وفى نهاره بين صلاة وتلاوة قرآن وكان المرضى يأتونه ليقرأ عليهم لما يرون فى قراءته من أثر الشفاء وشاع ذلك فى مصر وازداد لذلك عندهم تكريما وتعظيما . ذكر لى أنه لما خرج من مصر كانوا يترددون إلى مكانه يزورونه ويستشفون به كما هى عادة من لم يحقق التوحيد وإنما تتبعت ماوقع من هذه الحوادث وبسطت الكلام فيها ليعلم الواقف على ذلك

ماجرى لهذا الإمام وماجرى عليه من الحروب والوقائع وماقضاه الله وقدره عليه من الحوادث والفظائع ليعرف بذلك صدقه وشجاعته . وجوده وبذله وبراعته . وانه ما أعطى الدنية إلا بعد حروب كثيرة . ووقائع شهيرة . وقتل رجال . ونهب أموال ، وكذلك صدق جنده معه ومحبتهم له حتى أسلمه القدر واشخصه إلى مصر . وفى طى ذلك سر عظيم ، لايعلمه إلا العليم الحكيم ،فيجب التسليم لأمر الحق المبين، واصبروا أن الله مع الصابرين (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) وأما عمر بن عفيصان فانه رحل إلى الاحساء فلما كان بعد مصالحة الباشا وأهل الخرج بيومين أرسل الباشا عبد الرحمن الجلى بكتاب لعمر بن عفيصان ورؤساء أهل الحساء وأعطاهم الأمان وأمرهم بالقدوم اليه ويحفظون بيت المال فلما وصل اليهم الجلى قال عمر سمعاً وطاعة وقام يتجهز بالمسير إلى الباشا وأمر على الرؤساء يتجهزون وقام يجمع ماكان له فى الاحساء من الأموال وماكان فى بيت المال يدفعه إلى وكيل الباشا . فلما فرغ من ذلك أمر على أهل الاحساء بالركوب فخرجوا من الاحساء قاصدين الباشا فلما صاروا خارج البلد قال لأصحابه ليس قصدى بقصدكم انتم أقصدوا الباشا وخذوا منه الأمان على أنفسكم وبلادكم وأما أنا فخائف على نفسى وقصد البحرين وأقام عند آل خليفة ثم سار إلى الكويت ونزل فيه . وأما أهل الاحساء فانهم قصدوا الباشا وأعطاهم الأمان وأذن لهم أن يرجعون إلى بلادهم وذلك فى آخر شوال . ثم أمر الباشا على أحمد السديرى أن يقصد الاحساء ويكون أميرا فيه وذلك لما أراد الله أن يسكن روعهم لأنه وقع فى الاحساء خوف عظيم من الترك فسار أحمد اليه برجال من أهل سدير وغيرهم وأرسل الباشا معهم مائة وثلاثين فارسا من الترك مع أبى خزام المغربى فلما وصلوا الاحساء اطمأنت قلوب أهل الاحساء لما علموا أنه هو الأمير وإلا فلو كان القادم عليهم غير أحمد السديرى المذكور لوقع فى الاحساء خلل كبير . ثم انه نزل بيت الامارة المعروف فى قصر الكوت وفرق العساكر والرجال الذين معه فى الثغور والقصور . فلما كان بعد ذلك بقريب شهر أرسل الباشا إلى الاحساء خمسين

رجلا من العسكر والعرب رئيسهم رجل من المغاربة يقال له الفاخرى و أمرهم ينزلون فى قصر الكوت . ثم أمر أحمد بالمدافع التى فى القصر فاصلحت ووضعت فى مواضعها وزاره علماء الاحساء وقضاتهم وأعيانهم فدعوا له وشكروه وأقر كل رجل منهم على مرتبته وأقر خدام ابن عفيصان على مراتبهم . فانظر كيف باين الله بين خلقه من رأفة القلوب وقساوتها ، فان ابراهيم باشا أرسل رجالا من أهل نجد مع العسكر إلى الاحساء فقتلوا القاضى وأئمة المساجد وأخذوا أموالهم. فانظر إلى عاقبة أحمد وبنيه كيف ملكهم الله تعالى وجعلهم قادات للاسلام فى عمان والاحساء . وأنظر إلى ذلك المتقدمين ماأبقى الله لهم باقية نسأل الله العافية . ثم انه كتب إلى رؤساء القطيف فقدم اليه على بن عبد الرحيم أمير سيهات وسعد غانم وأخوه وأبا السعود وبايعوه وركب الكاشف برجال من الترك حفاظا فى القطيف ، ثم أن الباشا أرسل رجلا من العسكر يقال له أبو طاهر وجعله رئيساً لعسكر القطيف وأمر أحمد على رجال يخرصون الزروع فى الاحساء والقطيف نخرصوها من غير تعد ولاظلم ولم يزل هذا الأقليم فى أمن وأمان حتى قدم محمد افندى من البحرين . وكان الباشا بعد مصالحة أهل الخرج أرسل بمراسلات لآل خليفة ولااتفق بينهم حال فسار إلى فارس واشترى كثيراً من البر والشعير وقدم بهالاحساء ، ثم كاتب الباشا فأمره بالرجوع إلى البحرين فوصل إلى آل خليفة وصالحهم ثم رجع إلى الاحساء وكاتب الباشا فكتب اليه الباشا أن يصير أميرا على الاحساء ويكون أحمد فى بيت المال وهذه عادةولاية الترك أولها مطر وآخرها برد وصواعق ، فاستقل بالأمر ودبره تدبير حاكم ظالم وأظهر فى ذلك الإقليم كثيراً من المظالم ووضع مكوسا عديدة فمن ذلك انه خرص القت عقيبات وأهل الاحساء يسمون ملأ الكفين منه عقبه ووضع عليه ميرى نحو العشير ووضع على الدكاكين والحاكة والنجارين والحاسين وغيرهم حتى مجالس أهل البيع والشراء فى المواسم كل شهر شيئاً معلوما ووضع على كل مايبيع من بعير وحمار وبقر وغنم وغير ذلك شيئاً معلوما ، ولم تعرف هذه المظالم فى ذلك الأقليم قبله ولم تزل مظالمه المتعددة فى زيادة حتى أنشده لسان الدهر مرنماً بالجواب :

إذا تم شيء بدا نقصه　　توقع زوالا إذا قيل تم

وطال ماصعد إلى السماء دعاء مظلوم لاناصر له إلا الله فاستجاب له ناصره دعاءه فرمى كما رمى أصحاب الفيل ، بحجارة من سجيل ، وأوقعه القادر فى حفره الظالمين ، وجعله نكالا لغيره من المعتدين ، فلما كان غرة شعبان من هذه السنة أعنى سنة خمس وخمسين أقبل بين العشائين من عين نجم المعروفة فى الاحساء ومعه من أعوانه الشجعان خمسة من الفرسان ، وغلامه بين يديه ، ومعه فنر فيه سراج وهو يريد بلد الهفهوف فرصد له فى طريقه ثلاثة رجال معهم ثلاث بنادق فلما أقبل عليهم رموه ببنادقهم فوقعت واحدة فى رأسه وواحدة فى قلبه وواحدة فى الفنر الذى مع الخادم فخر صريعا وسقط على جنبه سريعاً وفر عنه أصحابه وتركوه ، ولا أغنوا عنه ولانفعوه ، وهرب الذين قتلوه ، فرجع اليه بعض خدامه فوجدوه ميتاً فحمله إلى بيته . فلما أصبح الصباح خاف أحمد من تهمته فأمر مناديا ينادى فى الموسم أنه من أخبرنا بقاتل الأفندى فله خمسمائة ريال ، فقيل له أن الذى قتله فلان وفلان وفلان ثلاثة من العوازم من أعوان آل عريعر فارسل اليهم وحبسهم . وكان فى الاحساء من رؤساء بنى خالد برغش بن زيد بن عريعر وابن عمه مشرف بن دويحى بن عريعر وطلال وكانوا قد طلبوا من الباشا ولاية الاحساء فأبى عليهم فسكنوا فى الاحساء على غير شيء . وكان الفاخرى رئيس العسكر عند أعراب العجمان يجمع رحائل فلما بلغه الخبر أقبل مسرعا فلما دخل بيته جاء رؤساء بنى خالد يسلمون عليه فحبسهم وأخذ سلاحهم فاقاموا عنده أياما ثم أطلقهم . ولما بلغ الخبر الباشا بقتل الأفندى جزع جزعا شديداً وأمر على أفندى عنده اسمه محمد أن يرحل إلى الاحساء بعسكر معه ويكون بدله ، فقدم الاحساء وجلس فيه بعسكره وأمضوا ماقرره لهم الأفندى الظالم من المظالم وصادروا أهلها كما صادرهم ذلك الظالم فشقى هو بأوزارها . وبقى عليه فى الدنيا عارها ، ولما كان فى رمضان من السنة الخامسة أرسل الباشا إلى أحمد السديرى وأذن له أن يزور أهله وأولاده وأرسل مكانه عيسى ابن على بن فايز رئيس جبل شمر وجعله فى بيت المال وقدم أحمد على الباشا فى ثرمدا ثم قصد أهله وقد سقت هذه القصة بتمامها لأنها صارت متصلة فكرهت قطعها .

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين والف) وخرشد باشا إذ ذاك في الخرج وكان لما تولاها هرب منها أناس كثير إلى الحوطة والحريق لأنهم أهل منعة ولا يعطون الدنيا للترك فسكن عندهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ على بن حسين وأخوه عبد الملك وغيرهم وبقى الشيخ عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قاضيا فى الدلم ولارأى مكروها . وكان الشيخ محمد ابن مقرن قد رمى عند خالد أنه من أعوان فيصل فارسل اليه وقدم عليه فى الرياض وانزله فى بيت عنده فلما قدم خرشد باشا إلى بلد الرياض ألزم عليه بالمسير معه إلى الخرج فسار معه ولم يزل معه حتى وقع الصلح فاذن له بالرجوع إلى أهله وفى مقام خرشد باشا فى الدلم أمر على جميع بلدان الخرج والفرع بحنطة كثيرة وتمر فاخذ ذلك منهم وذكر لهم انه بالثمن وأمر على أسوار بلدانهم فهدمت ثم رحل بعساكره فى آخر عاشوراء من هذه السنة وابقى فى السلمية رجال من المغاربة والترك وجعلهم فى عيون الأسياح يزرعون وقصد بعساكره الرياض وأرسل إلى حسن المعاون وهو فى ثرمدا وأمره أن يبعث رجالا من المغاربة يخرصون زروع البلدان فخرصوا جميع الزروع من الاحساء إلى القصيم ثم رحل خرشد من الرياض فى ربيع الأول وقصد ثرمدا واستوطنها وبنا له فيها قصرا ونزلت العساكر خارج البلد ثم أرسل إلى أهل البلدان رجالا من العسكر وأمرهم ينظرون فى كل خرص بلد ويأخذون نصفه وذكر لهم انه بالثمن فاخذوا من كل بلد نصف زرعها من جميع نجد والاحساء وأمر على أهل البلدان بنقله إلى ثرمدا فنقلوه . وفى أول هذه السنة ورد على خرشد الخبر أن السلطان محمود بن عبد الحميد توفى وتولى السلطنة بعده ابنه عبد المجيد وفى شعبان منها قدم خالد بن سعود بلد ثرمدا ومعه نساء فيصل وابناءه عبد الله ومحمد وذلك أن فيصلا لما استوطن مصر اشتاق إلى رؤية أولاده فطلب من محمد على انهم يقدمون اليه فكتب إلى خرشد يأمره باشخاصهم فرحلوا من ثرمدا إلى مصر وفى آخر رمضان نزل فرقان من عربان السهول فى وادى سدير فحصل منهم أذى على الناس وقطعوا السبل فاستنفر عليهم محمد بن أحمد السديرى أهل

سدير فأخذهم وقتل منهم رجلين ، وفيها والقحط والغلاء على حاله لكنه أهون من السنين التي قبل هذه ، وفيها توفى أحمد بن ناصر الصانع وكيل بيت مال سدير الترکی وإبنه فيصل ، وكان في الغاية من الكرم والسماحة والعقل كاد أن يستكمل خصال حسن الخلق لا يعرف له في زمانه من أمثاله نظير .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين وألف ﴾ والباشا فى ثرمدا وورد عليه الأمر بالشخوص إلى مصر فانتدب لجمع الرحائل من العربان فمنهم من أطاعه ومنهم من أبى عليه وأرسل إلى محمد بن أحمد السديرى فلما قدم عليه أمره أن يركب إلى عبد الله بن على بن رشيد رئيس بلد شمر يطلب منه رحائل فلما قدم إليه تلقاه بالاكرام وأعطاه سبعمائة بعير فقدم بها على الباشا وفى المحرم أمر الباشا وخالد على بلدان الوشم وسدير والمحمل والعارض بالمغزا فجهز أهل كل بلد غزوهم وسار بهم خالد إلى الخرج ومعه عبد الله بن ثنيان وقاسى بن عضيب وعربانه من قحطان فأغاروا على آل شامر فى البياض المعروف عند اليمامة فلم يحصلوا على طائل ورجعوا وجرح فيهم جراحات ، وفى صفر أمر الباشا على أحمد بن مبارك رئيس حريملا أن يتجهز إلى الاحساء ويصير فيه أميراً فسار إليه بخدمه وصار فيه أميراً وفيها خرص الباشا الزرع فى الصيف وزاد على أهلى الوشم والمحمل الربع فى الخرص وأما أهل القصيم فلم يأخذوا منهم إلا ثمن زروعهم ، وأما أهل سدير فلم يزاد عليهم فى الخرص ولكنه أخذ منهم الثلث ونقلوه إليه فى ثرمدا ، وأما أهل منيخ وما يليهم فنقلوه إلى الزلفى ، وفى ربيع الأول سار خرشد باشا من ثرمدا ببعض عساكره ونزل عين ابن قتور وتزوج بنت الصوينع الهتيمى قبل إنها إذ ذاك مع زوج وأمر على بكير أغا رئيس العسكر الذين فى بلد شقرا أن يتبعه بعساكره فركب بكير من شقرا ثانى عشر ربيع الآخر وقصد الباشا ، وأرسل الباشا إلى البصيلى وهو إذ ذاك فى الزلفى ومعه عسكر فسار إليه ثم رحل الباشا ونزل الشنانة وأمر على عربان حرب وغيرهم برحائل تحمل العسكر وأثقاله التى فى ثرمدا . فلما كان منتصف جمادى الأولى رحلت جميع العساكر من ثرمدا ولم يبق فيها إلا نحو عشرين رجلا ، وأرسل الباشا وهو فى

الشنانة إلى خالد يأمره بالقدوم إليه فقدم إليه خالد فى آخر جمادى الآخر ومعه أكثر من مائتين مطية وأقام عنده أياماً ثم رجع ودخل بريده ، ثم دخل عنيزة ، ثم قصد الرياض فلما وصل إلى شقرا وافاه أمير الجبل عبد الله بن رشيد وافداً عليه ومعه أكثر من مائتين مطية من أهل الجبل وسار معه إلى الرياض ثم قدم عليه بعده أمير بريده عبد العزيز بن محمد فحصل بينه وبين أمير الجبل نزاع من أجل إبل أخذها ابن رشيد لأهل بريدة وما وقع من عبد العزيز عليه من الأخذ لما رجع من عند الباشا فى عنيزة كما تقدم . ثم أن كلا منهما قصد بلده فلما كان فى رمضان أمر خالد على أهل البلدان بالمغزا وأمر على الأمراء بالقدوم إليه فقدم عليه أحمد السديرى وجميع أمراء سدير فأنزلهم فى بيوت وأمر على الغزو ينزلون خارج البلد ثم دعى أهل سدير فلما حضروا عنده قال إنى أريد أن أزيل عنكم المظالم وأنه بلغنى أن أحمد السديرى ظلمكم وأخذ كثيراً من أموالكم وهذه من خالد والله أعلم غيرة مما رأى من إكرام خرشد لأحمد فتكلم أناس من أهل سدير فى السديرى وقدحوا فيه وتكلم آخرون بضد ذلك . ثم أن خالداً قام من مجلسه وأرسل بلالا الحرق مملوك عبد العزيز بن سعود إلى سدير وأمره أن يدخل كل بلد ويكتب كل ماأخذه أحمد منهم فقدم بلالا فى ذى القعدة بلدان سدير ، وكتب ما أخرجوه فى مغازيهم وما ينوبهم على يد أحمد وإبنه محمد وسار إلى الرياض . فلما رأى ما مع بلال من التزويرات عزل أحمد عن سدير وعزل أمراء سدير الذين اتهمهم أنهم من أعوانه واستعمل أميراً فى غزو أهل سدير والوشم عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبابطين وقدم عليه فى الرياض عمر بن عفيصان من الكويت فجعله أميراً لهذا الغزو فسار بهم وأغار على آل روق من قحطان وأخذ منهم إبلا وغنما ، وفى آخر هذه السنة توفى عيسى بن على فى الإحساء رحمه الله تعالى . ثم أمر خالد على عبدالله الحصين أن يكون أميراً فى سدير وأن يخرج عيال أحمد السديرى عن قصر المجمعة .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين وألف ﴾ وفى صفر منها قدم رؤساء أهل الإحساء موسى الحلي وعبد الرحمن بن مانع ورؤساء السياسب على خالد فى

الرياض ومعهم حمد بن مبارك فأقاموا عنده أياماً ، واستعمل الحملى فى الإحساء أميراً وإن مانع فى بيت المال ويبقى حمد بن مبارك عنده فى الرياض .

وقعة بقعا على أهل القصيم

وفى جمادى الأولى منها جرت الوقعة العظمى والحادثة الكبرى بين أهل القصيم وأتباعهم من عربان عنزة وبين عبد الله بن على بن رشيد وأتباعه من عربان شمر وحرب . وذلك لما رحل عبد العزيز أمير بريدة وعبدالله بن رشيد من الرياض وكل قصده بلده كما سبق أغار غازى بن ضبيان رئيس الدهامشة من عنزة على بن طواله من شمر فأخذهم ومعهم إبل كثيرة لأهل الجبل وكان غازى هذا من أتباع أهل القصيم فأغار عبد الله بن رشيد على غازى وعربانه فأخذ منهم إبلا كثيرة نغضب لهم أمير بريدة وانتدب لحرب ابن رشيد . وكان أهل القصيم متعاقدين على حرب كل عدو يقصدهم بعداوة وأجمعوا على حرب ابن رشيد فركب يحيى بن سليمان بجنود كثيرة من أهل عنيزة وأتباعهم وركب عبدالعزيز بأهل بريدة وجميع بلدان القصيم واجتمعوا على بقيعا نحو ستمائة مطية مردوفات ومعهم : غازى بن ضبيان وأتباعه من عنزة وقاعد بن مجلاد وعربانه من عنزة وابن صبر من السلاطين والصقور من عنزة وسار الجميع من بقيعا فأغاروا على وجعان الرأس من شمر فأخذوا منهم أموالا كثيرة من الإبل والغنم والأثاث ، وقال يحيى لعبد العزيز دعنا نرجع على هذا العز والنصر فحلف أنه لا يرجع حتى يقاتل ابن رشيد فى بلده حائل فساروا إلى الجبل ونزلوا بقعا المعروفة فى جبل شمر فخرج إليهم أهلها فأمسكوهم عندهم ونزلت عربان عنزة على ساعدة الماء المعروف عند بقعا . فلما علم بذلك عبد الله بن رشيد أمر على أخيه عبيد وفرسان معه أن يغيروا على عربان عنزة فى ساعدة فشنوا عليهم الغارة قبل الفجر فحصل قتال عظيم بينهم فمرة يهزمونهم العربان ومرة يهزمهم عبيد وأتباعه هذا ويحيى وعبد العزيز فى شوكة أهل القصيم فى بقعا ينتظرون الغارة إلى طلوع الشمس فلما لم يأتهم أحد والقتال والجلاد راكد على أصحابهم فزع يحيى بخفيف الرجال وأهل الشجاعة على أرجلهم مشاة . فلما

وصلوهم فإذا عبد الله بن رشيد ومعه باقي جنوده ورد عليهم في ساقة أخيه فانهزم عربان أهل القصيم لا يلوى أحد على أحد وتبعتهم خيول شمر يأخذون من الإبل والأغنام وتركوا يحي بن سليمان ومن معه في مكانتهم لاماء معهم ولاركاب فلما رأى عبدالعزيز ومن معه ذلك انهزموا وركبوا ركائب يحي ومن معه وتركوهم ثم وقع القتال بين يحي ومن معه وبين ابن رشيد وصبروا إلى ارتفاع النهار فادركهم العطش وكانوا في جمرة القيظ فقتلهم ابن رشيد إلا قليلهم وأخذ يحي رجل من شمر وأعطاه فرسه وقال انج عليها فقال أوصلني إلى عبد الله بن رشيد وأنت صاحب الإحسان . وكان بينه وبين عبد الله صحبة قديمة فأوصله إياه وجلس عنده فدخل ولد لعبد الله عليه في خيمته وقال إن عمي قتل فأمر على يحي وقتل صبرا وقتل من أهل القصيم جملة من رؤسائهم وأعيانهم وتجارهم لأن عبد العزيز غصبهم على الخروج معه . وقتل من أهل بريدة أكثر من سبعين رجلا منهم ولد لعبد العزيز وحمد بن عدوان وابن شايع . ومن أهل عنيزة نحو ثمانين رجلا منهم أحمد بن فهيد الفضلي والأمير يحي بن سليمان وأخوه . وقيل أن الذى قتل من أهل القصيم في هذه الوقعة نحو ثلاثمائة رجل ، وأخذ ابن رشيد منهم كثيراً من الركاب والسلاح . وكان عبد الله أخو يحي عند خالد في الرياض . فلما علم بذلك أقبل من الرياض وصار أميراً في عنيزة . ثم أن عبد العزيز لما وصل إلى بريدة ركب إلى رؤساء أهل القصيم وتشاوروا على المسير ثانياً فأجمع أمرهم أنهم يجهزون الرجال ويبذلون الأموال في طلب ثارهم فكتبوا إلى جميع بلدان القصيم وقالوا انفر عام على الخاص والعام وساروا بأتباعهم من عربان عنزة وغيرهم قاصدين الجبل وهم نحو أربعة آلاف رجل ، وذلك في ذى القعدة فلما وصلوا إلى الكهفة رجعوا ولم يحصلوا على طائل .

وفي هذه السنة هرب عبد الله بن ثنيان من الرياض وقصد المنتفق . وذلك أنه لما أراد خالد بن سعود أن يركب إلى خرشد وهو في الشنانة كما سبق أمر على عبد الله بن ثنيان أن يركب معه فتعلل بأغراض وأمراض فلم يأذن له فحين ركب خالد من الرياض هرب إلى المنتفق وصار عند عيسى بن محمد رئيس المنتفق فلما رجع

خالد أرسل إليه وأعطاه الأمان فظهر إلى نجد وقدمها فى آخر رجب فلما أقبل إلى الرياض أرسل أمامه رجلا من أصحابه إلى خالد يخبره بقدومه ونزل فى البنية الموضع المعروف خارج البلد فلما ظهر عليه الرجل من خالد ركب ركابه مسرعاً وقصد حائر سبيع وأقام عند راشد بن جفران السبيعى وكان بينهما مصاهرة فوعده القيام معه والنصرة له وكتب ابن ثنيان إلى أهل الحريق والحوطة والحلوة وذكر لهم أنه يريد إخراج العساكر من نجد ، وكان الشيخ عبد الرحمن بن حسن وعلى بن حسين وعبد الملك بن حسين وبنوهم إذ ذاك فى الحوطة والحريق هاربين من الترك فوعدوه النصرة فلما علم بذلك خالد أرسل إلى رؤساء سبيع وقال لهم اذهبوا إلى ابن ثنيان واعطوه الأمان فلما وصلوا إليه أبى عليهم وقال لا بد من حربه . ثم أن شمر يدعو الناس إلى القيام معه فقدم عليه رجال من آل شامر وغيرهم فلما علم خالد أنه مصمم على حربه داخله الجبن وكتب إلى أهل النواحى يأمرهم بالغزو فتثاقلوا عليه ولم يأته إلا أهل الخرج وأهل سدير وقليل من أهل المحمل وغيرهم فلما قدموا عليه فى الرياض أمر على أهل الرياض ممن كان يحاذر منه أن يغزون معه ، وخرج من الرياض ومعه أمير منفوحة سليمان ابن سعيد وخلف فى الرياض أميراً حمد بن عياف وعنده عمر بن عفيصان وأبقى جملة من خدامه وجعل فيهم أميراً سعد بن على بن دغيثر وعسكر الترك والمغاربة فى القصر وقصد الإحساء وذلك فى شعبان . ثم أن ابن ثنيان سار إلى ضرمى ومعه ستون رجلا فأطاع له أهل المزاحميات وكان فى ضرمى عسكر من الترك فأرسل إلى الأمير على بن عبد الله بن عبد الرحمن وإلى أهل بلده يدعوهم إلى المتابعة فأبوا عليه لأجل ما عندهم من العسكر فسار إليهم وحصل بينهم قتال فهزمهم إلى البلد فاحتصروا فيها . ثم وقع الصلح بينهم على أن العسكر يرحلون إلى ثرمدا ودخل البلد واستقر فيها وقتل الصائغ وهو من رؤساء أهل ضرمى وعنده أموال كثيرة فأخذها ابن ثنيان وكتب إلى أمير حريملا حمد بن مبارك والشيخ محمد بن مقرن وأمير المحمل سعد بن محمد بن يحيى يدعوهم إلى الإقبال إليه فلم يعصوا ولم يطيعوا وأتى إليه أناس من أهل العمارية وأبا الكباش وهو فى ضرمى ثم رحل بجنوده

من ضرما وقصد بلد عرقة . وكان الأمير حمد بن عياف قد جعل فيها رجالا يحفظونها فلما وصل ابن ثنيان دعى من فيها فأبوا عليه وقدم إليه سعد بن تركى الهزانى فى سبعين رجلا من أهل الحريق فأمر ابن ثنيان من معه أن يزحفوا إلى البلد فزحفوا إليها وأخذوها عنوة ونهبوها إلا أهل الصنع فإنهم امتنعوا على بعض أموالهم . فلما تم له هذا الأمر كتب إلى أهل البلدان يدعوهم إلى متابعته ونصرته وأرسل إلى أمير منفوحة وهو إذ ذاك عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد يدعوه إلى المتابعة فأجابه إلى ذلك فأرسل إليها ثلاثين رجلا فى الليل مع أمير ضرمى وراشد بن جفوان عدخلوها ثم رحل ابن ثنيان بجنوده ونزلها ، وفى هذه المدة وأهل الرياض يتابعون الرسل إلى خالد ويستحثونه وهو لا يرفع لهم رأساً فأتى إليه رؤساء أهل الرياض الذين معه وقالوا له أن هذا الأمر قد وقع فى ناحيتنا فأما أن تخرج معنا أو تأذن لنا فى الخروج فأمر خالد على زويد العبد أن يسير معهم فساروا من الاحساء نحو ثلاثمائة مطية فقدموا الرياض فى شوال ووقع بينهم وبين ابن ثنيان القتال . ثم أن أهل الرياض ساروا بعساكرهم إلى منفوحة وحصل بينهم وبين ابن ثنيان قتال شديد قتل فيه رجال من الفريقين وكتب رؤساء أهل الرياض إلى أهل النواحى يبشرونهم أن ابن ثنيان محصور فى منفوحة ولكن الله سبحانه قد أراد إظهارة ونصره وإخراج الدولة المصرية على يده من نجد فسلطه عليهم لما لله فى ذلك من الحكمة البالغة فقتل الرجال وجمع الأموال ومهد البلاد وكل ذلك توطئة ومقدمة للامام فيصل الذى جمع الله به وبوالده شمل أهل الاسلام . فأنزله الله تعالى من أعلا شاهق القاهرة ، وعساكر الترك على حراسته متظاهرة . فسلمه الله تعالى حتى بلغه سالماً مسلم وسلم مفاتيحها بيده العظيم الأعظم ، ولا أهرق فيها دم ولا شرطة محجم ، وجمع الله شمله ، وسددا أحواله وخلله ، وبلغه غاية أمله . ثم أن أهل الرياض لما حصروا ابن ثنيان فى منفوحة يومهم ذلك وحجر الظلام رجعوا إلى بلدهم فتبعهم ابن ثنيان وهم لا يعلمون . فلما قرب من جدار الرياض أمر بالصلاة جمعاً المغرب والعشاء فلما فرغت الصلاة قال لأصحابه إنكم داخلون هذه البلاد إن شاء الله فعليكم بالصدق فى

الجلاد فساروا فوافاهم رجال من أهل دخنة فأدخلوهم البلد فجعل ابن ثنيان أهل العمارية وأبا الكباش فى بيت مساعد بن تركى وجعل أهل منفوحة فى بيت بلال الحرق وجعل أهل الحريق فى المرابيع هذا ومقاتلة أهل الرياض وعساكرهم ما وضعوا سلاحهم يعرضون ويغنون ويلعبون ولم يعلموا بدخول ابن ثنيان البلد فلم يفجأهم إلا وابن ثنيان شاهر سيفه وقد أقبل إليهم فى رجاله من الشجعان فهرب أكثر الناس إلى بيوتهم وفزع الترك والمغاربة وبعض خدام خالد فباشر ابن ثنيان بنفسه القتال وشج ، وصار بوجهه المغربى الكبير المسمى الأبعج فرماه ببندقة فسلم منها ، وضربه ابن ثنيان بسيفه فانقطع لأن الضربة وقعت فى البندق فصرخ وانصدع . فلما سمعت المغاربة صريخ السيف ولوا مدبرين فدخلوا قصرهم فأغلقوه عليهم أجمعين فدخل ابن ثنيان بيت إبراهيم بن سيف فبايعه ثم دخل بيت آل عياف وجلس فيه ، وأتى إليه رؤساء البلد فبايعوه وأرسل إلى ابن عفيصان ومن معه فأتوا إليه وأطاعوه ، ثم أرسل إلى من فى القصر من الترك والمغاربة فأعطاهم الأمان وأنهم يرحلون من البلد ولا يبقى فيها منهم أحد . فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك وقع بين رجل من العسكر وبين رجل من خدام ابن ثنيان ملاحات فضربه العسكرى بطبنجة فسلم منها ودخل العسكر القصر وأغلقوا بابه وثار الرمى من القصر فأرسل ابن ثنيان رجالا يمسكون البيوت التى حول القصر ثم أرسل إلى سعد بن دغيثر وزويد العبد ورجلا فقتلهم . فلما كان آخر ذلك النهار صالح أهل القصر إنهم يخرجون من ساعتهم إلى خارج البلد فخرجوا منها فسكنت البلاد ووفد عليه أمراء البلدان ورؤساء العربان وأتى إليه آل الشيخ من الحريق ووفد عليه أمراء سدير فحصل من بعضهم بهت وزور من القال والقيل ورموا بعضاً منهم بالكذب والأباطيل فأمر ابن ثنيان بخمسة من رؤسائهم أن تضرب أعناقهم ، وهم العفيف الصين . عبد الله بن إبراهيم الحصين ، وأمير حرمه عبد الله بن عثمان المدلجى . وزامل بن خميس بن عمر من رؤساء أهل الروضة وابن حسن من أهل حرمة . وناصر بن حمد بن صالح صاحب بيت مال سدير فسلم الله بن حسن وابن صالح وقتل الثلاثه ، وكان أهل حرمة

والجمعة هدموا قصر الجمعة الذى يسكن فيه أمير سدير فغضب ابن ثنيان وأمرهم أن يبنوه وأمسك عنده منهم حمد بن الشيخ عثمان بن عبد الجبار وثلاثة من رؤساء الجمعة إلى أن بنوا القصر، وبعث عبد العزيز بن مشارى بن عياف ورجالا معه إلى سدير واستعمله أميراً فيه. وقدم عليه أهل وادى الدواسر مع أميرهم محمد بن جلاجل فاستعفاهم عن أمارتهم فبعث معهم عبد الرحمن بن عبيكان أميراً، وأما خالد فإنه لما رأى الأمر انتقل إلى غيره وهو إذ ذاك فى الاحساء أمر على من بقى من رجاله وعساكر الترك وقال لهم نريد أن نعمل قرة للحرب فأتوا بخيلكم وركابكم. ثم خرج بهم من الاحساء وهرب وترك شيئاً من ثقله وخيامه وقصد الدمام المعروف فى القطيف فنزل فيه هو ومن معه فهرب عنه أكثر خدامه ورجاله فهرب إلى الكويت ومنه إلى القصيم ثم إلى مكة المشرفة.

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف ﴾ وفى المحرم منها امر ابن ثنيان على عبد الله بن بتال المطيرى أن يسير إلى الاحساء فسار فى عشرين رجلا معه وأمرهم يقصدون الاحساء ويكونون عند ابن بتال. فلما استقروا فيه وضبطوه أمر على عمر بن عفيصان أن يسير أميراً إلى الاحساء فسار إليه فى منتصف المحرم ومعه أكثر من مائة رجل، فدخل الاحساء ونزل قصر الكويت وأتاه رؤساء أهل الاحساء فبايعوه فأمرهم بالوفود إلى عبد الله بن ثنيان فقدموا عليه فى الرياض ثم أذن لهم فى الرجوع وأبقى عنده أربعة من رؤسائهم. وفيها أمر ابن ثنيان على أهل نجد بالمغزا فساروا إليه إلا أهل الجبل والقصيم فخرج من الرياض يوم الجمعة منتصف جمادى الأول فنزل بيان ثم رحل منه ونزل الرمحية الماء المعروف فى العرمة فصار الماء قليلا عليهم فأمر على أهل سدير والوشم والمحمل والخرج ينزلون على رماح الماء المعروف ووفد عليه رؤساء العربان وأهدوا إليه خيلا وركاباً وأمر على بلال بن سالم الحرق فى رجال معه يقصدون القطيف فساروا إليه ثم أمر على فهد بن عبد الله بن عفيصان فى رجال معه من أهل الخرج والوشم وسدير يقصدون الاحساء ويكون فهد أميراً فيه نائباً لابن عمه

عمر وكتب إلى عمر يسير بمن عنده إلى القطيف فسار عمر ومعه فلاح بن حثلين ورجال معه من قومه ومن بنى هاجر وآل مره والعماير فلما وصل القطيف أطاعوا له وأمر على بن غانم الرافضى رئيس أهل القطيف أن يركب إلى ابن ثنيان واستدعى بابن عبد الرحيم رئيس سيهات فأسره وهدم سور سيهات فلما قدم ابن غانم على ابن ثنيان فى الرحية ناوبه بأشياء وقال إنك تمالى صاحب البحرين على طوارف المسلمين وذكر له أشياء غير ذلك ثم حبسه وأخذ منه أموالا عديدة وحبس ابن مانع صاحب الإحساء وعذبه وأخذ جميع أمواله وحبس رجالا وأخذ منهم أموالا وأخذ من العربان خيلا وركاباً ، وفى جمادى الأولى وقع بين عبد الله بن خليفة رئيس البحرين وابن أخيه محمد حرب عظيم من قتل الرجال وسبي الأطفال والنساء وأخذ الأموال واستدعى عبدالله بعربان آل مرة فنهبوا البحرين فلما أجهض محمد ابن خليفة الحرب هرب من البحرين إلى ابن ثنيان وهو إذ ذاك فى الرحية وأقام عنده وهرب ابن عبد الرحيم إلى البحرين ثم أن ابن ثنيان أمر على أحمد السديرى أن يسير إلى القطيف أميراً فسار إليه وكتب معه إلى عمر بن عفيصان أن يبعث معه مائى رجل من الإحساء ففعل ذلك ورجع ابن عفيصان من القطيف إلى الإحساء ورجع فهد ومن معه إلى أوطانهم ثم أن ابن ثنيان كسا أمراء البلدان وأمرهم بالرجوع إلى بلدانهم وقفل إلى الرياض وأرسل محمد بن جلاجل بهدية للشريف بن عون وعثمان باشا مكة ثم أرسل إليه الشريف وعثمان هدية مع أغامن الأغوات وأرسل ابن ثنيان رجالا إلى بندر العقير فأخرجوا منه الرجال الذين فيه لصاحب البحرين وفيها أقبل حدجان رئيس الروسان من عتيبة من عند ابن ثنيان فلما وصل أهله جمع غزواً كثيراً فأغار بهم على غنم بلد المجمعة فأخذوها وذلك فى العشر الأواخر من رمضان ثم أغار ثانياً على الرصعان وآل هويمل من السهول وهم فى أرض الشمس المعروفة فأخذ أغنامهم ففزعوا عليه وكان قد كمن لهم فخرج عليهم الكمين وأخذوا سلاحهم ومنعوهم على ذمائهم وبقى رجل من آل هويمل يقال له مساعد بن حسن فأتى إليه حدجان على فرسه ليأخذ الرمح الذى معه فقال

له مساعد ما أغناك ما أخذت من الغنم والسلاح عن رمحى ثم طعنه به فكان فيها حتفه ومات من ساعته فلما رأوه أصحابه مقتولا عمد كل رجل على منيعه فقتله ولم يسلم من آل هويمل والرصعان إلا رجلا أو رجلين وكانت القتلى نحو عشرين رجلا وفى ليلة سبع وعشرين من رمضان أنزل الله الغيث على جميع نواحى نجد ودام المطر أياماً وأشفقوا من الغرق وتضرعوا إلى الله من الخوف والغرق فكان رحمة من الله تعالى للبلاد والعباد وأنقذ الله به من بعد السنين الشداد وكان قد مضى على وادى سدير نحو أربعة عشر سنه ما عم السيل بلدانه ، وغارت آباره ، وهلك كثير من نخيله فأخذ وادى منيخ يجرى أكثر من خمسه أيام وجرت الأودية كلها بسيل لم يعرف منذ أعوام . ونزل على الوشم مطر عظيم لم يعرف له نظير ، وجرى وادى حنيفة وخرب العامر . وخرب السيل فى الفرع والخرج والجنوب وجعل كل عامر دامر . وعم الضراب والآكام . وابتهج به جميع الأنام ، وهذه المنة الجسيمة كلها فى هذه الليلة العظيمة وذلك فى أول الوسمى لسبع مضين من حلول الشمس برج العقرب وكان الناس فى غاية الضعف فأنزل الله البركة وزرعوا الناس الوعر والسهل وأعشبت الأرض وذلك بعد الوقت والقحط الشديد ، والجدب المبيد ، وغور الآبار ، وموت النخيل والأشجار ، وجلاء أهل البلدان إلى البصرة وماحولها من الديار ، وكان القحط المذكور قد استمر تسع سنين من موت الإمام تركى على رأس الخمسين ، فخزن الله هذا الغيث لعباده ، بحكمته البالغة ومراده ، وجعل نزول هذه النعمة التامة ، والرحمة العامة ، مقدمة لقدوم من ملكه الله هذه الجزيرة وعربانها وجعله سراجاً منيراً فى أركانها ، وصار لأهل الإسلام حصناً محيطاً ، وظلا مديداً بسيطاً . فائض الكرم والجود الإمام ابن الإمام فيصل بن تركى بن سعود ، أسبغ الله عليه ألطافه ، وأسبل عليه أكنافه ، وجعل سلسلة إمامته مسلسلة فى صالح عقبه إلى انتهاء الزمان ، رافلا فى حلل السعادة والسيادة والرضوان :

وفيها قتل محمد آل على بن عرفج شاعر بلد بريدة المشهور قتله بنو عمه فى دم بينهم

﴿ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين وألف﴾ ولما أراد الذى بيده الحركات والسكون ، القادر الذى يقول للشىء كن فيكون ، إخراج الإمام فيصل من حبس

الياس ، وظهور شمسه على الناس ، وإجابة دعائه ، ورد ملكه وملك أبيه إليه ، مع تكاثر العساكر المصرية ، التي في حصون نجد الكبار ، وخالد بن سعود يده على تلك الديار وتيقنهم أنها دارهم ، ومسكنهم وقرارهم ، بعث الله من عشيرته رجلا شجاعاً قتال ، وساعده النصر والإقبال ، وصار له صولة وإقدام ، ونصر من الملك العلام ، وأنزل الله الرعب في قلب من عاداه ، وانثالت عليه الدنيا من أصدقائه وأعداءه ، حتى لم يبق له في أهل المملكة له مخالف ولا مشاقق ، بل كلهم مطيع موافق ، فلما تم أمره ، وبلغ ذلك التمهيد أجله ، أذن الله لصاحب هذا الملك وفكه من الأسر ، وسلم مفاتيحه إليه بتسير ويسر ، ووقع الجبن في قلب ذلك الشجاع المطاع ، وغاب عنه رأيه وتدبيره وضاع ، حتى أسلم القادر سرير الملك إلى صاحبه فأجلسه عليه ، ونثر مفاتيحه بين يديه .

ظهور الإمام فيصل من مصر

ففي أول هذه السنة نزل الإمام فيصل من حبسه بحبال ، لما أكثر التذلل والتضرع عند ربه والابتهال ، ونزل من رأس القاهرة ومعه أخوه جلوى وابن عمه عبد الله بن إبراهيم وإبنه عبد الله ، وكانت العساكر رصداً عليهم في مدخلهم ومخرجهم والفرجة التي نزلوا معها على الأرض أكثر من سبعين ذراعاً فحفظهم الله تعالى إلى أن وصلوا إلى الأرض وكانوا قد واعدوا ركائب تحتهم فركبوها وذلك في الليل فساروا إلى جبل شمر ، وأرسلوا إلى عبد الله بن علي بن رشيد يخبرونه بمجيئهم فتلقاهم بالرجال والرحائل ، ودخلوا بلده حائل ، فقابلهم بالتكريم والإكرام ، وعظمهم غاية الإعظام ، وقال أبشروا بالمال والرجال ، والمسير معكم والقتال ، فلما بلغ عبد الله بن ثنيان هذا الخبر وصح عنده واستقر ، أدار الرأى فيه ، وأبانه لخاصته ظاهره وخافيه ، فأشاروا بما هو كائن في القضاء عليه ، وإنه يرسل إلى جميع رعاياه ، من أقصى ملكه وأدناه ، ويستنفرهم حاضرهم وباديهم ، وأنهم إذا سمعوا بخروجك لم يجيبوا لمناديهم ، فخرج من الرياض يوم الجمعة ومعه عزو أهل العارض فنزل ببان وأقام فيه أياماً وورد عليه من فيصل مراسلات

وكان فيصل لما نزل الجبل أرسل رجالا بمراسلات إلى أهل البلدان فأوصلوها خفية إليهم . فلما وصلت إلى ابن ثنيان مراسلات فيصل هرب من قومه رجال إلى فيصل لجعل يدبر الرأى فأجمع أمره أنه يرسل هدية إلى فيصل ويستدعيه إليه لعله يصير عنده وبين يديه وكتب إلى رعيته من أهل الرياض يبشرهم بقدومه تسكيناً ويرجو به تمكيناً . ثم أنه أرسل علي بن عبد الله أمير ضرمى بهدية إلى فيصل فقدم بها عليه فى الجبل فأخذها ولم يعبأ بقوة صاحبها . ثم أن ابن ثنيان رحل من الخفس ونزل أرض سدير فوافاه رسول عبد العزيز بن محمد رئيس بريدة يستدعوه إليه ويعطيه العهود والمواثيق على القيام معه والنصرة ، وسبب ذلك أن بين أهل القصيم وبين ابن رشيد عداوة عظيمة فظن أنهم إذا صاروا يداً واحدة مع هذا الشجاع المطاع أدركوا الثار ويأبى الله إلا ما أراد ، وهو رب العباد . فرحل ابن ثنيان وقصد بريدة فنزل بجنوده خارج البلد . فخرج إليه عبدالعزيز وبايعه . فلما علم بذلك رئيس عنيزة عبد الله بن سليمان بن زامل جمع رؤساء بلده وشاورهم فى هذا الأمر ، وكان فيهم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين وإبنه عبد العزيز فغلب الرأى منهم أنهم يرسلون عبد العزيز بن الشيخ عبد الله إلى فيصل ويبايعه لهم ويقبل به إليهم فركب إليه عبد العزيز فى رجال معه فوافاه فى الكهفه وأمره أن يرحل إلى عنيزة وأن أهلها له فى السمع والطاعة فرحل من مكانه ذلك وقصد عنيزة وأمر على أخيه جلوى وعبيد بن رشيد ومعهما مائة رجل يقصدون محمد بن فيصل الدويش وعربانه وينزلون معهم وكانوا إذ ذاك فى الحمادة وكان بين الدويش وبين ابن ثنيان مخالفة فرحل جلوى وعبيد ومن معهما إلى الدويش وقصد فيصل بلد عنيزة ومعه عبدالله ابن رشيد رئيس الجبل ورجال من قومه وعبد العزيز بن الشيخ ورجال معه فلما علم بذلك ابن ثنيان نهض بجنوده من بريدة وترك خيامه وأثقاله ورصدهم على طريقهم فعمى عليهم الخبر وسار فيصل وأصحابه على غير مصدرهم ودخلوا عنيزة آخر الليل فلم يفجأ ابن ثنيان وجنوده إلا ضرب البنادق فى البلد واللعب والغناء فعلم أن الأمر قد فاته فرجع إلى خيامه وشرد من قومه رجال من رؤساء أهل الجنوب وسدير وغيرهم وقصدوا فيصلا فى عنيزة ثم أن ابن ثنيان لما وصل بريدة أمرهم بالرحيل

وذكر لجنوده أنه يريد عنيزة محارباً فرحل وقصد المذنب منهزماً إلى الرياض وخاف من جلوى وأتباعه ومن أتباعه ومن الدويش وأتباعه فواصل الليل بالنهار فلما علم الدويش وأتباعه بذلك وهم إذ ذاك فى أسفل الغاط فزعوا عليهم وشد الصعب والذلول ولحقوهم فلم يدركوهم إلا فى أرض الوشم وقد تعبت خيلهم وركابهم فلم يأخذوا منهم إلا قليلا ثم أن ابن ثنيان لما وصل الوشم تفرقت عنه جنوده وقصد أهل النواحى بلدانهم وهو قصد الرياض ودخله فرحل عبيد بن رشيد وجلوى وأتباعهما وقصدوا بلده ثادق ونزل الدويش وأتباعه قصور ثادق وأرسلوا إلى فيصل يستحثونه وأرسلوا عبد الله بن إبراهيم بن عم فيصل إلى سدير يدعوهم إلى المتابعة والمسير معهم فقدم بلد المجمعة وأمرهم بالمسير فركب معه الغزو الذين قفلوا مع ابن ثنيان وساروا معه ثم أن ابن ثنيان لما دخل الرياض فرق السلاح والأموال وهدم البيوت التى حول القصر وتأهب للحصار ورتب البلاد ومراقبها وجعل فى كل موضع رجالا وأمَّر فيهم أميراً . وأما فيصل فإنه لما استقر فى عنيزة وبايعه أهلها ووفد عليه رجال من بلدان القصيم ورؤساء العربان رحل من عنيزة فى ربيع الأول وقصد الوشم ومعه أمير عنيزة عبد الله بن سليمان ومعه نحو مائتى مطية ونزل فيصل بلد شقرا فبايعه أهلها وأهل الوشم ثم رحل منها وركب معه أمير الوشم محمد بن عبد الكريم البوارى بغزوه وقدم حريملا وأقام فيها أياماً وقدم عليه أمراً سديراً بغزوهم واجتمع به أخوة جلوى وابن عمه وعبيد بن رشيد وأتباعهم ووفد عليه رؤساء السهول وسبيع والعجمان وغيرهم وكتب على عبد الله ابن ثنيان يدعوه إلى المصالحة وحقن الدماء بين المسلمين وأنه يخرج من الرياض بما عنده من الخيل والركاب والسلاح والأموال والرجال وليس له معارض وينزل أى بلد شاء فى نجد أو غيرها وله مع ذلك من الخراج كل سنة ما يكفيه فأبى ذلك ولم يرض إلا بالحرب فرحل فيصل من حريملا ورحل معه أميرها حمد بن مبارك والشيخ محمد بن مقرن ونزل بلد سدوس وكتب إلى أمير منفوحة سليمان بن إبراهيم بن سعيد يطلبه المتابعة والنزول عنده فأجابه إلى ذلك فرحل فيصل من سدوس ونزل منفوحة فى الدويديه وهى منزله وقت محاصرته خاله فى الرياض فأقام

فيها أياماً ولم يقع بينه وبين أهل الرياض حرب والرسل بينه وبين أناس من رؤساء الرياض خفية . فلما كان ليلة الخميس لست بقين من ربيع الثانى جهز فيصل رجالا من شجعان قومه مع أخيه جلوى وأمرهم يدخلون البلد وذلك بممالات من رؤسائها فاقبل جلوى ومن معه ودخلوا مع باب دخنه وكان ثنيان يخرج من القصر برجال معه يدورون فى البلد فلما بلغه دخول هؤلاء انصرف إلى القصر . وذكر لى أنه سقط مرتين أو ثلاثا ثم دخل القصر واحتصر فيه وقصد جلوى وأصحابه البيوت التى تقابل القصر فدخلوا فى بيت مساعد بن تركى وبيت ابن دغيثر وقاموا يرمون من فى القصر فأغاق ابن ثنيان وأصحابه باب القصر ثم سدوه بالطين ثم دخل الإمام فيصل الرياض ونزل بيت مشارى بن عبد الرحمن وجعل أهل الحريق فى بيت ابن ثنيان وأهل القريعية فى بيت الشيخ عبد الله بن نصير ونزل جلوى فى بيت زويد العبد مملوك سعود فوقع الحرب نحو عشرين يوما وقدم على فيصل أهل الخرج والفرع ومعهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن هذا وجنود فيصل من شمر وغيرهم خارج البلد وليس فى البلد إلا المقاتلة من أهل العارض وقدم عليه رؤساء سبيع . وذكر لى أن رجالا منهم هموا بالغدر بفيصل ففطن لهم وأبطل الله كيدهم . ثم أن ابن ثنيان أرسل إلى عبيد بن رشيد يطلب المصالحة فأتى إليه عبيد وسعى فى الصلح فلم يتفق شيء لما سبق من القضاء . ثم إن الله سبحانه لما أراد أن يمضى قضاءه وقدره خرج ابن ثنيان من القصر فى الليل فوافاه رجال فأمسكوه وأتوا به إلى فيصل فأخذ سلاحه وحبسه وأخذ القصر عنوة وعفى عمن فيه من الرجال وأخذ جميع أموال ابن ثنيان وصار محبوساً فى بيت من بيوت القصر وعنده حرس يحفظونه وأطلق فيصل الرجال الذين حبسهم ابن ثنيان ورد عليهم ما وجدوا من أموالهم ونزل فيصل القصر وبايعه المسلمون وسكنت الفتنة واستقامت الأمور وأذن لمن معه من الغزوان يرجعون إلى أوطانهم وأمر على عبد الله بن بتال المطيرى فى رجال معه يركب معه إلى الاحساء أميراً واستعمل ابن عثيمين فى وادى الدواسر أميراً وأقر كل أمير فى بلده . وفيها فى منتصف جمادى الآخرة يوم الجمعة توفى

عبد الله بن ثنيان فى الحبس وجهزه الامام وصلى عليه والمسلمون وظهر مع جنازته ودفن فى مقبرة الرياض . وكتب نصيحة لأهل البلدان يحضهم على فعل الطاعات ، وترك المحرمات ، ويأمرهم بالتمسك بالتوحيد وصورتها.

بسم الله الرحمن الرحيم من فيصل بن تركى إلى من يصل اليه هذا الكتاب من المسلمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فان أجمع الوصايا وأنفعها الوصية بتقوى الله تعالى قال تعالى(ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن أتقوا الله) وتقوى الله أن يعمل العبد بطاعه الله على نور من الله يرجو ثواب الله وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله ومعظم التقوى والمصحح لأعمالها توحيد الله بالعبادة وهى دين الرسل الذى بعثوا به وهو مبدؤ دعوتهم لأممهم وهو معنى كلمة الإخلاص شهادة أن لا إله إلا الله فان مدلولها نفى الشرك فى العبادة والبراءة منه واخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى (فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا الله الدين الخالص) وقد بين الله تعالى معنى هذه الكلمة فى كثير من الآيات المحكمات قال تعالى (وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه أنى برآء مما تعبدون إلا الذى فطرنى) فهذا معنى لا إله وقوله إلا الذى فطرنى فهو معنى إلا الله وقد عبر عنها بمعناها من النفى والاثبات قال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية ، والآيات فى توحيد العبادة أكثر من أن تحصر وهذا التوحيد هو الذى جحدته الأمم المكذبة للرسل قال تعالى عن قوم هود (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباءنا) وجحده مشركوا العرب ومن ضاهاهم من مشركى هذه الأمة قال تعالى (ألم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود)الآية . وأما مشركوا العرب فاخبر الله عنهم أنهم قالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشىء عجاب)إلى قوله (إن هذا إلا اختلاق) واحتج عليهم تعالى بما أقروا به من توحيد الربوبية فانه من أقوى الحجج عليهم فيما جحدوه من توحيد الآلهة كما قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء

والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت - إلى قوله : فسيقولون لله فقل أفلا تتقون) وأكثر الناس فى هذه الأزمنة وقبلها وقع منهم ماوقع من أولئك المشركين وهم يقرؤن القرآن فعموا وصموا عن هذا التوحيد وأدلته التى هى أبين فى قلب المؤمن من الشمس فى وقت الظهيرة . فيامن يدعى معرفة هذا التوحيد أعرف هذه النعمة وقدرها فانها أعظم نعمة انعم الله بها على من عرفها وأحبها وقبلها وعمل بها وألزمها فقابلوها بالشكر ولا تكفروها بالاعراض عنها واحذروا أن يصدكم الشيطان عن ذلك واعلموا أنه قد غلط فى هذا طوائف لهم علوم وزهد وورع وعبادة فما حصل لهم من العلوم إلا القشور وقد حرموا لبه وذوقه ، وقلدوا أسلافا قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل . فيالها من مصيبة ما أعظمها وخسارة ما أكبرها فلاحول ولاقوة إلا بالله. واحذر النفوس الامارة بالسوء وفتنة الدنيا والهوى فان الاكثر قد افتتن بذلك وظنوا أنهم قد سلموا وما سلموا وتمنوا النجاة والتمنى رأس مال المفلس نعوذ بالله من سخطه وعقابه . وأنت ترى اكثر الناس معبوده دنياه لها يوالى وعليها يعادى ولها يحب ويبغض ، ويقرب ويبعد قد اشتغل بها عما خلق لأجله يبتهج بها ويفرح . وقد ذم الله تعالى ذلك كما قال تعالى عن ذكره قارون (إذ قال له قومه لاتفرح أن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) والصحيح إنه الإيمان والعمل الصالح والاسلام والقرآن هما النعمتان العظيمتان والفرح بهما محبوب ومحمود إلى الله تعالى قد أوجبه على عباده المؤمنين كما قال الله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فسر الأول بالاسلام والثانى بالقرآن . وقال بعض الصحابة : فضل الله الاسلام ورحمته أن جعلكم من أهله فلا غنى لكم عن تعلم هذا التوحيد وحقوقه من فرائض الله تعالى وواجباته وأن يكون ذلك أكبر همكم ومحصل علمكم . ومن أهم ذلك المحافظة على الصلوات الخمس حيث ينادى لها كما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون بعدهم ولذلك عمرت المساجد وشرع الاذان فيها كما قال تعالى (حافظوا على

الصلوات) الآية فلا بد فى المحافظة من استكمال شروطها وأركانها وواجباتها فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع . والزكاة قرينة الصلاة فى كتاب الله كما سبق فى الآية ونحوها جعلها الله تعالى طهارة للأنفس والأموال وزيادة وبركة وحجابا من النار . فالتزموا بما فرضه الله وشرعه فان فيه صلاح قلوبكم ودنياكم وأخراكم نسأل الله التوفيق . واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فرائض الدين وأركانه . قال بعض السلف : أركان الإسلام عشرة : الشهادتان ، والصلاة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله ، والجماعة ، والسمع والطاعة ، وهذه العشرة لا يقوم الإسلام حق القيام إلا بجميعها والقرآن يرشد إلى ذلك جملة وتفصيلا كما قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) فالله الله عباد الله مراجعة دينكم الذى نلتم به ما نلتم من النعم وسلمتم به من النقم وقهرتم به من قهرتم فقوموا به حق القيام فجاهدوا فى الله حق جهاده وعظموا أمره ونهيه واعملوا بما شرعه وتعطفوا على الفقراء والمساكين وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ، كما قال تعالى (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ولا تكونوا كالذين نسوا الله — إلى قوله لعلهم يتفكرون) فاقرأوا هذه النصيحة فى جميع مساجد البلدان واعيدوا قراءتها فى كل شهرين نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للخير أجمعين . وفى أول يوم من صفر منها بعد صلاة المغرب ظهر فى وسط القبلة عمود أبيض مستطيل من الأفق إلى وسط السماء مثل المنارة فى رأى العين وانزعج الناس لذلك ودام ذلك إلى انسلاخ شهر صفر ولا زال يضمحل شيئاً فشيئاً . وهذا نظير ما ذكره الشيخ مرعى بن يوسف الحنبلى فى تاريخه . قال : وفى أول سنة سبع وعشرين والف ظهر فى الشرق عمود أبيض مستطيل كطول المنارة فأرجف المنجمون بأراجيف وظنوا وقوع أمور مهولة وكذبوا والله . وصدق القائل :

أطلاب النجوم احلتمونا ... على خبر أرق من الهباء
كنوز الأرض لم تصلوا اليها ... فكيف وصلتم خبر السماء

ولم ير المسلمون إلا خيرا . وفيها حصل برد آخر الحميم على أول دخول الذراع مع طلوع المؤخر فمات كل زرع لم يشتد في سنبله وما اشتد في سنبله سلم منه وهذا شيء لم يعهد مثله في مثل هذا الوقت. ولما استولى فيصل على تلك الديار . وبلغ صيته جميع الأقطار ، أرسل اليه الأديب النبيل ،السيد عبدالجليل بن السيد ياسين الشافعي نزيل البحرين : ثم صار في بلد الكويت هذه القصيدة يمدحه ويهنيه بمجيئه من مصر . واستيلائه على رعيته بالعز والنصر فقال :

لرب العلى أهل الثنا وافر الحمد ... على نعم جلت عن الحصر والعد
لقد من مولانا الكريم بفضله ... علينا من الاسعاف عودا لمابيدى
أقامت لنا طيب البشارة بهجة ... وبشرى وأفراحا تنيف على الحد
ونلنا المنى من بعد مشكلة الفنا ... وأحلى وصالا ماأتى عقب الصد
نهنى بما أولى الآله نفوسنا ... فياطال ماباتت على الغبن والكد
فنشكر مولى أبدل الكد راحة ... وبالخوف أمنا شامل الربع والوهد
وحف الهنا بالملك من كل جانب ... واشرق وجه الكون عن طالع السعد
بغرة من يشتاقه كل مؤمن ... كما اشتاق ظام في الهجير إلى الورد
إمام أتانا بالمسرة والهنا ... وبالعز والعدل العميم وبالرشد
به شد أزر الدين واستوثقت به ... عراه وقام الحق في شدة العضد
وعادت قضايا الشرع مخضرة الربا ... معاهدها مأهولة في حما ضهد
هو النور بين الرشد والغي فيصل ... بهدى ابن تركي ذا الأعاريب تستهد
به الجار من كل الحوادث آمن ... قرير سرور القلب والعيش في رغد
بآرائه سود القوادح تنجلي ... وبالرأي إدراك الفتى قبل ذي جد
أخو همة تدنى له كل شاسع ... ويرتاض من أعمالها كل مشتد
يهاب ويرجى حاربا ومسالما ... ففي الحرب يسطو سطوة الاسد الورد
وفي السلم بر أريحي مهذب ... وأخلاقه الأطهار مطولة البرد
له راحة في الجود تغني عن الحيا ... إذا بخلت أيدي الكرام عن الرفد

نفى العدم عن سوح الموالين بذله ... فما حل فى ارجائهم عارض الجهد
معودة بسطا سوى قبضها على ... أعنة قب الأعوجيات والجرد
كذا قبضها يوما بقائم عضبه ... إذا أسود ليل النقع وأبيض ذو الحد
يكر به يوم الوغى كر عاشق ... وقد بات من وصل الغوانى على وعد
له حملات والظبا تقطر الدما ... فما رده دون الطلا قط فى غمد
صبور على اللاوى غير موقف ... ولا جازع أن قيل يا أزمة اشتدى
يقارع خطب الدهر عن بأس ماجد ... فيرخص غالى الروح فى مطلب الحمد
فسل مصر عنه ان رأت غير راغب ... ولا متق عن باب مفترس الأسد
وأسلمه من عمهم بنواله ... وعاملهم بالرفق فى كل ما يبدى
ففوض لله المهيمن أمره ... وعاذ برب الناس من شر ذى حقد
فأغناه لطف الله عن حزبه الذى ... يواسيه من كل الاقارب والجند
أعد التقى حصنا فرد به العدى ... وحسن طويات الفتى خير معتد
وعاذ بحمد الله خير مدافع ... عن الأمر ميمون النقيبة والقصد
ودان من شط عنه ومن دنى ... على رغبة بالماجد الحازم الفرد
فعاملهم بالصفح عن كل مجرم ... وعاد إلى احسانه الوافر المد
فادى الشكر لله فيما أناله ... من العز والتمكين بالملك والضد
وبرهان عقل المرء اعلان شكره ... يصون به النعماء عن طارق يردى
فيا ملكا بالأرث ساد وبالتقى ... وبالحكم بالشرع الشريف عن المهدى
وبالعدل والإحسان والفتك فى العدى ... وبالسمهرى اللدن والصارم الهندى
وبالجود ما كعب ابن مامة حازه ... وبالصدق فى الأقوال والعهد والوعد
لقد طابت البشرى بمقدمك الذى ... به زانت الدنيا لكل أخى ود
وعمت بك الأفراح من قد رعيته ... ولم يك يدرى بنايلك العد
وقام بنا داعى المسرة والهنا ... على كل ناد بالثنا الفائح الند
وحفت لدى نطق البشير مقالتى ... سلامى على نجد ومن حل فى نجد

ولذ لنا طى الدجنة بالسرى ... وقطع الفيافى بالرسيم وبالوجد
لاحظى بتبليغ السلام مشافها ... وادفع مابى من ولوع ومن وجد
فاعملت بزل اليعملات مهنيا ... بما قد حباك الله من تالد المجد
وانهى اليك الحال مذغبت غالنا ... بغيبتك الدهر العبوس على عمد
حوادث جاءتنا بكل ملمة ... وايسرها يلهى الودود عن الولد
جلاد وتنكيد وغرم وذلة ... ولا ناصر للحق ذو نخوة يجدى
وقد أوحشت منا الديار ونالنا ... من البؤس مالا يلتقى اللحم بالجلد
وحسبك ما تلقاه من ألم الأذى ... مفارقةالأوطان والأهل عن قصد
وأرجو من الرحمن يبدل مامضى ... بحال يريح القلب من وصمة الكد
فيعلن بالافراح كل موحد ... وتزهو بك الأيام ياخير مستهد
وهاك إمام العصر منى خريدة ... يفوح لها عطر الثناء بما تبدى
إلى مثلها يرتاح كل معظم ... ويصبو إلى إنشادها كل ذى مجد
دعانى إلى ما قلت صدق مودة ... فرحت أجيد المدح منتظم العقد
ولازلت ياعين الزمان موفقا ... لكل مساعى الخير مستوجب الحمد
تروق بك الدنيا وتسمو بالصفا ... وتكبو بك الأعداء عن منهج الرشد
معانا مطاع الأمر مالاح بارق ... وما جلبت الوسمى ميادة الرند
وأزكى صلاة الله ثم سلامه ... على المصطفى الهادى إلى منهج الرشد

وقد مدح الإمام فيصل بقصائد عديدة على اللفظ العربى والنبطى تركت ايرادها للاختصار ، وفى هذه السنة سار الإمام فيصل بجنود المسلمين وقصد جهة القطيف فاغار على المناصير وأخذهم ثم أغار على آل مره ورئيسهم ابن نقادان فأخذهم فى الرمل على سيف البحر ثم أغار على بنى هاجر ورئيسهم ابن شعبان فهربوا وتبعهم المسلمون فاخذوا كثيراً من أوباشهم وقتلوا منهم رجالا ثم رحل ونازل قصر الدمام وفيه رؤساء البحرين عبد الله بن خليفة وأولاده فحاصرهم أثنا عشر يوما

ثم طلبوا المصالحة فأبى فيصل إلا على إحسانه واساءته فخرجوا اليه فمن عليهم بدمائهم وأخذ جميع مافى القصر وجعل فيه مائة رجل مرابطة وجعل عندهم جميع ما يحتاجون اليه وكان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين معه فى هذه الغزوة.

وفى هذه السنة احترق رئيس المنتفق عيسى بن محمد السعدون وسبب ذلك أن بيوتهم التى يأوون اليها من قصب يتخذونها فى وقت القيظ على شط الفرات إلى وقت الشتاء ثم يكونون فى الخيام وبيوت الشعر إلى انسلاخ الشتاء واتفق تلك الليلة إنه نام وعنده فنر مشبوب ونسيت الخادمة أن تطفئه وبقى معلقاً فى جانب البيت وكان من القصب فعلقت النار فيه واضرمت وهو نائم مع أهله على سريره فما أستيقظ إلا وقد شملت النار جميع البيت وليس له مهرب وفى البيت كثير من الطعام والدهن والفرش وغير ذلك ، فهرب إلى أسفل البيت وقعد بين صناديق فيه رجاء أن ينجو أو يأتيه من يخرجه فلما ظهرت النار فى البيت ورآها الناس أجتمعوا وأرادوا أن يسطوا عليه ليخرجوه فقال رجل معهم أن الشيخ قد خرج فذهبوا من كل جانب يطلبونه فلم يجدوه فطلبوا الرجل الذى قال لهم ذلك فلم يروه وأحتاروا يتساءلون بينهم وإذا يرون ناراً خضراء فى جانب البيت فظنوا أنها مشتعلة فيه فأطفؤها بالماء فاذا يجدونه قد احترق إلى مجمع فخذيه فأخذوا باقيه ودفنوه وإذا بزوجته نائمة على سريرها قد احترق جانبها الأعلى نسأل الله العفو والعافية . وكانت سيرته فيما ظهر غير ماكان عليه أسلافه من محبة أهل السنة والجماعة وكراهة الأرفاض وغيرهم من أهل البدع بل كان عيسى هذا يكرم الأرفاض ويحترمهم ويدنيهم وهو فى الظاهر على طريقة أهله وعشيرته فيما يدعى والله أعلم : ثم تولى بعده أخوه بندرفأخذ نحو ثلاث سنين ومن ولايته وحكمهم فى خلل ثم مات . وتولى بعده أخوه فهد فلم تطل مدته ومات بعد نحو سنة . ثم مرج حكم المنتفق فتارة فى أولاد راشد السعدون وتاره فىأولاد عقيل السعدون وتارة فى ولد عيسى السعدون يتحاربون ويتقاتلون بينهم حتى هلك منهم أمم يأخذ الواحد منهم مدة قليلة ثم يأتيه المحارب له فيخرجه ويتولى مكانه ثم يذهب

الخرج فيجمع له قوة ويزيد الحكام خراجا فيجهزون معه عسكرا فيأتى إلى صاحبه ويخرجه ودام ذلك بينهم إلى هذه السنة الموفية سبعين ومائتين وألف وأمرهم فى مروج والثابت المستقر فى ملكهم فى السنة المذكورة ولد راشد بن ثامر السعدون .

﴿ ثم دخلت سنة ستين ومائتين والف ﴾ والإمام فيصل فى تلك الغزوة وأغار العجمان ورئيسهم محمد بن جابر الطويل ومعهم أخلاط من سبيع وغيرهم على محمد ابن فيصل الدويش وعربانه من مطير وهم فى ديرة بنى خالد فكثر بينهم القتال وبرز فهاد الدحام للقتال فقتل سريعاً فوقعت الهزيمة على الدويش وعربانه وأخذوا بيته ومحله وبيوت الدويش وكثيراً من إبلهم . وسار محمد بن فيصل الدويش بعد هذه الوقعة إلى الإمام فيصل يسترفده وهو فى الدمام فأعطاه سيئاً من الكسوة والدراهم . ولما فرغ الامام فيصل من الدمام قفل راجعاً ونزل الاحساء وأقام فيه نحو أربعين يوما ووفد عليه كثير من رؤساء عمان ووفد عليه ابن صويط رئيس الظفير بهدايا كثيرة واستعمل فى القطيف أميرا عبد الله بن سعد المداوى وكان فيه شجاعة وشهامة واستعمل فى الاحساء أحمد بن محمد السديرى . وكان له معرفة ورأى وعقل وشجاعة وبراعة وسخاء واين وسماحة مع الناس وقوة على الانجاس . ثم رحل الامام إلى وطنه وأذن لغزوانه يرجعون إلى أوطانهم .ثم أن عبد الله المداوى أحضر على بن عبد الله بن غانم الرافضى رئيس القطيف فى السابق فقاربه بأشياء وضربه حتى مات فغضب الامام فيصل وأرسل اليه غلامه بلال بن سالم الحرق فأشخصه اليه وجلس بلال مكانه فلما قدم على الامام اعتذر من ضربه لابن غانم وذكر الباعث لذلك فقبل منه ورده إلى القطيف أميرا فقام فى محاربة صاحب البحرين ثم وقع بينه وبين العمائر قتال فقتل من العمائر عدة قتلى . وفيها بعث الامام فيصل سرية إلى عمان مع المطيرى وأرسل معه قاضيا ناصر بن على العرينى . وفيها قتل البرد أكثر من الزرع وذلك بعد ماحصد الربعى منه وذلك وقت طلوع المؤخر مع الفجر أول الذراع الأول .

﴿ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين والف﴾ وفيها سار الامام فيصل بجنود المسلمين وقصد الافلاج لاختلاف وقع بينهم وقعة الشيخ محمد بن مقرن وأمير بريدة عبد العزيز بن محمد وكان قد غضب عليه الإمام فأرسل اليه وقيده بالحديد وسجنه فى بيت عنده مدة اشهر ثم شفع فيه رجال من رؤساء المسلمين فاطلقه وسار معه فى هذه الغزوة . ثم أن الامام نزل بلد ليلى وأرسل إلى رؤساء البلدان فأتوا اليه فحبس أهل الخلاف وأخذ منهم نكالا وكان أهل بلد الشطبة قد وقع منهم خلاف فارسل الامام اليهم سرية مع سليمان بن منديل وفرحان بن خير الله فهدموا البلد وقطعوا كثيراً من نخيلها . ثم رحل قافلا إلى وطنه وأذن لغزوانه يرجعون إلى أوطانهم . وفيها غزى الامام على آل عماير من الدواسر وهم قرب الأفلاج فسبقه النذير اليهم فانهزموا . وفيها وقع اختلاف فى بلد سيح آل حامد من الدواسر فأمر الامام على أهل النواحى بالمغزا فقدموا عليه فى الرياض فسار بهم جلوى بن تركى ثم أتبعه ابن أخيه عبد الله بن ابراهيم فى سرية ونزلوا بلد السيح فحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدد من الرجال . ثم طلبوا الصلح وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة فقفلوا إلى الرياض . وقتل فى هذه الغزوة الشجاع ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم أمير حوطة بنى تميم . وفى آخر هذه السنة أقبل حاج كثير من الاحساء والبحرين والقطيف والعجم فرصد لهم فى الطريق فلاح بن حثلين العجمان ومعه قومه وأناس من سبيع .

﴿أخذ ابن حثلين لحاج الاحساء﴾

وكان حزام بن حثلين مع الحاج فشنوا عليهم الغارة وأخذ نحو نصفهم وهرب باقيهم إلى الاحساء فلما علم بذلك الامام فيصل أمر على أهل النواحى بالمغزا وخرج من الرياض آخر ذى القعدة ومعه الشيخ عبد الرحمن بن حسن ونزل قرب بلد حريملا حتى اجتمعت عنده جنود المسلمين . ثم رحل ونزل الكظيمة وقدم عليه متعب بن عبد الله بن رشيد رئيس الجبل يغزوا أهل الجبل ومعه هدية للامام اثنى عشر فرسا وعدة من الركاب . فلما علم ابن حثلين بخروج الامام انهزم إلى

ديرة بنى خالد . ثم رحل فيصل ونزل فى بجزل ووفد عليه علماء سدير ومنهم الشيخ القاضى عبد العزيز عثمان بن عبد الجبار . ثم رحل ونزل ربيدا الماء المعروف فى ديرة بنى خالد فاقبل اليه رؤساء العجمان وسبيع وسالوه أن لا ياخذ البرىء المطيع فى القوى المضيع فدعنا نتسلخ من ابن حثلين ثم شأنك به فعفى عنهم وأمرهم بالانسلاخ منه والخروج من ديرة بنى خالد وأمهلهم عشرة أيام وأقام فيصل مكانه وأرسل قافلة إلى الاحساء تأتيه بطعام وانسلخت العربان عن ابن حثلين فهرب إلى محمد بن هادى بن قرملة وكان نازلا على الخفس الماء المعروف فى العرمة . فلما علم الامام بذلك رحل وقصده فهرب من عند ابن قرملة فقفل الامام إلى وطنه وأذن لأهل النواحى يرجعون إلى أوطانهم وبعد ذلك ظفر به الامام وسيأتى بيان ذلك انشاء الله تعالى .

وفى هذه السنة لثلاث مضين من رمضان ، كانت وقعة عبيد بن على بن رشيد رئيس الجبل على أهل عنيزة وسبب ذلك أن عبد الله بن سليمان بن زامل أمير عنيزة أخذ أبلا لابن رشيد فطلب منه الأدى فأبى عليه فسار اليهم عبيد فى مائتين وخمسين مطية وخمسين من الخيل فاغاروا على غنم أهل عنيزة وكانت قريباً من ففزع عليهم أهل عنيزة . وكان ابن رشيد قد جعل لهم كميناً فلما نشب القتال بينهم خرج عليهم الكمين فانهزم أهل عنيزة وقتل عبد الله بن سليمان الامير واخوته وبنى عمه قتلهم ابن رشيد صبرا وأسر منهم رجالا وأرسلهم إلى أخيه عبد الله فى الجبل فركب اليه عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبا بطين فلما قدم بلد الجبل طلب منه أن يطلق الأسرى فاطلقهم وكساهم . وفيها أكل الدبا الزروع لاسيما فى بلدان سدير .

﴿ ثم دخلت سنة اثنين وستين ومائتين والف ﴾ والامام فى مغزاه على ابن حثلين كما تقدم . ولما وصل إلى بجزل كما تقدم ركبت السلام عليه فاكرمنى جزاه الله خيراً . وحضرت مجتمعهم للدرس بعد صلاة العصر فى صيوان الامام . وكان المتصدى للتدريس الشيخ عبد الرحمن بن حسن والقارىء عليه ابن عمه عبد الله بن حسن بن

حسين فقرأ فى كتاب السياسة الشرعية للشيخ ابن تيمية وأمر الامام عبد العزيز ابن حمد بن عيبان أن يكون فى تلك الغزوة إماماً لأهل الوشم وسدير يذكرهم ويذاكرهم ويراوحهم بالمواعظ ويباكرهم ففعل ذلك ولما دخل الامام فيصل بلد الرياض من هذه الغزوة وفد عليه رؤساء العربان فكساهم وكتب لهم عطاءاً ثم أمر على عبد العزيز بن مشارى بن عياف أن يركب أميراً على وادى الدواسر وكان قبل ذلك أميراً لابن ثنيان فى سدير فأقام فى الوادى نحو أربعة أشهر ثم رجع إلى سدير وأمر على أخيه حسن بن مشارى بن عياف أن يركب إلى الأفلاج أميراً وأمر على عبدالله بن بتال المطيرى فى رجال معه يسيرون إلى الاحساء مرابطة عند أحمد السديرى وأمر على محمد بن إبراهيم بن سيف يركب قاضياً عند ابن رشيد فى الجبل وأمر فى أثناء مغزاه المتقدم على الحميدى بن فيصل الدويش أن ينزل بقومه فى ديرة بنى خالد وأمر على جميع العجمان أن يرحلوا عنها ففعلوا ذلك وقصد الشمر ثم أن فلاح بن حثلين أدار رأيه فى الحيلة التى يدرك بها الرجوع إلى ديرة بنى خالد فوقع فى نفسه أنه لا يقدر على ذلك إلا بمصافاة الدويش فرحل ومعه قطعة قليلة من العجمان فنزل على منديل بن غنيمان رئيس الملاعبة من مطير فطلب منه أن يجيره وأن يجمع بينه وبين الدويش فأبى ذلك وأرسل ابن غنيمان يخبر الدويش بذلك فركب الدويش من ساعته إلى ابن غنيمان ورحل معه بابن حثلين ومن تبعه وأدخلهم مع عربانه من مطير وركب الدويش وافداً على فيصل فى رجال من قومه فلما قدموا عليه ذكر لهم فيصل مافعل ابن حثلين بالمسلمين وأنه لابد من إمساكه وأخذ الثار منه للمسلمين فلم يقدر الدويش على مخالفة الامام . وأمر الامام على رجال يركبون مع الدويش ويمسكون ابن حثلين فساروا معه وأمسكوا ابن حثلين وقصدوا به الاحساء وأدخلوه فى قصر السكوت عند أحمد السديرى وقتلوه هناك وهذه عادة الله فى الباغين ، وانتقامه من الظالمين ، فإن مشعان بن هذال لما أخذ الحدرة لم يتمتع بعدها إلا خمسين يوماً وكذلك هادى بن مذود لما أخذها لم يحل عليه الحول وقطع الله أصله ونسله وكذلك ما جرى على الدبادبة وقتلهم فى

مرة واحدة لما فعلوا بأهل سدير ما فعلوا على حفر الباطن وما جرى على عربان السويلمات من القتل والأخذ لما قطعوا السبل وطرق المسلمين ثم أن رؤساء العجمان طلبوا من فيصل الأمان وأنهم يدفعون ما أخذوا للمسلمين والنكال فأخذ فيصل منهم خمسة وعشرين فرساً ومزقهم الله كل ممزق وأعظم من ذلك ما جرى على حدجان رئيس عتيبة لما أخذ غنم أهل المجمعة فى رمضان وقد سبق ذلك .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين وألف ﴾ وفى المحرم منها أرسل عبد الله بن رشيد رئيس الجبل إلى الامام فيصل يطلبه النصرة على قبائل عنزة وكان قد أوقع بهم عدة وقائع وأخذ غالب أموالهم من الخيل والابل والأغنام فخرجت قبائل عنزة التى فى نقرة الشام لمحاربة ابن رشيد نصرة لمن فى نجد من قبائل عنزة فامر الامام على عبد العزيز بن مشارى بن عياف أمير سدير أن يتجهز بغزو أهل سدير وأرسل اليه من الرياض نحو مائة وخمسين مطية عليها رجال من خدامه فركب ابن عياف بهم وبغزو أهل سدير فنزل الصمان فبلغه أن ابن رشيد قد أغار على عدوه وقضى وطره وأرسل إلى ابن رشيد يخبره بمكانه وأقام فى مكانه نحو أربعة عشر يوماً يترقب رد الكتاب من ابن رشيد فأبطأ عليه الخبر فركب من مكانه وقصد ناحية الكويت يطلب ابن رشيد فبلغه أنه رجع إلى وطنه فقفل راجعاً .
وفى جمادى الأولى من هذه السنة عشية الجمعة توفى هذا الشجاع والسيف القطاع عبد الله بن على رشيد بعد ما رجع من هذه الغزوة وصار مكانه إبنه طلال أمير فى الجبل .

وفى هذه السنة والتى قبلها أرخص الله الأسعار وكثر الخصب فلله الحمد والمنة

وفيها استعمل الإمام فيصل محمد بن أحمد السديرى أميراً فى ناحية سدير ومنيخ والطويرف والزلفى وكان رجلا عاقلا على صغر سنه فاضلا سمحاً جواداً كثير الحلم والاناءة وعليه الهيبة والوقار وله مثل اخلاق أبيه وزيادة :

وفى هذه السنة ظهر الشريف محمد بن عون إلى نجد وكان سبب ذلك أنه كان عند الشريف فى مكة أناس من رؤساء أهل القصيم وكان فيهم عداوة قديمة لآل سعود

وأتباعهم فزينوا له أنه إن سار إلى نجد لم يثبت له فيصل فطمع الشريف فى ذلك وخرج من مكة ومعه خالد بن سعود يريده وسيلة لبغيته ومعه عساكر من الترك وقصد القصيم فقدمه فى ربيع الآخر وأطاع له أهل القصيم كلهم ووفد عليه كثير من رؤساء العربان منهم شقير بن محمد الدويش وكاتبه أناس من رؤساء البلدان فلما علم بذلك فيصل استنفر رعيته من أهل العارض والجنوب والمحمل وسدير وغيرهم وأمر على إبنه عبد الله أن يركب من الرياض وجهز معه الخيل والرجال فخرج منه فى جمادى الأولى وقصدناحية سدير ونزل المجمعة وتكاملت عليه جنوده فيها فلما علم الشريف بذلك داخله الفشل لان الاعداء زينوا له انه ما يخرج من مكانه فارسل الشريف إلى فيصل بن عبد الله بن لؤى يطلب الصلح فقدم إليه فى الرياض وقال له أن الشريف يريد أن يركب إليه واحد من إخوتك بهدية تكسر عنه ظاهر الفشل فجهز أخاه عبد الله ومعه محمد بن عبد الله بن جلاجل فى عشرين رجلا ومعهم ثمان عمانيات وأربع من الخيل فقدموا إليه وهو فى عنيزة فأكرمهم وأخذ هديتهم ثم أن أهل الأهوى والمشيرون للفتن أشاروا عليه برد الهدية ليعلم أهل نجد بقوته وأنه لا يعطى الدنية حتى يكاتبونه ويفدون عليه فأرسل الشريف إلى عبد الله ومحمد بن جلاجل وكسى عبد الله ورد عليهما الهدية وأعطى عبد الله فرساً ثم ركبوا من عنده فلما جاوزوا البلد خلع عبد الله كسوته ورد إليه فرسه وقال للرسول أنه لم يقبل هديتنا ونحن لا نقبل هديته فلما قدموا بلد شقرا تلقاهم أهلها بالإكرام واتفق رأيهم أنهم يرسلون الخبر لفيصل ولا يقدمون عليه فكتبوا له بالخبر فحين قرأ كتابهم أمر بالمسير وكتب إلى إبنه عبد الله أن يرحل بالمسلمين من المجمعة ويقصد بلد شقرا فرحل إليها ونزلها فتلقاه أهلها وأكرموه ثم أن الإمام ركب من الرياض بأهل الخرج والجنوب والعارض من غير غزوهم الذين مع عبد الله ونزل الشمس الماء المعروف قرب الوشم فلما علم الشريف بذلك داخله الفشل وحل به الرعب والوجل وقنع باليسير بعد الكثير وشتم المعين والمشير وأرسل رسوله ابن لؤى إلى فيصل ثانياً للمصالحة الأبدية والمسالمة المرضية وكان فيصل حفظه الله تعالى من أخلاقه أنه يقبل على من أقبل عليه كثير الشفقة على الرعية سالم القلب من الغش للبرية فكتب إلى الشريف أن لك عندنا

الإجلال والسماحة والاحتمال وقولك مقبول وما طلبت فهو مبذول . بشرط أنه
ليس لك فى رعيتنا نهى ولا أمر لا فى القصيم ولا فى العربان . ولا فى غيرهم ،
وإنك تدفع إلينا ما وصل إليك من مراسلات أهل نجد فأعطاه ما أراد ولم يزل
الشريف يسب من أهواه ومن أشار عليه بمسيره وممشاه ، وأرسل إليه الإمام هدية
سنية من الخيل والعمانيات ودراهم ليست بكثيرة فأخذها ورحل من القصيم فى
النصف من رجب، فلما وصل الحيد إذا أن الرخمان من عربان مطير قاطنين عليه
فأخذهم وقتل منهم رجالا وأخذ العسكر جملة من نسائهم وكانوا هم أول من وفد
عليه فجازاهم بما فعل ثم أن الإمام أمر على إبنه عبد الله أن يسير بمن معه من
المسلمين ويغير على عربان مجتمعين على البناع الماء المعروف عند القويعية من
آل شامر وغيرهم وكان قد كثر منهم الأذى على المسلمين فصبحهم فى مكانهم
وأخذ جميع أموالهم وقتل جملة من رجالهم وقفل الإمام بجنوده إلى الرياض
وأذن لأهل النواحى يرجعون إلى أوطانهم وبعث عماله إلى العربان يقبضون
منهم الزكاة على الوجه الشرعى ، وفى آخرها عزل الإمام أولاد سليمان بن زامل
عن أمارة عنيزة واستعمل فيها أميراً ناصر بن عبد الرحمن السحيمى ، وفيها وقع
من أهل الفرع والحوطة تثاقل فى بعض الأمر فأرسل إليهم الإمام سرية مع بعض
خدامه فأخذوا إبلهم ثم أن الإمام ركب إلى الخرج وأقام فيه ونظر فى العيون
ورتب الحصون وجعل إبنه سعوداً أميراً فى تلك الناحية فنزل قصر الدلم
ومعه عدة رجال من الخدام وكان هذا الولد فيه نجابة وشجاعة وشهامة فقام فى
إصلاح تلك الناحية وعمر ما خرب منها ثم رحل الامام وقدم الرياض وأغار
سعود على قافلة لأهل الفرع مقبلة من الاحساء فأخذها ومعها أموال كثيرة من
الهدم والقماش وغير ذلك ثم بعد ذلك وفدوا على الامام وبايعوه . وفيها أرسل
الامام محمد بن جلاجل عاملا فى القصيم حتى ينقضى الموسم ويقبض من أهل
الخرص ويحاسبهم فأقام أكثر من شهرين ثم رحل إلى الرياض وسار معه
عبد العزيز بن محمد رئيس بريدة وناصر السحيمى أمير عنيزة ورؤساء بلدان
القصيم وافدين على الامام فيصل فقدموا الرياض وبايعوا الامام ، وفيها وفد على

الامام متعب بن عبد الله بن رشيد أمير جبل شمر ومعه هدية من الخيل والركاب وفيها أرسل الامام سرية إلى عمان أميرهم عبد الرحمن بن إبراهيم من أهل منفوحة وأمر على الأمير أحمد بن محمد السديرى أن يمدهم بعشرين رجلا من الاحساء وأمرهم أن ينزلون قصر البريمى المعروف فى عمان ، وفى آخرها بعث الامام سرية مع سلمان بن منديل العمرى إلى وادى الدواسر لأنه حدث منهم بعض الخلاف فقدم سلمان الراوى وأدب أهل الخلاف وأخذ منهم نكالا ورجع إلى وطنه .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين وألف ﴾ وفيها سار الامام فيصل بجنود المسلمين قاصداً عربان الدعاجين من عتيبة لأنه حدث منهم أحداث على الحاج فلما وصل الأحور أبقى خيامه وأثقاله فيه وعدى عليهم وهم فى نفود السر متنازلين مع الروقة فى ذلك الموضع فصارت الوقعة على عربان الروقة وهو يظنهم الدعاجين فأخذهم وانهزم الدعاجين لأن النذير سبقه إليهم فلما علم أنهم الروقة أعطاهم جميع ما أخذ منهم ورجع إلى الأحور . ثم رحل منه ونزل العبسة الماء المعروف عند العرض فأقام عليه نحو شهر وقدم عليه فى ذلك المكان الحميدى الدويش وهذال بن مصيص وعدة من رؤساء مطير ، وكان الامام قد نفاهم من نجد فتوجهوا عليه وأعطوه جملة من الخيل والركاب فصفح عنهم . وقدم عليه محمد الطويل ومعه عدة من رؤساء العجمان . وكان قد وقع فى نفسه عليهم لأنهم أغاروا على طائفة من المسلمين فأتوا إليه بخيل وركاب طلبها منهم فأخذها وعفى عنهم وبعث عماله إلى العربان يقبضون منهم الزكاة ثم قفل راجعاً إلى وطنه .

وقعة الماتكه فى عمان

وفيها حصل فى عمان اختلاف بسبب تدبير بعض ولاة الرعية فأرسل الامام إليه سرية مع سعد بن مطلق المطيرى فساروا إليه فلما بلغ ذلك ابن طحنون ، وكان هو الذى وقع منه الشر والاختلاف استنفر جميع نواحيه ورصد لهم وأرسل عيونه بما شوتهم فلما علم بذلك مكتوم وسلطان بن صقر وكانا أهلي

صدق مع المسلمين كتبا إلى المطيرى ينذرانه من عدوه وذكرا له يقدم إليهما ويسلك طريقاً غير الذى رصد له فيه ابن طحنون وأرسلا الكتاب مع رجل فأراد الله أنه يأتى مع طريق غير طريق المطيرى وأصحابه وصار طريق المطيرى ومن معه على الطريق الذى رصد لهم فيه ابن طحنون فلما وصلوا إليه نهض عليهم ابن طحنون بمن معه فحصل على المسلمين هزيمة شنيعه فقتل منهم رجال وهلك منهم أناس ظمأ وقصد باقيهم إلى مكتوم فى بلد دبى فأكرمهم وشجعهم ثم ساروا إلى سلطان بن صقر فى بلد الشارقة واجتمع سلطان ومكتوم ومن مع المطيرى من المسلمين وقصدوا ابن طحنون وحاصروه فى قصر البريمى وأخرجوه منه ثم ساروا فى تلك الناحية وأخذوا القصور التى فى يد ابن طحنون وأتباعه واستردوا منهم جميع ما أخذوه من المسلمين فى تلك الوقعة وسموها وقعه العائكة باسم الموضع الذى صارت فيه . وممن قتل فيها امام أهل ثادق عبد الرحمن بن عزاز وهو قاضى الغزو وإمامهم ، وفيها أنزل الله الغيث على خلقه فامتلأ كل وادى بما فيه وضاقت مجاريه وتتابع المطر وخيف منه الغرق فدعا الناس ربهم أن يجعله حوالهم ولا عليهم وذلك رابع عشر صفر فصحت السماء . فلما كان رابع عشر ربيع الآخر أمر الله السماء على الأرض فجاء السيل الذى ضاقت به الوديان وخرب البلدان وعم جميع بلدان نجد ثم عادهم الحيا على دخول جمادى الآخرة واستمر المطر على جميع بلدان نجد نحو أربعة عشر يوماً لم يروا الشمس وصار الماء فى وسط المنازل حتى أن الماء نبع فى مسجد الجامع فى بلد المجمعة وسقط أكثر من ثلثه وظهر الماء فى المجالس وبطون النخيل وأعشبت الأرض عشباً ولم يعرف له نظير وذلك بعد شدة وقنوط فرحم الله العباد والبلاد فله الحمد والشكر .

(ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين وألف) وفيها جرت الحادثة العظيمة من رؤساء أهل القصيم بالخروج عن طاعة الامام ، ومنابذة أهل الاسلام وذلك أن رؤساء أهل القصيم يحاولون هذا الأمر من قديم فأرادوه بالترك والعساكر المصرية فكلما استوطنت نجد العساكر وتفرق أمر المسلمين

وسكنوا القصور وانقادت لهم الأمور حدث عليهم من أمر الله حادثة أمانى نجد من أهلها وأما فى بلدانهم فيقذف الله فى قلوبهم الرعب ويرحلون عن نجد ويتركونها بلا سلطان ، ويقدمون فيها الشيطان ، وكانت حوادث العساكر على نجد ومسيرهم إليها على يد صاحب مصر محمد على باشا . فلما أراد الله موته وهلكه ، وضعف أمره واختلاف ملكه ، انقطعت أوامر الترك عن نجد وكفى الله المسلمين شرهم . فقام رجال من رؤساء أهل القصيم يحاولون شريف مكة محمد بن عون بالخروج إلى نجد بالعساكر والاستلاء عليها فظهر بعدده وعدته إلى نجد ونزل القصيم كما تقدم . فلما رأى أن نجداً لم تحصل له إلا بحرب شديد رحل من القصيم راجعاً إلى بلده وشتمهم ومقتهم . ثم بعد ذلك وفد رؤساءهم على فيصل فغفر خطيئتهم ودع عظيمتهم . ثم أنهم نظروا إلى أنفسهم فأعجبهم كثرة الأموال ، وصناديد الرجال الأبطال ، والبلدان القوية ، والقصور الشامخة العلية ، والسلاح الثمين ، وغاب عنهم قول النبي الأمين ، الصحيحة طرقه « من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » وذلك أنه لما رحل الشريف من بلد عنيزة وقع فى نفس فيصل على أميرها إبراهيم بن سليمان بن زامل لأن الشريف لم ينزلها إلا بإذنه فوفد على الامام ناصر بن عبد الرحمن السحيمى من أهل سوق العقيلية المعروف فى عنيزة فقال له أنا وعشيرتى لكم ود قديم وأنا على محبتكم مستقيم فاجعلنى فى عنيزة أميراً حتى أكون لكم عوناً وظهيراً فاستعمله فيصل أميراً فيها وعزل إبراهيم وكتب معه لأهل عنيزة إنى استعملته عليكم أميراً فاسمعوا له وأطيعوا وحضهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمحافظة على الصلوات وأنواع الطاعات ، وأمره أن ينزل القصر فقدم السحيمى عنيزة وأخرج آل زامل من القصر وأمر على أخيه مطلق الضرير أن ينزله فنزله وجعل فيه معه عده رجال فضبطوه واستقام له الأمر وبايعه أهلها كما تقدم . ثم أن عبد الله بن يحيى بن سليمان وأعوانه أرادوا الفتك بالسحيمى وقتله فرصدوا له فى طريقه ورموه ثلاث رميات أخطأه اثنتان ووقعت فيه الثالثة ولم تكن على مقتل فوصل إلى بيته سالماً وأغلق بابه وقصد عبد الله ومن معه القصر فوجدوا أهله قد

انتذروا وأغلقوا بابه فلم يحصلوا على طائل فضاقت بهم البلد فهربوا إلى بريدة وأقاموا عند الأمير عبد العزيز آل محمد فأرسل عبد العزيز إلى فيصل أن هؤلاء الأولاد وقع منهم ما وقع وإنهم صاروا عندى وإنهم ما فعلوا ذلك إلا لأمور حدثت من السحيمى فأرسل الامام فيصل خادمه فرحان ومعه نحو عشرين رجلا إلى عبد العزيز وأمره أن يدفع إليهم ولد يحي وأعوانه فقام عبد العزيز يردد رسله إلى فيصل ويعتذر عنهم وفرحان ومن معه عنده فألزم فيصل بإقبالهم إليه فساروا إلى الرياض ومعهم له هدية فأنزلهم فى بيت وأكرمهم وعفى عنهم وأرسل ناصر السحيمى إلى فيصل يخبره بما وقع وإنهم اعتدوا عليه بلا جرم ولا سبب فرجع رسوله من عند فيصل بخبر جميل وذكر له أن ولد يحي عندنا وأنت فى بلدك لا بأس عليك وننظر فى الأمر إن شاء الله تعالى .

ثم أن الضرير مطلق السحيمى أرسل إلى رجل من أعوان آل زامل فضربه حتى مات . ثم أن ناصر بن عبد الرحمن السحيمى لما برىء من جرحه ذلك أمسك إبراهيم بن سليمان بن زامل الأمير وقتله وجرح أخاه علياً فهرب إلى المذنب فكتب الامام إلى ناصر السحيمى يتهدده ويتوعده وألزمه بالقدوم عليه والجلوس مع خصمه عند حاكم الشرع لحكم بديات الرجال والجراحات . ثم أن الامام جهز عبد الله المداوى ورجالا معه إلى عنيزة وأمره بدخول القصر والجلوس فيه وذلك لما رأى من اختلافهم فى هذه الفتنة مع ما حدث منهم مع الشريف فركب المداوى ومن معه إلى عنيزة فامتنع مطلق الضرير أخو ناصر من الخروج من القصر فركب المداوى إلى بريدة وأقام فيها ، ثم إنهم ندموا على إخراجه فأرسلوا إليه فأتى إليهم فأنزلوه فى بيت فى البلد وكتب المداوى إلى فيصل بذلك . ثم أنهم ظهرت منهم العداوة ورفعوا راية الحرب وأغلق أهل عنيزة باب بلدهم بالليل واجتمعوا عنده بأسلحتهم فلما علم فيصل بذلك خاف من تظاهر البلدان واجتماعهم على الحرب فقال له السحيمى إن أطلقتنى فأنا المثبط لهذه الفتنة وعاهده على ذلك وقال له تجهز بالمسلمين وانزل أدنى بلدان القصيم لتكون ردءاً لى فأطلقه الامام وسار إلى عنيزة وذلك فى جمادى الأولى من هذه السنة فلما قدم

عنيزة وجدهم مجمعين على الحرب فدخل فيما دخلوا فيه واخلف وعده ونقض عهده ثم قال رؤساؤهم انه ليس لنا فى الحرب طاقة حتى ينكث عبد العزيز ميثاقه ونكون فى الحرب سواء ، وكان عبد العزيز إذ ذاك قد غزا بأهل القصيم ونزل على جراب الماء المعروف قرب سدير وأقام عليه نحو شهر يخوف المسلمين فأرسل أهل عنيزة اليه فرحل من مكانه ذلك وقدم عنيزة بغزوه فعاهدهم وعاهدوه ووعدهم ووعدوه وقالوا أنت الأمير على الجميع وهذا فخر لك يشيع فنقض عهده واخلف وعده وقال لهم الحرب إلى وعندى والصلح إلى ومنى فجمعوا جموعا كثيرة من رجال بلدانهم وممن كان حولهم من عربانهم . وكان فيصل قد أمر على رعيته بالغزو فخرج غازيا من الرياض بجنود المسلمين يوم الخميس لثلاث بقين من ربيع الثانى وركب معه ولده عبد الله ومحمد ولحقه ابنه سعود بغزو أهل الخرج وركب معه أخوه جلوى وخواص عشيرته والشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن إماماً له وقاضيا وركب معه الشيخ عبد الله بن جبر قاضى بلد منفوحة إماماً لابنه عبد الله واستخلف أخاه عبد الله أميرا فى الرياض وأمره أن لايخرج من القصر وأمر على الشيخ عبد العزيز بن عيبان أن يكون عنده إماماً مذكراً وسار الامام فيصل بمن معه من المسلمين ونزل بيان ثم رحل ونزل الحسى وأقام فيه أياما واجتمع عليه باقى غزوانه ووصلت اليه أخبار أهل القصيم وتحالفهم على حربه ونقضهم لعهده فلما استقر عنده ذلك رحل من الحسى ونزل سدير ، ثم رحل ونزل المجمعة فركبت للسلام عليه فكان وصولى إلى مخيمه بعد صلاة العصر وإذا بالمسلمين مجتمعين فى الصيوان الكبير للدرس فجاس الامام فيه والمسلمون يمينه وشماله ومن خلفه وبين يديه وجلس الشيخ عبد اللطيف إلى جنبه فأمر القارىء بالقراءة عليه فقرأ فى كتاب التوحيد تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه وصدر الباب بقوله تعالى (قل أدعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعه عنده إلا لمن أذن له) الآية . ثم ذكر حديث النواس بن سمعان « إذا أراد الله أن يوحى بالامر تكلم

بالوحى ، الحديث . فتكلم الشيخ بكلام جزل وقول صائب عدل بأوضح إشارة وأحسن عبارة فتعجبت من فصاحته وتحقيقه وتبينه وتدقيقه كأن بين يديه كتاب التفسير كالقرطبي أو ابن جرير أو ابن حبان أو ابن كثير . ثم سلمت على الإمام ، فقابلنى بالتوقير والإكرام ورحب أبلغ ترحيب وقربنى أحسن تقريب .ثم سلمت على الشيخين عبد اللطيف وعبد الله بن جبر فقمناجميعاً مع الامام ودخلنا معه فى خيمته . فلما جلسنا ابتدأ الشيخ عبد الله يقرأ على الامام فى سراج الملوك واستمر ذلك المجلس إلى أول الليل . فلما كان بعد صلاة الصبح رحل الإمام بجنود المسلمين وأمرهم ينزلون فى أعلا وادى المجمعة ثم دخل البلد ومعه أكثر من ثلاثمائة رجل ونزل عند الأمير محمد السديرى وسلم على الشيخ عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار ونزل الشيخ عبد اللطيف عند الشيخ عبدالعزيز ودخل عبد الله بن فيصل بلد حرمه ومعه الشيخ عبد الله بن جبر ونزل عند محمد بن عبد الله بن جلاجل . ثم ركب فيصل بعد صلاة الظهر وبات عند جنوده ثم رحل ونزل قرب بلد الجريفة ثم رحل ونزل اشيقر ومنه إلى السر ثم إلى ساجر وأقام عليه أياما وأمر على أولاد يحيى بن سليمان أن يرحلوا برجال معهم وينزلون العوشزيات عند أرحام لهم فيها لعل يحصل لهم فرصة فى البلد ثم رحل إلى المذنب فخرج اليه أهلها وبايعوه فلما علم فيصل أن أهل القصيم قد أجمعوا على حربه وكان يظن منهم غير ذلك لأنه لم يقصدهم بظلم ولارماهم بجوم ، أمر على محمد السديرى ومن معه من غزوان سدير يرحلون وينزلون العوشزيات ثم استنفر بلدان الوشم وسدير والمحمل فنفروا اليه طائعين ثم أن الإمام كتب إلى أهل القصيم وذكر لهم إنه لا يستقيم دين إلا بجماعة ولا يكون جماعة إلا بالسمع والطاعة وانكم نبذتم أمرنا وخرجتم عن طاعتنا ، وقد علمتم أن الحرب نار وقودها الرجال ، وانه ليعز على قتل رجل من المسلمين فلا تكونوا سبباً فى اهراق دمائكم وأدخلوا فيما دخلتم فيه انتم وآباؤكم . فأرسلوا اليه رجلا من رؤساء أهل بريدة يقال له مهنا الصالح ، وذكر للامام انه جاء يطلب الصلح .ولم يزل يتوددإلى الامام حتى كتب معه انهم يدفعون الزكاة ويركبون معه غزاة ويدخلون فى الجماعة والسمع والطاعة فرجع اليهم الرسول

بذلك ، وتحقق عند الامام قبولهم لما بلغهم به رسولهم وانهم قبلوا النصح الذى دعاهم اليه وأطاعوا له واتفقوا عليه ، ثم أن الامام بلغه أن عربانا من عنزة من الدهامشة رئيسهم ثلاب الفنتشة نازلين على الطرفية الماء المعروف فى القصيم، فأمر على ابنه عبد الله أن يركب بجيش من المسلمين ويغير عليهم فركب فى نحو ثلاثمائة مطية عليها رجال من المسلمين ، فلما أراد الركوب قال له أبوه أن أهل القصيم قد صدر منا لهم أمان فأياك أن تعرض لهم فركب معه الشيخ عبد الله بن جبر فوافاه فى مسيره أبلا وقافلة لأهل القصيم فتركها وسبقه النذير إلى العربان فهربوا وتبعهم المسلمون وأخذوا منهم أغناما واثاثا وقتلوا منهم رجالا وهرب بعضهم إلى بلد عنيزة فاستصرخ عبد العزيز وجنوده وهم إذ ذاك فيها فسولت له نفسه انتهاز هذه الفرصة فصاح بقومه وخص على رجال من أهل البلد وقال متى يحصل لنا هؤلاء فى فلات من الأرض ، فسار من عنيزة بجيش يضيق منه الفضاء ويحطم ما وطاه لولا ماقدره الله وقضاه وتلك الجنود التى معه هى شوكة بلدان القصيم وهم نحو الف وخمسمائة مقاتل . فلما جاوز بريدة استنفرهم وخص على رجال منهم فساروا معه فعارضه بدو من أصحاب عبد الله معهم شىء من أغنام الغنيمة فاخذ الأغنام وأمسك الرجال فقال له عقلاء قومه ارجع بهذه الغنيمة ودع عنك السرية فان الشر لايأتى إلا بشر مثله . وقال آخرون سربنا اليهم نقاتلهم ونناجزهم فسار بجنوده ونزل النفود المسماة اليتيمة المعروفة بين الشماسية والطمة ورصد لهم فيها.

وقعة اليتيمة

وكان عبد الله لما رحل من الطرفية أرسل إلى أبيه يبشره بما أخذ من الأعراب فوجد البشير أثار القوم فرجع إلى عبد الله وأخبره بذلك فشاور عبد الله رؤساء قومه وكان فيهم هذال بن بصيص رئيس عربان بريه فقال دعنا نتركهم يميناً أو شمالا فان لحقونا قاتلناهم وأن تركونا تركناهم ، فقال عبد الله لا والله لابد أن يطأهم جيشنا وقام وشجع المسلمين فأتى اليه رجال فاشاروا عليه انهم يجمعون مامعهم من الغنيمة وتسوقها عليهم الخيل وتكون المقاتلة فى أثرهم فاجمع رأيهم

على ذلك فركب عبد الله وانتهض وشمر . وجال فى ميدان الوغى وهلل وكبر وتحركت منه غيرة الغضب ، واشتعل واهج الحمية فى جأشه والتهب وحمل حملة عظيمة بقلب ثابت وقوة وعزيمة وحف به المسلمون من كل جانب وربنا معهم ومن كان الله معه فهو الغالب فكروا على أهل القصيم كرة واحدة كأنهم يريدون السلام أو دعوا إلى مائدة ، فغابت الشمس قبل وقت غيوبها ، واظلم بحالك الغبار شمالها وجنوبها ، فوطاهم المسلمون وطأة شديدة فلما سمعوا ضرب الهمام ولوا منهزمين ، وعلى وجوههم هاربين ، وذهل الوالد منهم ولده ، والمنهزم اشفق على السلامة ورمى مابيده ، واستمر الضرب فى اقفيتهم بعد ماكان فى صدورهم ، وانتقل الطعن من نحورهم إلى ظهورهم ، وقتل المسلمون فيهم قتلا ذريعاً ، وفتكوا فيهم فتكا شنيعاً فكان الواحد من المسلمين يقتل العشرين وأكثر من قتلهم أهل الرياض ورجال فيصل فلما رأى عبد الله أن المسلمون يقتلونهم ولا يرحمونهم وأنهم مستسلمون للقتلى دخلته الرحمة وكف عنهم باقى القتل وهرب رئيسهم عبد العزيز وشرذمة معه إلى قصر الطمعية واحتصروا فيه فاشار بعض القوم على عبد الله أن يحصرهم فيه فقال كفاهم ماوطاهم فتركهم وأخذ المسلمون جميع جيشهم وما معهم من السلاح الثمين . ثم أن عبد العزيز ومن معه خرجوا من القصر وهربوا إلى عنيزة وأما شرايد قومه فانهم قصدوا بريده ولما وصل خبر هذه الجنود إلى الامام فيصل وخبر مسيرها إلى ولده قام وقعد وأرسل خيلا إلى ركائب المسلمين تردها من مفاليها . فلما جمعت الركائب إذا بفارس قد أقبل يعدو على فرسه يبشر الامام بالنصر فلم يلبث حتى جاء الثانى والثالث إلى منزل الامام فيصل لحمد الله الامام ومن معه من المسلمين وأرسل اليهم ونهاهم عن الغناء واللعب وقال هذا يوم يجب لله علينا فيه الحمد والشكر فهو الذى أعزنا ونصرنا وقوانا وأظهرنا . وكانت هذه وقعة شنيعة لاسيما على أهل بريده فان النساء خرجن من البيوت حاسرات يستغثن ويستخلفن رب الأرض والسموات وصارت ضجة عظيمة فى ذلك اليوم فى بلدان القصيم فانه ما أصيب أحد مثل مصيبتهم فانه قتل من أهل القصيم فى هذه الوقعة اكثر من مائة وكلهم من الرؤساء والأعيان . وبعد هذه الوقعة ذلل الله

منهم كل صعب وانقادوا للامام بلا حرب وتسابقوا اليه يطلبون العفو والإحسان وكان هذا الإمام أدام الله نصره قد اتخذ الدعاء له سلاحاً فكان له مهماته كفاحا . وقد جعل الله له به فى كل نازلة فرج . فكان له به مخرج أى مخرج . وقد فرج الله له عنه كربات . فأخرجه من حبس الروم مرات ، ورد عليه الملك كرات .

رجعا إلى إتمام قصة أهـــل القصيم . ولما وصل عبد العزيز بلد عنيزة أمر أصحابه يغنون ويلعبون وشجعهم للحرب والقتال ، والرعب فى قلوبهم أمثال الجبال. قيل أن التشجيع بعد الهزيمة أخرهم الرجال . فتقاعس عنه الناس . ولا رفعوا لنهيه وأمره رأس ، وكتب إلى أخيه عبد المحسن وأرسله اليه فى بريده يقول فى كتابه أن سعد التويجرى وعلى بن ناصر وفلان وفلان تخلفوا عنا فى الهزيمة ودخلوا البلد فالزمهم يأتون الينا فكتب اليه عبد المحسن إذا نصحتك أو خالفتك فى شىء قلت لى أنت مجنون وهؤلاء الذين عددتهم كلهم فى المعركة صرعى ، هربت ونجوت بنفسك وتركتهم لحقك عليهم بالأمس مضى . والآن نفذ فيهم حكم القضا وحقهم عليك تدفن أجسادهم وتعزى أولادهم . وبعد ذلك اختلف عليه رأيه وتدبيره. وكثر عاذله ومشيره فتارة يقول دعونا على من كان بالعوشزيات نسير اليهم وتارة يشير بغير ذلك فلم ينفذ لهم أمر ولم يساعد القدر فكان مايدرى مايفعل فأتى اليه الشيخ عبد الله أبابطين قاضى القصيم فقال له ياهذا أتق الله واربأ بنفسك فان البلد ليست لك ولا بيدك وأمرها بيد أهلها وليس لك فيها نهى ولا أمر وهم يريدون إصلاح أنفسهم مع الامام فان أردت أن تكون كذلك فافعل . فلما رأى انحلال الأمر من يده هرب من عنيزة وقصد بلد بريدة وهربت عنه جنوده وهرب السحيمى من البلد وقصد ابن رشيد رئيس جبل شمر وهو إذ ذاك فى القرارة أتى لنصرة الامام بجميع جنوده من شمر وغيرهم فبلغه خبر الوقعة حين وصل القراره فارسل إلى الامام يخبره بمكانه فامر عليه الامام أن يلبث مكانه حتى يأتيه الأمر ثم أن رؤساء أهل عنيزة أتوا إلى الشيخ عبد الله وقالوا له أن هذه الأمور التى منا وقعت والحوادث التى قد صدرت لا يصلحها إلا أنت

ولا يزيل غضب الامام ورؤساء المسلمين غيرك فقال لهم أنكم تعلمون إنى لست من أهل بلدكم ولا من عشيرتكم ولا يحسن منى الدخول فى هذا الشأن الذى ركض فيه الشيطان فاعفونى ودعونى وأرسلوا فى هـذا الأمر غيرى فقالوا له أن هذا الأمر تعين عليك .والصلح لايصلح إلا على يديك فقال لهم إنى أخاف من أخلاف وعد. أو نكث عهد أو حدوث أمر ثانى . أو واحد منكم يغلب على الثانى فيجد على فى نفسه الامام .وأكون مسبة لأهل الاسلام.ولاسبيل إلى ذلك إلا بكفالة محمد بن عبد الرحمن ابن بسام عن المخالفات. وحوادث أهل السفاهات .وأن كلما أصلحت لكم عليه فهو تام . ليس بعده كلام . فاجابوه إلى ذلك وكان ابن بسام هذا من خيار رؤسائهم مقبول القول فيهم وتدبير حربهم اليه . وصلحهم على يديه . فركب الشيخ إلى فيصل وهو فى المذنب فاكرمه غاية الاكرام وأجابه إلى ماطلب وعفى عن أهـل الاجرام . وصفح عنهم وعقد لهم ولمن كان تابعهم ثم رحل فيصل بجنوده المسلمين من بلد المذنب وأرســـل إمامه محمد بن أحمد السديرى فى رجال معه وأمرهم يدخلون القصر فدخلوه فقدم عنيزة ودخلها وضبطها وبنى خيامه خارج البلد ودخلها المسلمون وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وقد كانوا خافوا من تنكيل ونكال . واجلاء حمايل ورجال . فقال الامام زلة مغفورة . وخطيئة مستورة . ولكم منا الأمان . ولنا عليكم الإحسان ، ثم أنه أرسل إلى عبد العزيز يدعوه إلى السلم أو الحرب فأراد الهرب من بلده فاشار عليه أخوته وأولاده ورؤساء قومه وقالوا أن هذا الامام حليم كريم .وعادته العفو والصفح فاجلس فى بلدك ودعنا نركب اليه . ونجلس بين يديه . فلعله يعفو عنك ويسمح ويغفر زلتك ويصفح. فركبوا اليه . وقالوا للامام أن هذا الرجل قد أسلم واستسلم . ووجهه من الفشل تغير وأظلم ، وضاقت عليه بلده . ومقته أهله وولده . ونحن حاولناه على القدوم اليك . والجلوس بين يديك . فقال ليس لى وجه يشاهد المسلمين ولا الامام . ولا أمشى بين تلك الخيام . بعد نقض البيعة وتجنيدى عليهم بالجنود .. ورفعى عليهم الرايات والبنود . فاما أن تصلحوا حالى معكم وإلا تركت لكم بلدكم . ونحن قد جئناك فيه

متوجهين . وفى جناياته شافعين . فانت أهل أن تدمج خطيئته وتغفر زلته . وترحم انكساره وذلته . وقدعفوت عن كثير من جليل وحقير . وهذا من خلقك وجبلتك. فلا يكون هو المحروم من بين رعيتك . فقال أن هذا جرمه لا يماثل جرم غيره من رعيتنا . ولابد من قدومه الينا . وأخذ مابيده من الحلقة والسلاح ولم يزالوا عليه وعلى أولاده يترددون وبرؤساء المسلمين يتشفعون . حتى سمح لهم يسكن البلد وضمنوا للامام على عبد العزيز جميع المخالفات . وبذلوا للامام السلاح والخيل العتاق واتبعوا ذلك بالعهد والميثاق فسمح لاخرته وولده وجعله أميرا فى بلده وكان عبد العزيز من أوسط عشيرته وليس له قبل ذلك قوة ولا شهرة ولكن الامام تركى اختاره واستعمله فى بريده أميراً لأن أباه وجده أهل صدق مع المسلمين وقتل جده فى وقعة مخيريق كما تقدم وكف تركى عنه عشيرته ومن أقواهم وأمضاهم محمد آل على الشاعر المشهور أمر عليه الامام تركى أن يقيم فى الرياض فاقام فى الرياض مدة حتى قوى أمر عبد العزيز وكثرت أمواله وذلك خوفا منه على عبد العزيز ثم أن محمد آل على المذكور مدح الامام بمنظومة وشفع عليه برؤساء المسلمين فاذن له فى الرجوع إلى بلده وجعل بيده بيت المال لينعم له البال فترقت بعبد العزيز الأحوال . وبلغ غاية الآمال . هذا وعين تركى من دونه وورائه . خوفا عليه من اعدائه ، فان عشيرته من أشر العشائر وأقطعها للرحم ، وأقدمها على اقتحام كبائر الاثم ، فانه لما كانت البلدان فلت وزال الحكم عنها وانفلت ، صاروا أشر أهل نجد بعضهم على بعض ، ويسهل عليهم العهد والنقض ، يتقاطعون الأرحام ، ولا يخافون عواقب الأيام والأنام . فمن ذلك انه صعد رشيد الحجيلانى على عبد الله بن حجيلان فى سطح بيته وقتله . وكان قد أعطاه قبل ذلك ميثاقا وعهدا . ثم انهم حصروا رشيدا هذا فى بيته هو ومن معه وأوقدوا عليه النار والبارود حتى مات هو ومن معه . ثم رصدوا للفارس الشجاع سليمان بن عرفج وقتلوه . ثم حربة السنان من محمد آل على ابن عرفج الشاعر انبتها فى فهد بن مرشد حتى ثبتت فى الجدار من ورائه

فما أخذها حتى مات . ثم ذلك الشجاع الماهر محمد آل على المذكور قتلوه عند باب داره وهذا شيء يسير فى وقت قصير من سيرة هذه العشيرة والقطيعة بينهم نعوذ بالله من موجبات سخطه وهذا الرجل مازرقت به الأحوال ، ولا نال منه العز مانال ، ولا أمن على نفسه وعياله ، ولا كثرت خزائنه وأمواله ، ولاقاد كرائم الخيل ورفعت له الرايات والبنود ، ولا كثرت أعوانه والجنود ، ولا أرتفع صيته فى هذه الجزيرة ، ولا هابه بنو الأعمام والعشيرة ، إلا بالله ثم بإمام المسلمين تركى ثم ابنه فيصل. أفيحسن فيمن كان هذا فضلهما واحسانهما منابذتهما وعصيانهما. وهذا الإمام فيصل عاملهم بالإحسان وعفى وقال يكون عبد العزيز أميرا فى بلده وله منا الصفح بعد مانقض عهد المسلمين وصار منه مالا يخفى فلذلك أيد الله همم هذا الإمام وعزائمه، وانته الرعايا والدنيا وهى راغمة ، ولاسفك فيها دما حرام، ولانهب شيئاً من الحطام ، ولكن الله سبحانه أمده بالتأييد ، وأسعده بالتوفيق والتشديد ، وأقام الإمام فى عنيزة قريب شهر ووفدت اليه وفود العربان وأهدوا اليه كثيراً من الخيل والركاب . وأمر على أخيه جلوى أن يكون فى قصر عنيزة أميرا على جميع بلدان القصيم وماحولها من العربان فدخل جلوى القصر وضبطه وجعل الامام معه عدة رجال من أهل الرياض وغيرهم وأمر له بكل مايحتاجه فصارت تلك الولاية قوة لأهل الإسلام وإذلالا لمن عاداهم من الأنام وذلل الله صعبهم وفل عضبهم . وكان الأمر قبل ذلك فى امرائهم والتدبير على اقتضاء رأيهم وهواهم . ثم رحل الإمام من القصيم وأتاه رسول طلال بن رشيد يستأذنه فى السلام عليه فاذن له فقدم عليه فى بلد المذنب بهدايا سنية فاكرمه فيصل وأعطاه عطاء جزيلا وكسا رؤساء قومه وأذن لهم فى الرجوع إلى بلادهم ثم رحل الإمام إلى الرياض وقدم عليه أهل بلدان الشرق من الاحساء والقطيف وافدين فصدروا منه على إكرام وحضهم على الاستقامة على دين الإسلا .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين والف ﴾ وفيها سار الامام فيصل بجنود المسلمين وقصد جهة الشمال وأغار على عربان عتيبة وهم فى أرض جراب فسبقه النذير

اليهم فهربوا ونزلوا قبة الماء المعروف . وكان عليه ابن بصيص وعربانه من برية.
فلما علم الدويش بذلك أقبل فنزل عليهم فرحل الامام من جراب وعدى عليهم
فاعترضه الدويش ورؤساء عربانه وساقوا اليه هدايا وطلبوا منه الصفح والعفو
فسمح عنهم ورحل بالمسلمين ونزل أبا الدود المعروف شمالى القصيم وقدم عليه
أخوه جلوى بغزو أهل القصيم ، وكان عبد العزيز بن محمد أمير بريدة لما أقبل
الامام بجنود المسلمين داخله الوجل والخوف لأجل ما تقدم منه من النقض والحرب
للمسلمين كما سبق فامر أهل بلده بالتجهيز بالمغزا وتجهز معهم فلما خرجوا قاصدين
الامام صرف ركابه وخيله وقصد الشريف ابن عون فى مكة هو وأولاده وترك
نساءه وأمواله . فلما علم بذلك الامام رحل بالمسلمين ونزل بلد بريدة واستدعى
بأخوة عبد العزيز وقال لهم أن أخاكم هرب من البلد بلا سبب أتاه منا والآن
ليس فى ذمة الاسلام والمسلمين منه شىء فخافوا على أمواله فتلطفوا بالقول
للامام وقالوا عادتك الصفح والإحسان عمن اساء وقد جرت عادة الله لك فيمن
أحسنت اليه وكفر إحسانك أنه لا بد أن يكون فى قبضتك فترك الامام لهم
جميع أمواله واستعمل فى بريدة أميرا أخاه عبد المحسن بن محمد واستعمل فى بيت
مال القصيم عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبا بطن ثم قفل إلى وطنه وأذن لأهل
النواحى يرجعون إلى أوطانهم وأما عبد العزيز فانه لما وصل إلى الشريف أهدى
اليه ما كان معه من خيل وسلاح فوعده ومنّاه حتى استحصل هداياه فجفاه بعد
ذلك وقطع بعض الخراج الذى له أجراه لما بلغه مسير عبد الله بن الامام إلى الحجاز.
وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله..

وفى أول هذه السنة غضب الامام على سعد بن مطلق المطيرى لسوء تدبيره
فى مسيره بالسرية المتقدم ذكرها إلى عمان فعزله وجعل مكانه غيره وجعله نكالا
حتى جاءه أجله . وفيها أرسل الامام عماله لخرص الثمار وقبض الزكاة من العربان

فسارت عماله فى تلك الجزيرة واستنارت فضائله مثل شمس الظهيرة . وفى آخر هـذه السنة سار عبد الله بن فيصل بجنود المسلمين من أهل النواحى إلا أهل القصيم فان الشريف صار يراسل الامام فى عبد العزيز أمير بريدة فامرهم لايغزون حتى ينفصل أمره فخرج عبد الله من الرياض يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة وسار معه كثير من عربان قحطان وسبيع والسهول وغيرهم ونزل بلد القريعية واجتمع عليه فيها جميع غزوان المسلمين ثم رحل منها ونزل الشبكة ثم ورد ماء المصلوب المعروف فى النير ثم رحل إلى الخنابج وعدى على مرزوق المضيل وعربانه من عتيبة وهم على الثعل الماء المعروف فى الحزم الراق فسبقه النذير اليهم فهربوا ونزلوا مع ابن ربيعان ونزل عبد الله على الثعل وأقام عليه أياما ثم رحل قافلا وقصد الوشم ونزل بلد شقرا وأقام فيها بأمر من أبيه .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين والف ﴾ وفيهـا سار الامام فيصل من الرياض بمن عنده من جنود المسلمين يوم الجمعة لثمان خلت من عاشوراء ونزل الرمحية ومعه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن قاضياً للمسلمين ومذكراً ومدرساً لهم فى كل منزل واستدعى بابنه عبد الله ومن معه من جنود المسلمين فرحل من شقرا وقدم على أبيه فى ذلك الموضع فسار الامام بجميع جنود المسلمين إلى جهة الاحساء وورد النجيبة الماء المعروف قرب الاحساء ، ثم رحل ونزل حليوين الماء المعروف بين الاحساء والقطيف واستدعى بغزو الاحساء والقطيف فقدم عليه الأمير أحمد بن محمد السديرى بغزو أهل الاحساء وقدم عليه غزو أهل القطيف وقدم عليه شافى بن شعبان وعبد الله بن نقادان ومعهما رجال من بنى هاجر وقدم عليه على المرضف رئيس آل مرة ومعه رجال من قومه وحزام بن حثلين ورؤساء العجمان . وأقام الامام على ذلك الماء قريب شهر وكان قد قصد أهل البحرين لأنه بلغه عنهم بعض المخالفة وقطع شىء من الخراج الموضوع عليهم فلمـا وصل ذلك الماء أرسلوا اليه يطلبون المصالحة والمسامحة عما مضى فلم يقبل منهم ثم رحل من حليوين وقصد ناحية قطر المعروف ونزل القارة الماء

المعروف على سيف البحر ثم رحل ونزل عريق سلوة الماء المعروف قرب قطر وكان قصر البدع المعروف فى قطر نزله على بن خليفة أخو رئيس البحرين برجال معه وجعل فيه شيئاً كثيراً من الطعام والبارود والرصاص والمدافع وآلات الحصار. فأمر الامام على ابنه عبد الله أن يركب فى سرية من المسلمين ويحاصر أهل قصر البدع المذكور فسار عبد الله بمن معه من المسلمين وحاصر أهل ذلك القصر فهرب على بن خليفة ومن معه من ذلك القصر وركبوا السفن وتركوا مافى القصر من الذخائر فلما علم أهل قطر بذلك طا - ا الأمان من فيصل وأدعوا أنهم مغلوبون مغصوبون فقبل منهم وبايعوه.

رجعنا إلى تمام قصة عبد العزيز أمير بريدة. ثم انه كان كما ذكرنا عند شريف مكة وأقام مدة اشهر وهو يتودد اليه فقال له الشريف أن هذه الجنود التى عندنا لاتسير إلا بدراهم ولايمشى الرجل إلا بعطاه قبل ممشاه. وكان من تقدير الله سبحانه وصول عبد الله بن الامام إلى قرب ماء مران فى مغزاه على عتيبة المتقدم فداخل أهل الحجاز من ذلك الرعب وزاد فى أمر عبد العزيز انعكاسا عليه وعرف أن الأمر آل إلى تباب وأنه فى رأيه قد اخطأ الصواب فرجع إلى النزعة بعد الفزعة وطلب من الشريف الشفاعة عند فيصل وانه يرجع إلى بلده. ويجتمع بأهله وولده. وصارت رسل الشريف تتردد إلى فيصل وهو إذ ذاك فى قطر ويشفع عبد العزيز أن يرده أميرا فى بلاده ولاعليه بأس. ولاله أمر ولانهى على أحد من الناس. فسمح له فيصل بذلك وأنه يركب مع جلوى غازيا إلى قطر فرحل جلوى غازيا بأهل القصيم بعد قدوم عبد العزيز من مكة. وسار عبد العزيز معه وذلك فى ربيع الأول من هذه السنة فقدم على فيصل فى العريق فعاقبه الامام، على مامضى منه من قطع الدمام، ومنابذة جماعة أهل الاسلام فما أجاب إلا بالاعتراف، وأن ما ذكر اقتراف، ولكن العفو والمسامحة. فعفى عنه وسامحه، وأقام مع الامام حتى قفل من قطر ووفى له بما وعده. واستعمله أميرا فى بلده.

رجعنا إلى مانحن فيه ولما أطاع أهل قطر للأمام ، وبايعوه على الاسلام ، والسمع ، والطاعة والدخول فى الجماعة ،رحل من العريق ونزل مسيمير الماء المعروف فى قطر على سيف البحر وأرسل أحمد السديرى ورجالا معه يحفظون القصر وأمر على السفن التى لأهل قطر وهى نحو ثلاثمائة سفينه أن يهيئونها وجعل فيها رجال من المسلمين . ثم أمر على أولاد عبد الله بن خليفة الجالين من البحرين يركبون فى سفنهم ويقصدون البحرين . وكان أهل البحرين قد أرسلوا إلى سعيد بن طحنون رئيس بلدان أبو ظبي المعروف فى عمان يستحثونه ويطلبون منه النصرة وكان ذا قوة من الأموال والرجال ، والسفن فاقبل اليهم فى عددمن السفن المشحونة بالرجال فلما قبل على الجهة التى فيها الامام فيصل داخله الفشل والوجل فارسل إلى فيصل يطلب المصالحة لأهل البحرين فاجابه لاينتظم بيننا وبينهم صلح إلا بقدومك الينا ، والجلوس بين يدينا . فقال ابن طحنون أعطنى الأمان على يد أحمد السديرى فاعطاه الأمان مع أحمد السديرى فركب بهدايا كثيرة للامام فلما جلس بين يديه ، أوقع الله فى قلبه الهيبة ، وأقرانه من نابذه أو خالفه لم يحصل سوى الخيبة ، وتودد اليه فى عقد المصالحة بينه وبين أهل البحرين فاجابه إلى ذلك على انهم يؤدون الخراج السابق واللاحق وماطلب منهم من النكال، لأجل ماصدر منهم من المخالفة فى الأقوال والأفعال ، فصبروا بما قال ودفعوا اليه ما طلب من الأموال ، وطفئت نار الحرب ، وزال الخوف والكرب ،وكانت الدروس دائمة كل يوم والتذكير ، لنعم الله اللطيف الخبير ، على اجتماع أهل الاسلام على إمام وتألف قلوب تلك الأقوام . وكان المدرس لهم فى صيوان الامام بعد صلاة العصر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن . ثم أن الامام أمر على المسلمين بالرحيل والقفول إلى بلدانهم وكانوا إذ ذاك فى جمرة الغيظ وطريقهم فى غاية الظمأ والماء المالح فصب الله عليهم الغيث حال ارتحالهم من مسيعير ،وصار سيلا عظيما لايعرف له نظير ، وتابع الله عليهم الغيث عند نزولهم وارتحالهم ،

وغدوهم وآصالهم ، حتى قدموا الاحساء فأمر الامام على الامير أحمد السديرى أن ينظر فى المصالحة الخاصة والعامة من اصلاح الثغور ،ونفى الخبائث والشرور، وحض الناس على الاجتماع للصلوات فى المساجد وتأديب أهل الكسل والاختلاف وكان أحمد هذا هو وبنوه من أحسن الناس سيرة وأصفاهم سريرة ولهم فى الولايات مفاخر رفيعة ، فلذلك استعمل الامام فيصل أحمد هذا أميرا فى الاحساء ثم فى ناحية عمان كما يأتى إن شاء الله وابنه تركى بن أحمد بعد أبيه أميراً فى الاحساء وابنه محمداً أميرا فى سدير ومنيخ ومايليه وعبد المحسن أميرا فى بلدهم الغاط فلو نظرت إلى أصغرهم قلت هذا بالأدب قد أحاط . وإن نظرت إلى لا كبر رأيت فوق مايذكر . ولم يكن فى عصرهم مثلهم للمطيع الصاحب،ولا اشد منهم على العدو المحارب ، قد خصهم الله ببذل المعروف وسلامة القلب ، ولم يكن يعرف فيهم شىء من حركات أهل الولايات من المكر والقلب ،ومع مامنحهم الله من السعادة والسيادة فى تلك النواحى الكبار ، لم يكن أحد منهم يدخر درهما ولا دينار، قد جبلهم الله على فعل المعروف ، واغاثة الملهوف ، ويبادرون لطاعة الامام ، ويقدمونها على مالهم من الذمام ، فنسأل الله العظيم الذى خصهم بهذه المكارم ، أن يصرف عنا وعنهم طرق المآثم ، وأن يفتح بصيرة الامام ويصره، ويرفع منازله ، انه جواد كريم .

ثم ان الامام أقام فى الاحساء نحو عشرين يوماً ثم قفل راجعاً إلى بلده وأذن لأهل النواحى يرجعون إلى أوطانهم وأرسل عماله على عادته لخرص الثمار وقبض الزكاة من البلدان والعربان ، وقدمت عليه الوفود من كل الجهات وأمنت الأوطان والبلدان ، وحمدوا الله على كل الحالات . اللهم ياذا الجلال والاكرام نسألك أن ترفع قدر هذا الامام ، الذى شددت به عضد الاسلام وأن تجعل يده عالية على الخاص والعام .

وفى أول هذه السنة توفى العالم الفقيه . اليقظ النبيــه . ذو العقل الفائق ، والرأى الصائب الرائق ، مفيد الطالبين ، وأحد القضاة المدرسين ، من قد اشتهر فضله وسيرته ، وترجع ملوك عصره إلى مشورته . الشيـخ محمد بن مقرن بن سند ابن على بن عبد الله بن فطاى الودعانى الدوسرى رحمه الله تعالى وعفى عنه برحمته وأسكنه بحبوحة جنته أمين ، كان رحمه الله تعالى فطناً متيقظاً له عقل راجح ، ورأى صائب ووجه سامح صابح استعمله سعود قاضياً فى المحمل وأرسله مرة إلى عمان قاضياً فنفع الله به وأصلح الله أهل عمان على يديه ثم أرسله قاضياً لعبد الوهاب أبو نقطة فى اليمن فى ناحية عسير ، ولما كان فى ولاية تركى أرسل إليه وأقام عنده وأقره على عمله فى القضاء فى بلدان المحمل ، ثم لما قضى الله تعالى بظهور الدولة المصرية ، ووصل خرشد باشا إلى الرياض وأطاعت له نجد ذكر للباشا وأثنى عليه عنده فأرسل إليه فلما قدم عليه أكرمه غاية الإكرام وألزمه القضاء عنده فتعلل بأعذار فأذن له ورجع إلى وطنه ، ولما ولى عبد الله بن ثنيان إمامة نجد حظى عنده وكان لا يسلك جهة إلا وهو معه . فلما قدم فيصل وذهب الشقاق عن المسلمين أكرمه وأرسله قاضياً فى الإحساء فى وقت الموسم فعلق من الاحساء بحمى ولم يزل محموماً سقيم البدن حتى توفى فى هذه السنة رحمه الله تعالى ، وكان من بيت حسب ونسب يجتمع نسبه مع عشيرته أهل الصفرة فى فطاى بن سابق ، وهم يجتمعون مع أهل بلد الشاسيه المعروفة فى القصيم فى سابق بن حسن ثم هم يجتمعون مع الحمدات أهل بلد العودة المعروفة فى سدير الذين يقال آل شماس مع أهل الشماس المعروف عند بلد بريدة فى القصيم فى جد واحد ويجتمع الجميع مع قبيلة الوداعين فى غانم بن ناصر بن ودعان بن سالم بن زايد وهو الذى تنسب إليه قبائل آل زايد الدواسر . نقلت ذلك من خط الشيـخ محمد المذكور بيده قدس الله روحه ، وكان جده سند بن على ذا كرم وخياره يشار إليه فى بلده المعروفة بالصفرة ملك فيها عقارات كثيرة وخلف سند أولاد منهم . مقرن أبو الشيـخ

محمد وعلى وسلطان وزومان وصار لمقرن أولاد وهم : الشيخ محمد ، وزامل ، وعبد العزيز ، وحمد وخلف إبنه على أولاداً وهم : حمد ، ومحمد ، وعبد الله ، وخلف إبنه زومان ولدين وهما : حمد ، ومحمد . وخلف إبنه سلطان أربعة أولاد وهم : عبد الله وعبد الرحمن . وعبد العزيز وإبراهيم ، وكل من هؤلاء المذكورين تناسلوا وكثروا ، ولما كان على رأس المائتين والألف ظهر أولاد سند فى قرية دقلة المعروفة فغرسوها وبنوها بناءاً محكما ، وكان ماءها يغور فى الجدب ، فلما نشأ الشيخ وكبر كان له معرفة وفطنة من صغره أشار على بنى عمه بغرس قرية القرينة المعروفة عند حريملا فسار إليها هو وعمه سلطان وبنوه وبنو أعمامه على وزومان وإخوته وزامل وعبد العزيز وحمد وذلك فى سنة إثنين وعشرين ومائتين وألف فغرسوها وأحكموها بالبناء . فلما كان فى سنة أربعين ومائتين وألف غرسوا باقيها وبنوا قصرها وأحكموا سورها ونزلها الشيخ ونزلوا معه ، وكان هو القاضى فى حريملا وتزوج فيها وتأتيه الخصوم من بلدان المحمل فتارة يجلس فى بلد حريملا وتارة يجلس فى غرسه وعند أهله وذلك فى كل أسبوع ، وكان له مجلس إذا كان فى حريملا لتعليم الطلبة ، ويجلس عنده حلقة فى أول النهار ووسط النهار سوى تدريس المجلس العام ، وانتفع به عدد كبير منهم : الشيخ عبد الرحمن بن عدوان والشيخ عبد الرحمن بن عزاز . أرسله الإمام قاضياً مع المطيرى فى عمان فقتل فى وقعة العانكة كما تقدم ، وكان له معرفة وفهماً وخصوصاً فى الفقه والفرائض وأخذ عنه ممن يلى القضاء عدد كثير ، وكان آخر من أخذ عنه من تلامذته حتى كان أطولهم باعاً . وأبسطهم ذراعاً ، وأرجحهم عقلا ، وأتمهم حلماً ، وأتقنهم علماً ، وأثبتهم فهماً ، وأفصحهم لساناً ، وأجرأهم جناناً ، وأحسنهم بياناً ، وأكثرهم إحساناً ، الشاب التقى ، ذو العنصر الزكى ، والبيت النقى ، الشيخ عبد العزيز بن حسن بن يحيى . كان ابتداء تعلمه على الشيخ المذكور فقرأ عليه

كثيراً من كتب المذهب ، ثم رحل إلى الشيخ المتقن عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقرأ عليه كثيراً من العلوم النافعة الشرعية ، خصوصاً علم العربية حتى اعتلا فضله ومجده ، وارتفع فى السماء نجم سعده ، وهو من شجرة لهم سابقة قديمة فى الإسلام ، وهم رؤساء بلد ملهم من جرثومة بنى لام ، وإنما نوهت بذكرهم نشراً لفضيلة هذا الشيخ ، حرس الله تعالى عليه نعمته ، وعفى عن زلله وعثرته ، وزوده التقوى ووفقه لما يرضى ، ولما توفى الشيخ « محمد » رحمه الله تعالى ألزمه الإمام فيصل القضاء فى بلدان المحمل فصار على عادة شيخه يكون فى بلده ملهم وقتاً ومعظم الوقت فى حريملا يفيد الطالبين ويعظ العامة المستمعين ، ويفصل خصومات الساكنين والقادمين .

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين ، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين .

قال مؤلفه عفى الله عنه : وافق الفراغ من تبييض هذا الكتاب
فى شعبان من شهور سنة سبعين ومائتين
وألف من الهجرة النبوية ، وصلى الله
على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم

فهرست

الجزء الثانى من كتاب

عنوان المجد فى تاريخ نجد

صحيفة

صحيفة

تم

[شكر] قد تفضل حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة المدرس بالحرم الشريف ، بترتيب فهرست الجزء الأول والثاني . وبيان معاني الكلمات العامية الاصطلاحية . وضبط اسماء البلدان . وجدول التصحيح . فنشكره على هذه المساعدة القيمة المفيدة جزاه الله خيراً وأدام توفيقه آمين .